صوت باريس

بقلم
عميد الأدب العربي
الدكتور طه حسين

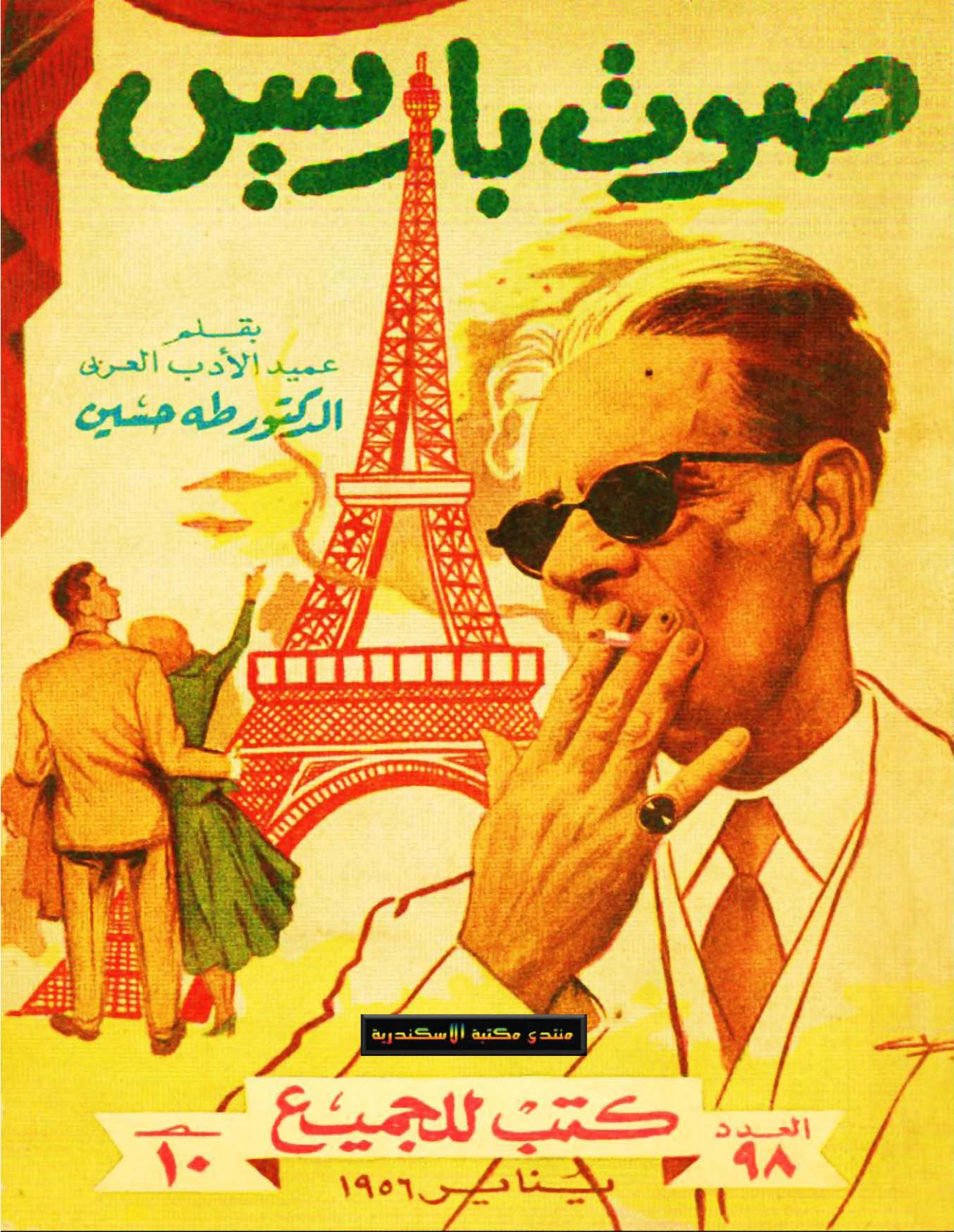

منتدى مكتبة الإسكندرية

كتب للجميع
العدد ٩٨
١٠ يناير ١٩٥٦

صوت باريس

بقلم عميد الأدب العربي

الدكتور طه حسين

تصدر عن

دار الجمهورية

هذا المؤلف

ولد الدكتور طه حسين في مغاغة في سنة ١٨٨٩ ، فهو الآن في السادسة والستين من عمره المديد السعيد بمشيئة الله .

وقد تلقى دراسته في الأزهر الشريف ، ثم في الجامعة المصرية القديمة . وكان أول من منح منها درجة الدكتوراه في سنة ١٩١٤ . ثم سافر الى فرنسا حيث أتم دراسته في السوربون.

وقد عين أستاذا للأدب العربي بالجامعة المصرية في سنة ١٩٢٥ . ثم عميدا لكلية الآداب في سنة ١٩٣٠ . ثم مراقبا للثقافة في سنة ١٩٣٩ . ثم مستشارا لوزارة المعارف ومديرا لجامعة الاسكندرية في سنة ١٩٤٢ . ثم وزيرا للمعارف في سنة ١٩٥٠ . ثم رئيسا للجنة الثقافية بالجامعة العربية في سنة ١٩٥٤ .

والدكتور طه حسين عميد الأدب العربي غير منازع . وقد كتب ما يزيد على خمسين كتابا في مختلف أنواع الأدب . من نقد ، وبحث ، وقصص ، وتاريخ .

وقد نال الدكتور طه حسين من الأوسمة ارفعها • وهو عضو بالمجمع اللغوى ، والمجمع العلمى المصرى ، ومجامع أخرى فى الشرق والغرب •

ومن مآثر الدكتور طه حسين التى لا تنسى ؛ عمله على تيسير التعليم لكافة أبناء الشعب ، بتقرير مجانيته فى مراحله الابتدائية والمتوسطة والثانوية ، وقد شجع على نشر التعليم بكل وسيلة ممكنة • واليه يرجع الفضل فى اعادة اعفاء المعاهد التعليمية من الضرائب بعد الغاء هذا الاعفاء •

وقد حرصت « كتب للجميع » منذ انشائها على أن تقدم لقرائها كتابا على الأقل من كتب الدكتور طه حسين فى كل عام من أعوامها تمكينا للجميع من الاطلاع على أدبه الخالد • فنشرت له « جنة الحيوان » و « قصص تمثيلية » و « القبر أو زاديج » عن فولتير و « اديب » و « نفوس للبيع » •

وكان بين الكتب التى حال العهد البائد بين هذه المجلة وبين نشرها كتاب « المعذبون فى الأرض » • فقد خيل للملك السابق من بعض الاعلانات التى نشرت عنه أن فيه دعوة الى الشيوعية والانتقاص من حقوق السلطان فى سبيل الشعب • فصدر الأمر بمصادرته بعد طبعه وموافقة الرقابة عليه واستولت السلطة على نسخ الكتاب وأعدمتها مما اضطر الدار التى تقوم على نشر هذه المجلة الى رفع دعوى أمام القضاء لا تزال منظورة حتى الآن •

وانه ليسر مجلة « كتب للجميع » أن تقدم الى قرائها بمناسبة العام الجديد هذا الكتاب « صوت باريس » وأترك الكلام عنه للمؤلف العظيم فى مقدمته باسلوبه البارع الذى لا يبارى •

« دكتور فائق الجوهرى »

كلمة المؤلف

هذا كلام نشر لأول مرة منذ عهد بعيد، وقرأه فى تلك الأيام شباب عسى أن تكون الشيخوخة قد أدركتهم الآن فتأثروا به واهتموا له وحاولوا أن يعربوا التمثيل ويوطنوه فى مصر . ولكن عدت عواد وتتابعت خطوب فحيل بينهم وبين ماكانوا يشتهون .

ثم نشر مرة أخرى منذ خمس عشرة سنة وقرأه شباب آخرون لعلهم قد بلغوا الآن سن الكهول ، ولكنهم شغلوا عن التأثر به بأحداث حدثت وصروف ألمت . فلم يزيدوا على القراءة ولم يفكروا فى تعريب التمثيل ولا فى توطينه .

وسيقرؤه الآن شباب ناشئون لم يقرأوه من قبل ، ولعلهم لم يعرفوه ، ومن يدرى لعل بعضهم أن يتأثر به ويحاول تعريب التمثيل وتوطينه فى مصر . فقد آن للتمثيل ألا يظل عندنا فنا دخيلا أو لونا من ألوان العبث .

ومن أجل هذا قبلت نشر هذا الكتاب وأمثاله مما يشبهه ، أمخطىء أنا فى ذلك أم مصيب ؟!

« طه حسين »

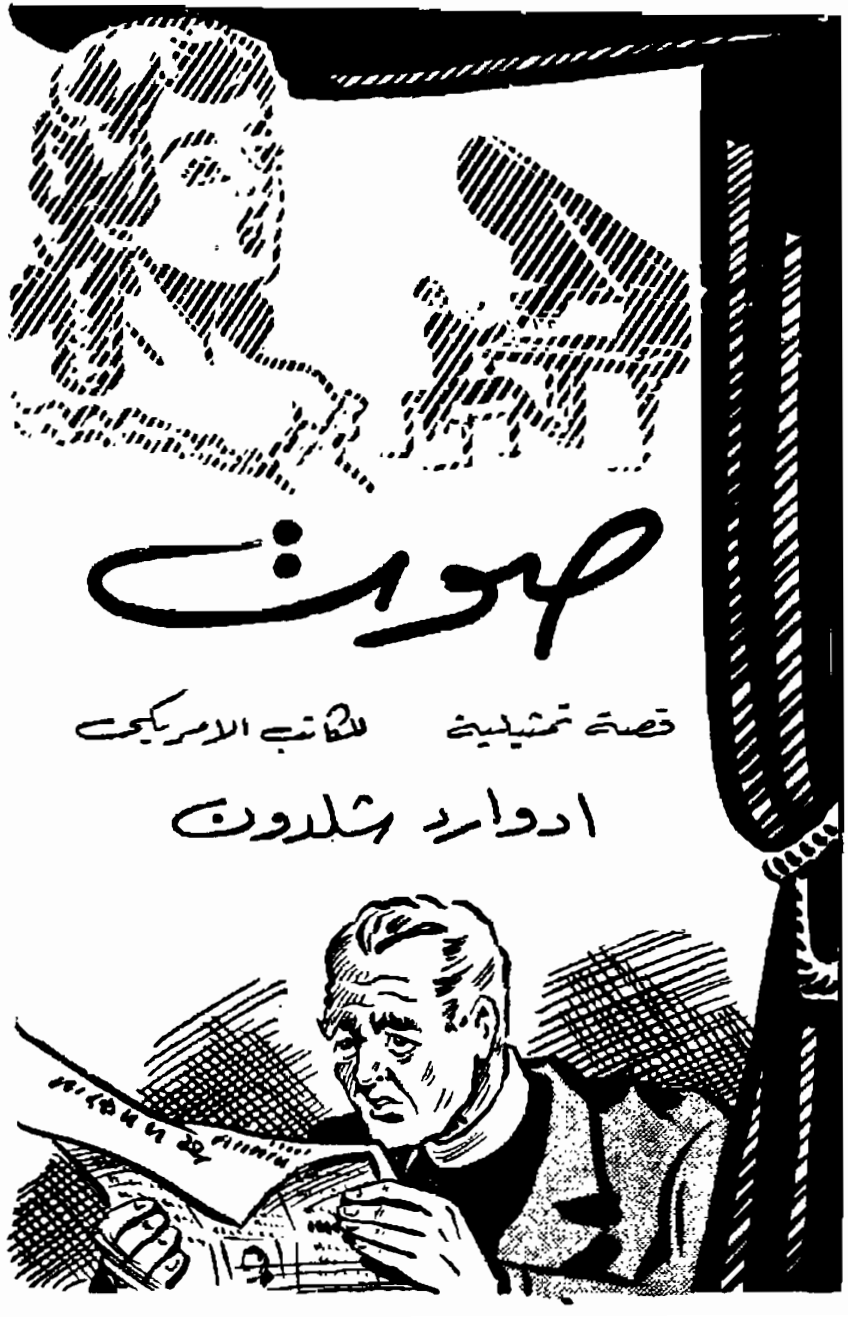

صوت

قصة تمثيلية للكاتب الامريكي

ادوارد شلدون

ينبغي أن نفهم هذا العنوان كما تفهمه حين تجده في كتاب الأغاني ، فهو يدل على مقطوعة من الشعر يغني بها ، وكذلك أراد صاحب هذه القصة التي أريد أن أحدثك عنها في شيء من الايجاز كثير . فأنا ـ كما قلت في غير هذا الموضع ـ حين أنحو هذا النحو من تلخيص القصص التمثيلي أو غير التمثيلي لا أريد أن أغني القارىء العربي عن الأصل الأوربي ، انما أريد أن أرغبه فيه وأحبب اليه قراءته ودرسه . فهذه الفصول المتواضعة ترغيب في قراءة تلك القصص الممتعة لا أكثر ولا أقل .

وقصتنا هذه ممتعة في موضوعها ، ممتعة في شكلها ، ممتعة في لغتها ، وممتعة بنوع خاص لأنها تمثل التئام الذوقين الأمريكي والفرنسي التئاما بديعا .

وضع لها صاحبها هذا العنوان لأنها تبتدىء بصوت من الغناء وتنتهي بهذا الصوت ، ولأن هذا الصوت نفسه رشيق عذب فيه سذاجة ورقة ، ولأنك لا تكاد تمضي في قراءة هذه القصة حتى تجد فيها هذه العذوبة وهذه الرشاقة وهذه السذاجة ملتئمة أحسن الالتئام مع حقائق الحياة الواقعة وما فيها من خشونة وغلظة وتعقيد .

وان أعجب لشيء فانما أعجب لأن هذه القصة لم توقع بعد على الألحان الموسيقية كما أوقعت من قبل قصص تشبهها كل الشبه .

على أني لا أريد أن أطيل في المقدمات ولا أن أسرف في التحليل ، وانما أسرع بك الى القصة نفسها ، وأعتمد على الترجمة أحيانا لأدلك على ما فيها من جمال وروعة .

* * *

نحن في مدينة نيويورك في مكتب الأسقف البروتستانتي « توم ارمسترونج » وهو شيخ في السبعين من عمره ، قد جلس الى النار يصطليها أول الليل ، وحفيدته تقرأ له احدى الصحف . ونحن نحس أنها تقرأ له هذه

الصحيفة فى شيء من السأم والضجر لأنها تؤثر أن تتحدث اليه أو تلهو معه بشيء آخر • وآية ذلك أنها لا تكاد تمضى فى القراءة حتى تقف سائلة جدها الأسقف : أليس يؤثر على هذا الكلام صوتا من أصوات الفنوغراف ؟ ثم تدع الصحيفة وتعمد الى الفنوغراف فتنطقه بالصوت المعروف :

« أتعرف ذلك البلد الذى يزهر فيه البرتقال ••• ! » : فما هى الا أن يظهر الشيخ شيئا من الضيق ويطلب الى حفيدته فى رفق أن تدع هذا الصوت الى صوت آخر ، فاذا سألته الفتاة عـــن مصدر هذا الضيق أبى عليهـــا ، وأحسسنا نحن أنه لا يكره هذا الصوت ولكنه يشفق من استماعه •

والفتاة لم تدع الصحيفة الى الفنوغراف الا لتدع الفنوغراف أيضـــا الى الحديث ، فهى تريد أن تتحدث الى جدها فى أمر ذى بال ، تريد أن تتحدث الى الشيخ فى أمر أخيها الشاب «هنرى» فقد أحب هذا الشاب فتاة ممثلة جميلة رائعة الطلعة يتيمة فقيرة سيئة الحظ ، وهو يريد أن يتزوجها ، وهو يريد أن يتحدث فى هذا الزواج الى جده ، ولـــكنه كلف أخته أن تعد الشيخ لهـــذا الحديث ، وقد فعلت • وأقبل الفتى وانصرفت الفتاة وخلا الشاب الى جده وذكر له قصته وأسرف له فى الثناء على هذه الفتاة وأعلن اليه أنه يريد أن يتخذها له زوجا • فيأبى عليه الشيخ فى رفق معلنا اليـــه أنه حدث قليل التجربة ، وأن الخير فى أن يروى ويفكر حتى اذا كانت السنة المقبلة رأى فى ذلك رأيه • وليست السنة المقبلة بعيدة فستبدأ بعد ساعات لأننا فى اليوم الأخير من شهر ديسمبر • ولكن اباء الشيخ يشق على الفتى ويؤلمه فيقول لجده : لو عاش أبواى الشابان لاستطاعا أن يفهما عاطفة الحب • ويقدراها فقد تقدمت بك السن حتى نسيت شبابك وعجزت عن فهم عواطف الشباب •

تقع هذه الكلمات فى نفس الشيخ موقعا مؤلما ، فيدعو الفتى الى البقاء وكان قد هم بالانصراف ، ويأمره أن يحمل اليه صندوقا صغيرا على مائدة فى ناحية من نواحى الحجرة ، فاذا حمل اليه هذا الصندوق فتحه وأخـــرج منه منديلا وزهرات من البنفسج قد آتى عليها الدهر فأصبحت هشيما ، وبدأ يقص على حفيده قصـــة هذا المنديل وهذه الزهـــرات ليثبت له أنه عـــلى

شيخوخته وتقدم السن به لم ينس شبابه ، ولم ينس أنه أحب وألم للحب · وهنا يتحول المسرح وتستخفى الحجرة والشيخ والفتى وتمثل أمامك القصة التى بدأ الشيخ يقصها على الشاب ·

* * *

فأما الفصل الأول من هذه القصة فيقع فى قصر رجل من أغنياء الأمريكيين حين كان الأسقف فى الخامسة والعشرين من عمـره · وقد أقام هذا الرجل الغنى فى قصره حفلا دعا اليه وجوه المدينـة وأغنياءهـا وذوى المكانة فيهـا ليسمعوا عنده مغنية ايطالية ذائعة الصيت قد اتخذها الموسيقيان الشهيران « روسينى » و « فردى » ترجمانا لما يضعان من الموسيقى · وهى رائعة فاتنة قد شغف بها من أغنياء أوربا وأمرائها خلق كثير · وانتهى الأمر بها الى هذا الغنى الأمريكى الذى يتصل بأسرة فرنسية هاجرت الى أميركا فى آخر القرن الثامن عشر · أحبها هذا الغنى وكلف بها كلفا شديدا فدعاها الى نيويورك وقدمها الى وجوه المدينة وعشاق الفن الموسيقى فيها · ونحن نرى قصر هذا الغنى مزدحما بمن فيه من الشباب والكهول والشيوخ رجالا ونساء ، ونحن نرى ونسمع من عبث الأمريكيين وحوارهم مايلذ ويضحك وما لا سبيل الى أن نلم به فى هذا الفصل · ولكنى أقف بك عند رجل من الأغنياء قد دعى الى هذا المحفل فأقبل ، وانه لشديد السخط على القصر وصاحبه ومن فيه ، هو رجل قد أكل الحقد قلبه فهو لا يرضى عـن شىء ولا عن أحد ، وهو ضخم الثروة ولكنه شديد البخل مسرف فى الحرص عظيم الشره يريد أن يستمتع بكل ما يجد دون أن يعترف بشىء من الاستمتاع · ضاق صدره بالمدعوين ففر منهم الى احدى غرف القصر وأمر الخادم أن يحمل اليه طعامه وشرابه ، فاذا دخل الغرفة نظر فاذا علبة فيها سيجار فيلقى على هذه العلبة نظرة احتقار وازدراء ثم لا يلبث أن يتحقق أن مـا فيها جيد النوع ، فيأخـذ واحدا ، ثم لا يكفيه ما أخذ فيأخذ طائفة أخرى من السيجـار ويدسها فى جيبه · ويأتى الخادم وقد حمل اليه من الطعام والشراب ما استطاع فيلقى الى ما حمل اليه نظرة ازدراء واحتقار ، ثم ينتهر الخادم لأنه لم يحمل اليه الا قليلا ويجلس كارها الى طعامه ولكنه لا يـكاد يذوقه حتى يستجيـده فيسرف فى الأكل

والشرب ، وانه لفى ذلك اذ يدخل عليه القسيس الشاب « توم ارمسترونج » وهو ، كما قدمت ، فى الخامسة والعشرين من عمره ، جميل الطلعة ، واضح الأسارير ، ممتلىء نشاطا وقوة ، قد عرف بالاخلاص فى خدمة الدين ، وبالعناية فى خدمة الفقراء والبائسين ، خفيف الظل حلو الروح يحبه صاحب القصر ويرجو أن يزوجه من أحدى قريباته • يدخل هذا القسيس على صاحبنا وهو منهمك فى طعامه وشرابه فلا يكاد يراه حتى ينصرف عما هو فيه من طعام الى صاحب القصر فينال منه فى لفظ منكر قبيح ، ويعيب عليه هذه المغنية التى دعا الناس لاستماعها فى قصره لأنها خليلته ، ولأنها معروفة بسوء السيرة ، ويلوم القسيس لأنه يرضى عن هذه الآثام ويقصر فى تأدية واجبه الدينى فلا يكف صاحب القصر عن هذه الفضيحة ، فيسمع له القسيس ، حتى اذا فرغ من كلامه قال له هذه الجملة التى تعطيك منه صورة واضحة : لمن هذا الطعام الذى تزدرده ؟ ولمن هذا الشراب الذى تعب فيه عبا ؟ ولمن هذا السيجار الذى تدسه فى جيبك ؟ أليس هذا كله لصاحب القصر ؟ ! يجيبه الغنى : بلى • وأنت ترى أن من واجب القسيس هو أن يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويأخذهم بترك ما يتورطون فيه من شر • يجيبه الآخر : نعم ! وأذن فلأبدأ بك ، فقد أتيت نكرا لا يعد له نكر حتى اغتبت صاحب هذا القصر على هذا النحو القبيح وأنت فى قصر تأكل من طعامه وتشرب من شرابه ! • وهما فى هذا الحوار اذ يأتى « دى روشار » صاحب القصر ، فينصرف هذا الغنى • ولا يكاد القسيس يخلو الى صاحب القصر حتى يبدأ فى تأدية واجبه الدينى من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، ولكنه يجد فى هذا مشقة ، فهو يكبر صاحب القصر ويجله ، وهو مدين له فى مركزه فى الكنيسة • على أن هذه المشقة لا تصرفه عن أداء هذا الواجب ، فهو يلوم صاحب القصر على ما بينه وبين هذه المغنية من صلة ، وصاحب القصر يجيبه معتذرا اليه فى شىء من الرفق والفلسفة والشك فى معنى الخير والشر وقيمة الفضيلة والرذيلة ، ويعلن اليه أنه يرى السعادة الحقيقية فى حب الخير والجمال والشباب • وهما فى هذا الحوار واذا المغنية قد فرغت من غنائها وأقبلت يتبعها المعجبون بها ، فينصرف القسيس وتخلو هذه المغنية الى صاحبها ، ليكون بينهما حوار نفهم منه أن وعظ القسيس قد أثر فى نفس

هذا الرجل من حيث لم يشعر • انظـر آليه يتحدث الى صـاحبته بأنه فى الحادية والخمسين من عمره وأن أسباب اللهـو والنعيم قد تقطعت به • وأن الخير انما هو فى أن يستحيل حبهما الى مودة بريئة، وهى تستمع له راضية حينا وساخطة حينا آخر ، غاضبة مرة ، مداعبة مرة أخرى ، مزدرية لمـا يقول ، حريصة على أن يعدل عنه ، ولكنها على كل حـال قد رأت القسيس وهو ينصرف فوقع من نفسها ، وهى تعلن الى صاحبها فى صراحة أنها تكره البروتستانتية من الموسيقى والبخور والاعتراف ، ولكنها تحب البروتستانتية لأن قسسها حسان • وما زالت بصاحبها حتى أقنعته بأنه لم يبلغ الخمسين من عمره وأنه ما زال يستمتع ببقيـــة من شباب وحتى ضربت معه موعـدا للنزهة اذا كانت الساعة الرابعـــة من مساء • ثم تطلب اليـــه أن يدعها لتستريح قبل استئناف الغناء وأن يرسل اليها شيئا من الخمر والليمون •

فلا تكاد تخلو الى نفسها حتى يمر القسيس فتتناوم وتدع رداءها يسقط عنها • وقد نظر اليها القسيس وحدق فيها وكأنها وقعت فى نفسه ، فيدنو منها فى خفة ويعيد اليها الرداء وينصرف ، ولكنه لا يكاد يتجاوز الغرفة حتى يسمع صوتها وهى تشكره •وما هو الا أن يسمع هذا الصوت حتى يضطرب ولا يدرى أيمضى أم يقف ، فتستوقفه وتستدنيه ويجيبها الى مـا تريد فى شىء من الاضطراب والذهول • ويأخذان فى الحديث ، وأذا هى تخفى عـــلى القسيس نفسها وتأخذ فى اغتياب المغنية فيلومها القسيس ويطلب اليها أن تستغفر الله من هذا الاثم فتأبى فيغضب ويهم أن ينصرف • ولكن الخادم قد أقبل يحمل الشراب ، فتطلب اليه أن يصب لها فى القدح فيفعل ، ثم تطلب اليه أن يصب فى قدح آخر فيفعل ، ثد تدفع اليه أحد القدحين فلا يستطيع أن يرده ، ثم تأمره أن يحدق فيهـا وتعلن اليه أنها ستحـدق فيه وتقترح أن يشربا قدحيهما على هذا النحو • فاذا فرغا من الشرب رأيناهما وقد فتن كل منهما بصاحبه فتنة قوية • فأما هى فتستغفر الله فى اثمها حين اغتابت المغنية ، وأما هو فيطلب اليها موعدا لأنه يريد أن يراها وأن يتحدث اليها باشياء كثيرة مما كانت لتخطر له من قبل • وهمـا فى هذا الحوار أذ يقبل صـاحب القصر فيراهما على هذه الحال : وهى كالنائمة وهو جاث بين يديها يناجيها •

وانت تستطيع أن تقدر دهش صـــاحب القصر حين يرى مكان القسيس من المغنية وهو الذى كان يلومه فيها منذ حين • تنهض المغنية لتستأنف الغنـاء ولكن القسيس يلح عليها فى الموعد غير حافل بمكان صاحب القصر ، فتضرب له الموعد من الساعة الرابعة من مساء غد ، فاذا ذكرها صاحب القصر بأنها قد ضربت له الموعد فى هذه الساعة نفسها أجابته : أما موعدك فمؤجل وتنصرف وقد سقط من يدها منديل فيهوى القسيس فيأخذه •

* * *

فاذا كان الفصل الثانى فنحن فى بيت القسيس ، فى حجرة عمله ، نرى عمتيه قد جلستا تتنازعان ، احداهما فى الثـــامنة والخمســـين ، والأخرى فى السنتين ، وكلتاهما قد وقفت حياتها على القسيس لا تدرى ماذا تصنع لترضيه وتعنى بطعامـــه وشرابه ولباسه ، والخصومة بينهما فى ذلك متصلة مضحكة ، ولكنهما رغم هذه الخصومـــة متفقتان فى الألم لأن الشاب قد تغيرت حياته تغيرا شديدا منـــذ ثلاثة أسابيع ، فهـــو شديد الكلف بهذه المغنية الايطاليـــة يقضى معها شطـرا من كل يوم حتى نسى خطيبته وحتى أخذ الناس يتحدثون عن كلفـــه بهذه الفتاة ، وهمـــا تصليان وتضرعان الى الله أن يصرف عن القسيس هـــذا المكروه ، وهمـــا تستعينان بـ « دى روشار » صديقهما وصديق القسيس وعم خطيبتـــه ، وهماتنتظران عودة الشاب بعد حين ، ولكنهما لا تعرفان من الذى أرسل هذه الطاقة من الزهر دون أن يرسل اسمه معها ، ولا تفهمان لم لا يريد الشاب أن يأخذ الشاى معهما ، ولا تعرفان هذا الشخص الذى سيتناول الشاى مع القسيس •

وقد أقبـــل صديقهما دى روشار • قصتا عليه القصة وألحتا عليه فى أن يحاول صرف الشاب عن هذه المغنية الأجنبية فيعدهما ، وينبئهما بأن الأمر يعنيه كما يعنيهما ، لأنه يحب القسيس كما تحبـــانه ، ويعلن اليهمـــا أيضـــا أنه سينتظر الشـــاب ليتحدث اليه ، فتنصرفان عنه • ولا يكاد يخلو الى نفسه حتى تقبل المغنية فيلقاها دهشا ؟ أما هى فيصـــيبها شىء من الذهـــول ، ثم يتحـــدثان فتفهم من حديثهما أن الحب قـــد اتصـــل

قويا عنيفـــا بينها وبين الشاب ، وأن هذا الحـــب على قوته وعنفـــه طاهر برىء يقوم على أكذوبة أو على طائفة من الأكاذيب ، فان الفتـاة لم تستطع أن تنبىء صاحبها بحقيقة أمرها ولا بما تشتمل عليه حياتهـا من الآثام ، وانما تركته يصورها كما أراد له خياله وحبه نقية طاهرة مثالا للفضيلة والبراءة والطهر • وهى تستعذب هذا الحب الأفـلاطونى ، ولا تريد أن تكذب ظن الشاب . ولم تكذب ظنه وستعود الى أوربا بعـد خمســة عشر يومـا فتنقطع بينهما الأسباب ، وتـكون قد سعدت فى حياتها بحلم لذيذ • ولكن «دى روشار» يلفتها الى أن الأمر أشد خطرا مما تظن ، فالشاب يحبها حقا وسيطلب اليها أن تكون زوجة وليس الى ذلك من ســبيل ، وهو يقترح عليها أن تسافر من الغـــد وأن تنصرف الآن دون أن تراه ، وهى مستعدة للانصراف ، ولكن القسيس قد أقبـــل وما يكاد يراها وتراه حتى ينسـيا كل شىء وينصرف كل منهمـا الى صاحبـه ، ويضطر دى روشار الى أن يدعهما حينا • وهنا موقف بـين العاشقين شديد التأثير حقا ، فيه لين ودعة وعذوبة ، وفيه حب يبلـغ به العنف أقصاه ، ولكنه سعيد كله غبطة وأمل ، ثم فيه أمل تتفطـر له القلوب وتتفرق له النفـوس شـعاعا • انظر اليه راضيا مغتبطا شديد الابتهاج بزيارتها اياه ، انظر اليه فى وداعة الطفل يظهرها على ما فى غرفته من متاع ، انظر اليه يظهرها على صورة أمه التى ماتت شـابة ، واسمع له يتحدث عن أمه : يصفها بالجمال وعذوبة الخلق ورضا النفس ، واسمع له يذكر أمه وما كانت تشعر به لو أنها رأت صاحبته ، ثم انظر اليه يهدى الى صاحبته عقد أمه وهى تأخذ هذا العقد وتطوق به جيدها ، ثم اسمع لهما يغنيان معا صوتا كانت أمه تغنيه ، ثم انظر اليهما وقد نسيا كل شىء وفنى كل منهما فى صاحبه وقد أقبل اليها فضمها بين ذراعيه لحظة ثم أطلقها وهو يطلب اليها أن تكون له زوجا • هنا تعود الفتاة الى نفسها وتذكر حياتهـا الآثمة ويحس منها هذا ، ولكنه قسيس وهو يحب ، فما أسرع ما ينتهى به حبه ودينه ومركزه الدينى أيضـا الى العفـو ، فهو ينسى ماضيهـا بل يمحوه وهو يلح عليها فى أن تكون له زوجا ، وهو يعلن اليها مبتهجـا أنه سيدعو عمتيه ودى روشار لينبئهما النبأ •

فلا تكاد تسمع اسم دى روشار حتى تضطرب ويريبه هذا الاضطراب والعجب أنه نسى كل ماضيها وعفا عن آثامها جميعا ، ولكنه شديد الحرص على أن يعلم أنه لم يكن بينها وبين هذا الرجل شيء ، هو يلح عليها وهى تتردد حتى اذا أشفقت عليه من الحق كذبت وزعمت له أنه لم يكن بينهـا وبين هذا الرجل شيء ، فيستحلفها على التوراة فتهم باقسام اليمين ، ولكن دى روشار قد أقبل ، فينبئه القسيس بحبه وخطبته ، ولكنه لا يرى منـه ابتهـاجا فيريبه ذلك ، وانظر اليه قد اندفع به الحب والريب حتى انتهى الى ذهول يشبه الجنون ؛ فهو ماثل أمام هذا الرجل وهذه المرأة يستحلفهما على التوراة أن لم يكن بينهما شيء . فأما الرجل فقد رق له فـــكذب عليه ، وأما المرأة فقد كان حبها من القوة والصدق والاخلاص بحيث حال بينها وبين الكذب مرة أخرى . فاسمع لها تعلن فى صراحة وألم أنها كذبت وأن هذا الرجل قد كذب أيضا ، وأنها كانت خلته منذ سنتين ، وأن آثامها فى الحياة أكثر عدداً من صلوات القسيس ، وأنها اتخذت جسمها تجارة ، وأنها لاتصلح له زوجا ، وأنها تنبئه بهذا كله لأنها تحبه حقا . أما هو فقد فقد رشده أو كاد ، وهو الآن جالس مطرق وقد انصرف عنه الرجل وهمت هى أن تحدثه فلم يسمع لها فتنصرف ، حتى اذا سمع البـاب يغلق من دونها أغرق فى البكاء كأنه طفل .

* * *

فاذا كان الفصل الثالث فنحن فى الفنـدق الذى تقيم فيـه المغنية وقد مضت أيام على ما كان فى الفصل الثانى . ونحن نرى خادم المغنية قدجلست الى النار تهيىء طعام سيدتها ، وفى الغـرفة اضطراب يدل عـلى اسـتعداد للسفر . وأنا أعفيك ـ كارها ـ من ضروب الحوار المضحك بين هذه الخادم وأهل الفندق ، وأعفيك أيضا من كثير من الحوار اللذيذ لأنتهى بك مسرعا الى القصة .

فقد أقبل دى روشار معلنا أن المغنية قد ظفرت فى مسرح الاوبرا بفـوز لا يشبهه فوز ، وأنه ينتظرها فى هذه الغرفة ، وما هى الا أن تقبل الفتاة رائعة مروعة أيضا قد أنفقت جهدا عظيما لتخفى ما تحس من ألم ، ولتؤدى

واجبها فى الأوبرا • وقد انتهت من هذا الجهد ووصـلت الآن الى غرفتها فتستطيع أن تستسلم لآلامهـــا وهى مستسلمة لهـذه الآلام • أليست منصرفة عن صاحبها هذا ، منصرفة عن خادمها ، منصرفة عن هذه الجموع التى أقبلت من الأوبرا تشيعها وتهتف باسمهـا ، منصرفة عـن كل شىء ، قد ألقت بنفسها على الأرض مفكرة او كالمفكرة والناس يحاورونها ويلحون عليها وهى لا تجيب الا فى كره وسخط ، وانظر اليها تنهر خادمهـــا فى عنف ثم لا تلبث أن ترق لهذه الخادم فتقبلهـــا فى حنان ، وانظر اليها معرضـة عن صاحبها حتى اذا هم أن ينصرف أمسكته ، هى ذاهلة لا تفكر الا فى صاحبها القسيس وما بعثت فى نفسه من الألم منـــذ حين ، وهى تتحدث بذلك الى نفسها مرة والى صاحبها مرة أخرى ، حتى اذا عجزت الخادم وعجز صاحبها عن تسليتها أو حملها على أن تأكل انصرفا عنها فخلت الى نفسها ، ومـا هى الا أن أقبلت على الصلاة جاثية • ولكن بابها يطرق مرة ومرة ومرة أخرى ، فتنهض وتفتح الباب وإذا القسيس مقبل فى شكل بشـع رائع ، مضطرب أشد الاضطراب ، ظاهر الذهول ، حائر الطرف ، لا يـــكاد يبين ، قد جلل الثلج ثيابه ، ودلت هيئته على أنه قد هام على وجهه غير قليل ، وهو يرتعش من البرد • فاذا سألته فيم أقبل أجـــابها أجمل جواب وأبدعه وأشده فى النفوس تأثيرا • أجابها : لقد خرجت فهمت ساعات لا أدرى أين أنا والى أى وجه أقصد ، ولقيتنى فتاة سألتنى عن طريقها وكنت أنت هذه الفتاة • منذ ذلك الوقت اختلفت على صور منك لا تحصى ، رأيتك طفلة بائسة تعسة ، ورأيتك فتاة تتغنى فى الشوارع ، ورأيتك باغية تسرف فى الاثم ، ورأيتك لاهية ، ورأيتك جميلة ، ورأيتك ذميمة ، رأيتك فى عزة ، ورأيتك فى ذلة ، وأحاطت بى منك صور لا تحصى ، ومضيت وهذه الصـــور من حولى حتى مررت بكنيسة كاثوليكية من كنائسكم فدخلت وجثيت وصليت وفهمت •• فهمت انى آثم •• آثم حقاً ، مسرف فى الاثم ، فهمت أنى اشر ، فهمت أنى مقصر لم أؤد واجبى ، كان حقا على ان أنقذك بعد أن رأيتك فيما رأيتك فيه من آثم وذل وألم ، ولكنى آثرت نفسى عليك ففررت منك ••• نعم فهمـت وجئت الآن لأؤدى هذا الواجب •

أما هي فما كادت تسمع حديثه هذا حتى أخذها شيء من الذهول أشبه شيء بذهول الصوفية · وفي الحق انها تغيرت تغيرا تاما وانقطعت الصلة بين حياتها القديمة وحياتها الجديدة · فاسمع لها تهون على صاحبها القسيس وتنبئه بأنه قد بلغ ما كان يريد لأنه قد استنقذها من الآثام وطهرها من الرجس ، فجددت حياتها الماضية وابتدأت حياة جديدة ، أو قل خلعت شخصها الأول واستحالت شخصا جديدا · واسمع له وهو يسألها أن تعده ألا تقوم منذ اليوم على اثم وألا تكون منذ اليوم أداة لهو وعبث · فتدفع له كتابا قد كانت كتبته فيه هذا الوعد ، ولكن قراءة هذا الكتاب تغير من صاحبنا كل شيء ، فانظر الى نفسه وعواطفه وشهواته الانسانية وقد ثارت ثورة عنيفة منكرة فمزقت ثياب القسيس وألقتها عنه ، واذا هو رجل قائم يحس ويشعر ويحب ويشتهي ويرى أمامه موضوع حبه وشهواته ، واذا هو يعلن هذا الى الفتاة في عنف ويسرع اليها فيضمها اليه ، واذا هي تضطرب بين ذراعيه اضطراب الطامع المشفق ، يرغبها حبها في الاستماح ، ويصرفها ما نذرت عن اللهو ، واذا هي تضرع اليه أن يخليها وترغب اليه في ألايكون كغيرهمن الناس وألايتخذجسمها كمااتخذوهمتاعا، واذاهي تعلن اليهفي ضراعة واشفاق ورهبة أن أمرها بين يديه ان شاء تركها صالحة وان شاء ردها الى حيث كانت من الاثم والفساد · واذا كلماتها ورغبتها واشفاقها تؤثر في هذا الرجل فتنطلق ذراعاه عنها قليلا قليلا · واذا هو جاث مطرق مغرق في تفكير عميق ، ولكن الليل انتصف وابتدأت السنة ودقت أجراس الكنائس ، وانطلقت بالصلوات ألسنة المؤمنين ، وكان هذا كله قد انتهى الى القسيس فايقظه من نومه ، فينهض متثاقلا ، ويمر يده على جبينه ، يعتذر ويستأذن في الانصراف ليلحق بالمصلين · وانظر اليه يخرج متثاقلا وان الظلمة لتنشر في الغرفة شيئا فشيئا حتى تضمرها وتخفي فيها كل شيء · واذا المسرح يتغير فجأة كما تغير في أول القصة ، واذا نحن في حجرة الأسقف حين تركناه في أول القصة يقص على حفيده ما كان من أمره في شبابه · والفتى يسأله : ثم ماذا كان من أمر هذه المغنية ! فيجيبه : لم أعلم من أمرها شيئا ، أنما قصصت عليك هذه القصة لتعلم أن تقدم السن

بى لم ينسنى أنى كنت شابا وأنى قد أحببت ، ففكر فى أمر زواجك قبـل أن تقدم عليه ، وادع لى أختك فانها لم تتم لى قراءة الصحيفة ٠

ويخرج الفتى فيدعو أخته فتقبل وتستأنف القراءة ، فاذا هى فى الأخبار البرقية واذا هى تقرأ هذا العنوان : موت مغنية شهيرة «كافالينى» ٠ فاذا سمع الأسقف هذا الاسم اضطرب قليلا وطلب الى الفتاة أن تقرأ ، فتقرأ أن هذه المغنية التى ماتت قد انقطعت عن الغناء وانصرفت عن المجد وزخرف الحياة فى ريعان شبابها منذ سنة ١٨٧٣ ووقفت ثروتها الضخمة على أعمال البر ، وان الفتاة لتقرأ واذا الأجراس تدق ، فقد انتصف الليل وابتدأت السنة ٠ وألقت الفتاة صحيفتها وتقبل على جدها تهنئه وتقبله ، ولكنها ترتد عنه قائلة : أرى خدك مبتلا ! ٠٠٠ وخدك الآخـر ٠٠٠ انك تبـكى ٠٠٠ كلا يا ابنتى ولكن أين أخوك ؟ فتـدعو له الفتى ، فاذا أقبل مهنئـا دفع الشيخ اليه الصحيفة وقال له : اقرأ هذا ٠ فاذا حاول الفتى أن يظهر شيئا من الدهش دعاه الشيخ الى الصمت قائلا : أتذكر صاحبتك الممثلة ، أتخذهـا زوجا ، وإنه ليقول ذلك وان القصة لتنتهى بينما تصل الى الآذان من بعيـد جدا أنغام هذا الصوت الذى سمعناه أول القصة ٠

« أتعرف ذلك البلد الذى يزهر فيه البرتقال ٠٠٠ ؟ »

ميشيل بوبير
قصة تمثيلية : للكاتب الفرنسى
هنرى بيك

وكان الكاتب يستطيع ان يسميها غير هذا الاسم ، وان يتخذ اى اسم من أسماء أشخاصها عنوانا لها. فجميع أشخاص هذه القصة خليقون أن يعطوها أسماءهم لأنهم جميعا خليقون بالعناية ، مثيرون فى نفسك رغبة الاستطلاع ، وباعثون فيها عاطفة قوية ، عاطفة الاعجاب حينا وعاطفةالاشفاق حينا آخر ، وعاطفة الغضب مرة ، وعاطفة الرضا مرة أخرى . كلهم خليق بالعناية ، وكلهم يصلح موضوعا لبحث نفسى منتج قوى يلذ العقل ويلذ الشعور معا . وقد يكون هذا الاسم الذى اختاره المؤلف أظهر أسماء القصة ، وقد يكون هذا الشخص الذى آثره الكاتب اشد أشخاص القصة استثارة لاعجاب الجماهير وعامة القراء والنظارة . ولكنى أوثر على هذا الشخص مع اعجابى به وعطفى عليه شخصين آخرين : أحدهما يستحق الاعجاب المطلق والاجلال الذى لا حد له ، والآخر يستحق شيئا من الاشفاق غير قليل ويدعو مع استحقاقه للاشفاق الى شىء كثير من الروية والتفكير .

وليس هؤلاء الأشخاص الثلاثة وحدهم هم الذين يستحقون العناية ويضطرون القارىء الى التأمل فيهم والتفكير فى أمرهم ، بل هناك أشخاص ثلاثة آخرون كلهم خليق بالتفكير ، وكلهم يستثير فى نفسك عاطفة قوية كما قلت . وفى الحق أنى لست أدرى أنحن بازاء قصة واحدة أم قصتين أم قصص ثلاث أم أكثر من هذه القصص الثلاث أيضا. بل فى الحق أنى لست أدرى أنحن بازاء قصة أو قصص تدرس الأشخاص وحياتهم النفسية القيمة ، أم نحن بازاء قصة أو قصص تدرس طائفة من الأخلاق وضروبا من أطوار النفس الانسانية عامة والوانا من الحياة الانسانية من حيث هى . وقد تكون بازاء هذه القصص جميعا ، وقد نستطيع أن ننظر الى هذه القصة من جميع هذه الأنحاء . فمن أراد درس الأشخاص وما يمتازون به من قوة وضعف وما يتصفون به من خلال تدعو الى الاعجاب ونقائص تثير الغضب وجد فيها حاجته ، ومن أراد درس الآراء والنظريات الخلقية والعلمية وما بينها وبين حياة الناس من صلة وما لها فى حياة الأفراد

والجماعات من أثر يجد فيها حاجته . ماذا أقول ! انك تستطيع أن تلتمس فيها شيئا آخر غير الأشخاص وحياتهم وعواطفهم وغير النظريات العلمية وصلاتها وآثارها ، تستطيع أن تلتمس فيها السياسة ومكانها من أهواء الأفراد والجماعات وأثرها فى نفوس الأفراد والجماعات أيضا . تستطيع أن تجد فى هذه القصة الممتعة هذا كله وأكثر من هذا كله ، وأنت تجده فى دعة وهدوء واطمئنان لا يحول بينك وبين الحزن الشديد ولا يحرمك الابتسامة الخالصة الصافية ، ولكنه يعطيك منهما حظا معتدلا يتيح لك أن تتعظ ولكن فى غير يأس ، وأن ترضى ولكن فى غير اسراف ، ويجلى لك الحياة كما هى مملوءة بالخير والشر ، قد امتزج فيها الحلو والمر والتأم فيها النعيم والشقاء . وأنت الى هذه اللذة العقلية والقلبية لا تحرم اللذة الفنية أيضا ؛ فاللفظ سهل حلو منوع رشيق ، والأسلوب عذب سائغ مريح . تقرأ فلا يخيل اليك أنك تقرأ ، وانما تحس أنك تحيا وتشهد هذه الحركات والأطوار المختلفة التى تكون الناس وحياة الناس .

ولكنى لا أريد أن أطيل فى تقريظ القصة أو نقدها ، فهى فى نفسها طويلة ، وانما أريد أن أظهرك عليها فى تلخيص شديد ودون الحاح فى المقدمات . وكيف أظهرك على هذه القصة التى هى فى حقيقة الأمر طائفة من القصص دون أن أقدم اليك أشخاصها قبل كل شىء ؛ فحياتهم معقدة ، ونفوسهم على سذاجتها شديدة التركيب ، وكلهم يمثل لونا من ألوان الناس وناحية من نواحى الحياة الاجتماعية ، فهم ليسوا أفرادا ، وانما هم جماعات ، وحظوظهم من الحياة ليست حظوظ الأفراد ، وانما هى النتائج الطبيعية التى تنتهى اليها حياة الجماعات وما يختلف عليها من الأطوار .

تجد فى هذه القصة شخص هذا الرجل الذى كان غنيا واسع الغنى ومثريا ضخم الثروة ، وشريفا مؤثل المجد ، نشأ فى أسرة منصرفة الى ما يدعو اليه الشرف من ضروب المجد والزخرف والزينة واللهو ، ولكنه انصرف الى العلم فأحبه وتهالك عليه ووقف على تحصيله والنبوغ فيه جهوده وأوقاته وثروته ، وأبلى فى ذلك أحسن البلاء ، ولكنه لم يظفر من هذا كله بشىء ، وانما استقبل الهرم والشيخوخة فى فقر وبؤس وشقاء .

على أن هذا كله لم يغير من هذه النفس الراضية التى كونها البحث العلمى وعلمها أن تكون جلدة قوية شديدة الاحتمال ، فهى مبتســـمة أبداً ، وهى راضية أبداً ، وهى طيبة شديدة الميل الى العفو والمغفرة ومعـونة الضعفاء والاغضاء عن هفوات الناس • هذا الشخص هو البارون «فون ديرهلويك» •

وتجد فى القصة شخصا آخر نشأ فى أسرة بائسة معدمة ، فذاق ألوان الألم وتقلب فى ضروب الشقاء ، ولكنه أحب العلم كما أحبه ذلك الرجل الغنى ، ولم يقف عليه مالا ولا ثروة ، وانما وقف عليـه ذكاء وقوة فوفق لكثير ، واذا هو يظفر بالاختراع بعد الاختراع ، واذا هو يستعين بالأغنياء وأصحاب الثروة على تحقيق آماله العلميـــة ، فيخدعونه ويعبثـــون به ، ويستغلون ذكاءه وعلمه ، وهو يعلم هذا ولا يحسن الـدفاع عن نفسه ، فيتعزى عن آلام الحياة بالعلم مرة وبالخمرة مرة أخرى ، حتى يعرض له الحب ، فاذا هو قد أضاء نفسه ومـــلأ قلبه ونظم حياته وبرأه من داء الخمـــر ، فانصرف الى العلم وجد فيه ، وفرغ للحب واستعان به ، واذا هو عالم ، واذا هو غنى قد ظفر بـكل ما كان يريد من علم وحب وسعادة • ولـكنه لايكاد يستمتع بنتيجة هذه الحيـاة الطويلة الشـاقة حتى تظهر له الخيانة فتقضى على كل ما كان قد حصـــل وأفاد ، وتصرفه عن هذا البحث المنظم المنتج الى ذلك البحث المشوش المضطرب • تصرفه عن العلم والحب الى العلم والخمر ، فما يزال يبحـث ويشرب حتى يقتله البحـث والشرب • وهـذا الشخص هو «ميشيل بوابير» والذى اتخذ الكاتب اسمه عنوانا لهذه القصة •

وتجد فيها شخصا آخر ذكيا قوى الذكاء ، غنيـــا موفور الغنى ، قد اجتهد فى أن يجعـل ذكاءه وثروته وسيلة الى استغـلال العلم والعلماء ، ولكن ذكاءه أعظم من ثروته ، وأمله أوسع من جهده ، فهو يمضى أمامه غير مقدر للظروف ولا متبصر فى العواقب ، مستغل هذا العالم وآثاره فيفقره ويفقر نفسه ، ولكنه يجد فى نفسه من القوة ما ينهضه من كبوته ، فما يزال يمضى فى طريقه متخلصا من كل ضائقة ، ناهضا من كل عثرة ، حتى يعرض له الحب الآثم من جهة والحرص على الثراء من جهة أخرى ، واذا هو قد انتهى الى الضائقة التى لا مخلص منها ، واذا هو بين اثنين : الموت

والسجن ، فيؤثر الموت ، وهذا الشخص هو : « ديلا روزويه » زعيم الأسرة التى تدرسها هذه القصة ٠

ثم تجد فى هذه القصة شخصا رابعا هو امـــرأة ٠ هذه المرأة خليقـة باعجابك كله ، وخليقـة باشفاقك كله ، وخليقـة أن تكون المثل الأعـلى للنساء ٠ أحبت زوجها وكلفت به وأخلصت له وقدمت له ثروة ضخمة يوم تزوجته ، ووقفت حياتها كلها عـلى معونته وتشجيعه ومواسـاته وتربيـة ابنتها ٠ أخلصت فى هذا كله راضيـة مبتسمة ، ثم أحسـت من زوجها الخيانة والاثم فتألمت ولكن فى صمت ، وبكت ولكن فى استخفاء ، ثم رأت زوجها وقد تورط فى الاثم وألحت عليه أثقال الحياة فعفت له عن خيانته وردت اليه قلبها وحبها كاملين ، وبدأت تغتبط بهذه الحياة المقبلة يملؤها البؤس والشقاء ، ولكن يضيئها الحب والوفاء ٠ غير أن زوجها يسالها أيهما خليق بالعناية والحرص : الحياة أم الشرف ؟ فتجيبه : الشرف ، فتقتل زوجها بهذا الجواب وتعرض أسرتها لحياة ملؤها الشر والمكروه ، على أنها تحتمل هذا الشر راضية مطمئنة ، وتجاهدهقوية جلدة وتكاد تنتصر عليه ٠ قد أخلصت لزوجها ما عاش ، وهى الآن مخلصة لابنتها ، وهى تكاد تجنى ثمرة هذا الاخلاص ، ولكن الخيانة كانت تنتظرها ، فهى لا تظفر من هـذه الحياة الطويلة الشاقة الا بهذا الاذعان المر الهادىء للقضاء ٠ وهذه المرأة هى زعيمة الأسرة التى يدرسها الكاتب فى هذه القصة ٠

وامرأة أخرى تجدها فى هذه القصة ، خليقة بالتفكير والروية ، خليقـة بالعناية والدرس ؛ لأنها تمثل التربية السيئة واثرها فى الحياة ، ولأنها تمثل هذه الظروف المنكرة التى تعرض للشباب ولما يتهيأ لمقاومتها فتفسـد عليه أمره وتصرفه عن طريق الرشد الى طرق الغى والفساد ٠ نشأت فى ثروة وعز بين أب يحبها ويسرف فى حبها وأم تؤثرها وتحنو عليها ، فلم تذق للشقاء طعما ولم تبل مرارة الحاجة ، ولم تعرف كيف تحتمل الحرمان ، وانما كانت موضوع عناية هذين الأبوين حتى شبت ناعمة راضية طامعة ، لا ترضى من الحياة بما فيها وانما تستزيدها الخير وتطلب اليها ما لا تملك ٠ وقد قرأت كتبا وقصصا أفسدت عليها عقلها أوكادت تفسده ، فهىمنصرفة

الى الخيال مغرقة فى الأمل ، لا ترى الحياة كما هى ولا ترضاها كما هى . ثم عرض لها فتى جميل فاتن غنى ، أظهر لها الحب فأحبتـــه وما كان الا مخادعا ، ثم حاولت أن تقاومه وتتقى شره فلم تجد الى ذلك سبيلا فتورطت فى الاثم ، ولكنها استطاعت بعد ذلك أن تندم وتمحو خطيئتها . ومـا كان أسعدها بأن تجد الحياة الهادئة المستقيمة وأن تخلص لزوج يحبها ويكلف بها ، وقد وجدت هذا كله وكادت تظفر بالسعادة لولا أنها أرادت أن تكون هذه السعادة خالصة صافية ، فاعترفت لزوجها بالاثم فقتلت زوجها بهذا الاعتراف ، واضطرت هى الى أن تتردى فى الهوة التى كانت قد خلصت منها فعاشـــت فيها حينا ، ثم جاهدت حتى خلصت منها مرة أخرى ، ولكنها لم تجد بعـد هذا الخلاص الا الحزن والشقاء والندم الذى اتخذته قرينا لحياتها ، وهـذه الفتاة هى « هيلين » بطلة هذه القصة .

وهل أذكر لك هذا الفتى المخادع الذى أشرت اليه والذى لا يرى الحياة الا لعبا ولهوا ، ولا يرى الأخلاق الا سخفا وهزؤا ، والذى لا يرى النساء الا لذة ومتعة ؟ . .

وهل أذكر لك هذه الخادم التى أحبت سادتها ووفت لهم وشـاركتهم فى الخير وأعانتهم على الشر ، ولكنها رأت آثام الحياة ونقائصها فآثرت أن تترك هذه الآثام والنقائص وأن تفارق باريس .

هؤلاء هم أشخاص القصة . كلهـم كما قلت خليق بالعناية والتفـكير . أفأنت محتاج بعد هذا كله أن ألخص لك القصة تلخيصا مفصـلا ، أم ترى مثلى أنى أستطيع بعد هذا التفصيل أن أوجز لك هذا التلخيص ايجازا ؟ .

* * *

نحن فى باريس فى بيت « ديلا روزريه » نرى ذلك العـالم الشيخ الذى أشرت اليه فى أول هذا الفصل يتحدث الى زعيمة الأسرة ، وهما يعرضان

الحياة وما فيها من لذة ومن ألم ، يذكران الفقر والغنى ، والصحة والمرض ، والموت والحياة . وصاحبة البيت تسأل جليسها عن قريب له من الأشراف هو الكونت « دى ريفاى » ، قدم اليها منذ حين ، وكأنها تفكر فى أن تتخذه زوجـــا لابنتها ، فلا يذكـــره الشيخ الا بسوء ، فهـــو شريف مؤثل المجد ، ولكنه رجل لا خلق له ولا دين ولا كرامة ولا مبدأ ، ينفق مائة ألف فرنك فى الميسر ، ولكنه لا ينفق فلسًا واحدا فى الصدقة . ويتصل بين الجليســـين هذا الحديث حتى تحس المرأة أن زائرين قد أقبلوا ، فتنصرف ، واذا الخادم يدخل ومعه رجل آخر ينـــازعه ويدافعه وهو ميشيـــل بوبير ، فينصرف الخادم ويتحدث الرجلان فتعـــرف من حديثهما مـــا قدمت لك فى وصفهما ، وتعرف أن ميشيل بوبيرهذا رجل ذكى عـــالم بمخترعاته ولكنه فقير ، يستغله التجار الذين يتجرون بمخترعاته ، ومنهم صاحبهذا البيت. وقد أقبل هذا العالم المخترع بعد أن أسرف فىشرب الخمر متعمداً ؛ ليحاسب هذا الرجل وليستخلص منه حقوقه . ومـــا هى الا أن يقبل صاحب البيت فيدافع العالم عننفسه حينا ، حتىاذا أحس منه الاصرار على المقاومة أراد أن يفرغ له ، فيسأل الشيخ عن حاجته ، فاذا الشيخ قد أقبل يسأله المعونة على الحياة ، ولكن الرجل يعتذر وينصرف الشيخ العالم راضيا عاذرا . ويخلو صاحب البيت الى مطالبه ، فلا يكادان يتحدثان حتى نفهم أن ميشيل بوبير صاحب حق ، وأنه قد استـــكشف فى معمله طائفـــة من الألوان يستغلها صاحب البيت ولا يعطيه من ربحه شيئا . وقد أقبل يطلب حسابه ، وصاحب البيت يدفعه عن نفسه بشىء من المال يعرضه عليه فيأبى الا الحساب . وهما فى هذا الجدال اذ تقبل « هيلين » فتتحدث الى أبيها فى دعـــة ودل ودعابة ، وتسخر من هذا الرجل السكران الذىيهذى ويصيح ، ويتحدث اليها أبوها فى رفق وحب واكبار ، حتى اذا انصرفت الفتاة كان قد تغير فى نفس هـــذا العالم السكران كل شىء ، لأنه أحب الفتاة وكلف بها ، فهو لايطلب حسابا وهو لا يقبل مالا ، وهو يحس أن صاحبه فى حاجة الى المعونة فيعرض عليـــه معونته ، ولكنه يخطب اليه آبنته ، فيأبى الرجل ؛ لأن ابنتـــه لا ينبغى أن

تكون سلعة يتجر بها ؛ ومع ذلك فان الرجلين يفترقان على خير مـا يفترق النـاس ٠

* * *

فاذا كان الفصل الثانى فنحن حيث كنا فى الفصـــل الأول ، وقد مضى حين على ما قدمت لك ، ونحن نرى صاحبة البيت وحدها محزونة كئيبة تنتحب وتتحدث الى نفسها بكلام يفطر القلوب ، فيه رثاء لحال المرأة المخلصة الوفية التى قدمت نفسها وحبها ومالها للرجل ، فانتفـع بهذا كله فى أثرة وعقوق ، ثم انصرف عن امرأته الى اثمه وخيانته٠ وقد دخلت عليها ابنتها ، فهما يتحدثان ، ونفهم من حديثهما أن زعيم الأسرة شقى مثقل بالهموم يكتم أمره عنهما جميعا ، وأن امرأته تريد أن تتبين مصدر هذا فلا توفق ، وهى تلوم زوجها على اسرافه ، وتعاتب ابنتها فى ترفها ٠ وما هى الا أن تعرضها للزواج ، فاذا الأم تذكر ميشيل بوبير والفتاة تزدريه لأنها رأته سكران ٠ ولكنه قد انصرف عن الخمر وأصلح من أمره ونظم حياته ، فهو رجل مستقيم طيب النفس طاهر القلب ذكى الفؤاد خليق أن يكفل السعادة لزوجته٠ ولكن الفتاة لا تسمع لشىء من هذا وهى لا تريد أن تتزوج ، وقد تركتها أمهـــا وانصرفت تريد أن تزور قبر أبويها ٠

أحق أن الفتاة لا تريد أن تتزوج ؟ كلا ! ٠ انها تحب ، وتريد أن تتزوج ٠ انظر اليها ، لم تكد تخلو الى نفسها حتى دعت الخادم وأمرتها أن تذهب الى الكونت دى ريفاى فتنبئه بأنها وحدها الآن ، وأنها تريد أن تراه ٠ وانظر اليها وقد خلت الى نفسها وهى تذكر حبهـا لهذا الشاب وألمهـا بهذا الحب واعجابها بهذا الفتى الذى يحبها ويأبى الزواج ٠ وقد اقبل هذا الفتى ، فلا يكاديتحدث حتى نحس منه غرورا وفجورا وحرصاعلى اللذة وحدهاوازدراء لقواعد الأخلاق والحياة الاجتماعية ٠ وهو يدعو الفتاة الى الهرب معه والفتاة تأبى الا الزواج ، وقد اختصما وهما يكادان يفترقان ٠ ولكن زعيم الأسرة قد أقبل ذاهلا مضطربا ، وقد دفعت اليه الخادم كتابا ، قرأه فلم يزدد الا ذهولا واضطرابا ، وانظر اليه يمسك صاحب ابنته ويزيد أن يخلو اليه

اذا انصرفت ابنته وتحـــدث الرجلان رأينـــا زعيم الأسرة يطلب الى صاحبه المعونة المالية فيأباها عليه ، وقد انتهى به الجزع الى أقصاه ، فهو يقص أمره ويا شر ما يقص ! فقد اضطرته أعماله المالية الى التزوير ، فأما ان يجد المال واما أن يلقى فى السجن • وقد سمع صاحبه لهذا ثم نهض وهو يرى أنه ليس من هـذا المـأزق مخرج الا الموت • وتقبل زعيمة الأسرة فتخلو الى زوجها وتسأله عن أمره ، ومـا تزال تلح عليه حتى تظفر منـه بالجواب ، وتعلم أن الأسرة قد فقدت ثروتها كلها •ولكن هذا شيء ميسور يمكن احتماله اذا ظفرت الأسرة بما كان يجمعها من حب ، وأنى لهـا هذا الحب والرجـل يخـون امرأته وينفـق حياته فى اللهو والاثم ! ولكن الرجل تائب معتذر ، وهو يستعطف امـرأته ويتضرع اليها وقد طابت له نفسها فهى تعفو عنه ، وهما خليقان أن يستأنفا حياة سعيدة على ما فيها من فقر وبؤس • ولكن الرجل يسأل امرأته وقد عرف أن الفقر لا يخيفها : هبى رجلا بين اثنتين اما أن ينقذ حياته ، واما أن ينقذ شرفه ، فما أخلق الأمرين بهذا الرجل ؟ تجيبه : أنقاذ الشرف • فيقول الرجل لنفسه : لقد قتلتنى ، ثم يطلب الى امرأته بعض الأمر ، فاذا انصرفت الى الغرفة المجاورة قتـل نفســه •

* * *

فاذا كان الفصل الثالث فقد مضت أشهر على هذا ، ونحن فى ضاحية من ضواحى باريس فى بيت لا تظهر عليه النعمة ولكنه ليس سيىء الحال • ونحن نرى الأم تتحـدث الى ذلك الشيخ العالم الذى رأينـاه فى الفصل الأول ، ونفهم من حديثهما أن المرأة تلتمس لابنتها عمل مربية فى أسرة غنية شريفة ، وأن هذا الشيخ قد وجد لها ما تريد ، ولكنه ينصح لها ألا تقر ابنتها عـلى هذا ، وأن تحبب اليها الحياة وتأسيس أسرة ، فتجيبه : ان ابنتها ترفض الزواج رفضا قاطعا ، وانهما قد سئمتا هذه الحياة فى هـذا البيت الذى أسكنهما فيه ميشيل بوبير قريبا من معمله • وقد فهمنا أن ميشيل بوبير قد صلح أمره حتى أصبح رئيس مصنع ضخم ، وحتى أصبح غنيا يحبه العمال ويخلصون له • وهما فى هذا الحديث اذ يقبل أحد العمال فيدعو السيدة الى

المصنع ويلح فى هذه الدعوة ، فتنصرف المرأة وتترك الشيخ مع ابنتها فينصح الشيخ للفتاة ألا تتم ما أرادت وينصح لها بالزواج ولكنها تأبى وما يزال بها حتى تنبئه جلية أمرها • ذلك أنها لقيت بعد موت أبيها عاشقها الكونت ، فأظهر حبا لها وعطفا عليها ، ثم أرادها على الاثم فدافعته وامتنعت عليه ، ولكنها رأت منه الشر وعلمت أنه لن يتركها حتى يفتك بها ولو جئته هامدة فأسمحت ، وهى الآن تريد أن تكفر عن سيئتها بحياة هادئة لا لذة فيها ولا حب • ولكن الخادم أقبلت تستأذن لهذا العاشق ، فينصح الشيخ برده ، وتأبى الفتاة الا استقباله ؛ لأنها تطمع منه فى أن يتزوجها ، فينصح الشيخ أن تتركه معه حينا فتفعل • ويتحدث الرجلان ، فاذا الشيخ يلوم الشاب ويؤنبه ، واذا الفتى لا يظهر أمام هذا اللوم الا ازدراء لكل خلق وعبثا بكل فضيلة واحتقارا للزواج ، بل احتقارا لصاحبته ، فهو انما أقبل ليلتمس عندها اللذة • أليس قد أسمحت له مرة ؟ فلم لا تمضى فى هذا الاسماح حتى اذا انصرفت عنها نفسه التمس اللذة عند غيرها ؟ ! والفتاة تسمع هذا كله فى مخبئها ، واذا هى قد أقبلت مغضبة ثائرة فبلغت من تحقير هذا الشاب وازدرائه بكلام غليظ ما شاءت أن تبلغ • ولكننا نسمع ضجيجا ، ونرى الأم مقبلة ومعها ميشيل بوبير ومن وراثهما طائفة من العمال وأهل القرية وكلهم يصيحون بحياة ميشيل بوبير • ولست أطيل عليك بتلخيص هذا القسم اللذيذ من القصة ، فحسبك أن تعلم أن ميشيل بوبير قد عرض حياته للخطر لينقذ عماله من كارثة ، وأقبل العمال يشكرونه ويهنئونه • وكانت فى ذلك خطب تمس السياسة الفرنسية عقب الحرب • وانصرف هؤلاء الناس جميعا الا ميشيل بوبير • واذا نحن نرى الشيخ يتقدم الى الأم يخطب اليها ابنتها لنفسه • فنرى اضطراب الأم والفتاة وغضب ميشيل • ولكننا فهمنا أن هذا الشيخ لم يتقدم بهذه الخطبة الا ليعلن أمام ميشيل وأمام الفتى أنه على شرفه ومكانته يكبر الفتاة ويراها أهلا للاقتران بارفع الناس مكانة وأعظمهم شرفا •

* * *

فاذا كان الفصل الرابع فنحن فى باريس فى بيت لم نعرفه من قبل ، وقد تم الزواج بين هيلين وميشيل بوبير • ولست أخص لك ما بين الأم وابنتها من

حديث ، ولا هذه الصلوات الحارة التي يتقدم بها الزوج الى امرأته ، ولـكن يكفي أن تعلم أن هذا الزوج ما زال يذكر حبه وتأثير هذا الحب في حياته حتى ثر في امرأتـه تأثيرا شديدا فأحبته ، ولكن أرادت ألا تخدعه ولا تشغله فاعترفت له بإثمها وسألته أن يعفو عنها . ولم يكد الرجل يسمع هذا حتى ثار ثائره وهم بامرأته يريد أن يقتلها ، ثم انصرف عنها صائحا وترك البيت . وهي الآن تبـكي وتنتحب ، ولكنهـا قـد سـئمت الحيـاة وندمت على ما كان منها من صدق واخلاص ، واذا هي تدعو الخادم وترسلها الى عاشقها . وماهي الا لحظات حتى يأتي هذا العاشق وقد أزمعت الفتاة باكية أن تعيش عيشة الاثم بعد أن لم توفق لعيشة الطهـر ، وقد أسدل الستار ورفع . واذا أنت ترى ميشيل سـكران يترنح سكرا وهو يتغنى سـوء حظه ، وما زال يتغنى حتى يسقط صريعا أمام باب الدار ، واذا هذا الباب يفتح وتخرج منه امرأته ومعها عاشقها فيكادان يطآن جسمه في طريقهما .

* * *

فاذا كان الفصل الخامس فنحن في معمل ميشيل بوبير نرى هذا الشيخ العالم يتحدث الى الطبيب فنفهم من حديثهما أن ميشيل بوبير قد جن وأنه أشرف على الموت ، وأن الخمر هي التي انتهت به الى هذه الحال ، ثم يخرج الطبيب وتأتي أم الفتاة . فنفهم أنها قد وقفت نفسها على صهرها منذ ظهـر اثم ابنتها فانقطعت للعناية به والسهر عليه ، وهي تحبه كما تحب ابنهـا وتشفق عليه اشفاقا شديداً . والشيخ يذكر لها ابنتها ويستعطفها عليهـا وينبئها بأن قد فسد ما بينها وبين عاشقها فلا يجد منها الا سخطا واعراضا ، فهي لا تعرف ابنتها ولا تريد أن تعرفها ، ولكنها تنظر فاذا ابنتها مقبلة ، واذا هي قد نسيت كل شيء وأطبقت ذراعيها على هذه الفتاة الآثمة تقبلها وتصفح عنها وتلح عليها في العودة الى حيث كانت حتى لا يراها زوجها . غير أن هذه الفتاة انما أقبلت لترى زوجها وهي تلح في هذا ، وأمها تدافعها . ولكن أنظر هذا ميشيل بوبير قد أقبل ذاهلا مفقود الرشد يخيل اليه أن أم امرأته أمه وهو يهذي بكلام لا خير فيه . فاذا رأى امرأته أنكرها ولم يعرف من أمرها شيئا . ولكن امرأته تلح حتى يخلو اليها ، فتحاول أن تحدثه عن

نفسها وان تذكره ما كان من أمرها فلا يذكر شيئا أو قل أنه يالم ويشتد الله لهذه الذكرى ، واذا هو مختنق ، واذا هو يدعو الى المعونة ، فتحاول امراته أن تدعو أمها فيتبعها صائحا : أنك تسرقين الماس • وانظر اليه قد عمد الى شيء فاستخرجه ، فاذا قطع ضخمة من الماس ملأت المعمـــل نوراً ، تلك هى نتيجة بحثه العلمى قد انتهى اليها بين السكر والبحث ، فاستطاع ان يحول الفحم الى ماس ، والى هذه النتيجة كان يسعى طول حياته وقد ظفر بها • ولكن أدركه الجنون • وانظر اليه الآن يظهر هذه النتيجة ويحرص عليها ، ولكنه مضطرب ذاهب القوى ، فهو يسقط صريعا ، وتسقط قطعة الماس من يده فتتحطم ويدخل الشيخ ومعه أم الفتاة ، فاذا تنظر الى هذا الصريع ومن حوله قطع الماس قال : لقد فقد الناس عالما كبيراً ، وفقد العلم سرا عظيما •

الشاب الجميل

قصة تمثيلية للكاتب الفرنسي

الفريد كابو

هى احـــدى هذه القصص التى يتقنهـا كبار الـــكتاب الفرنسيين ، والتى تقرؤها او تشهدها فتشـــعر بشىء كثير من الراحة لقراءتها او رؤيتهـا ، وتشعر بان الكاتب لم يتـكلف جهدا ولا مشقة حين كتبها ، بل تشعر بأن الكاتب قد استراح الى كتابتهـا ، ووجد من اللذة فى تنسيق فصولها ومناظـرها مثل ما تجد انت فى قراءتهـا او النظر اليهـا • بل تشعر بان الكاتب قد ابتسم عندما خطر له موضوعها ، ونشط للكتابة فى هذا الموضوع فاخذ قلمه باسما ، وظل يـكتب باسما ، وانتهى من الكتابة ولم تفارقه بسمته ، او قل انتهى من الكتابة وهو يضحك •

على أنك تشعر فوق هذا كله بأن ابتسامة الكاتب وابتســامتك أنت حين تقرأ القصة أو تشهدها ليست ابتسامة حلوة كلها وانما تشوب حلاوتهـــا مرارة ما • ليست ابتسامة عبث ، ولا ابتسامة سخرية ، وانمـــا هى احدى هذه الابتسامات التى تمثل الأمرين جميعا : فيها العبث لأن بين الأشخاص وفى أخلاقهم وحركاتهم ما يدعو اليه • وفيها السخرية لأن فى هذه الأخلاق والحركات ما يحمل الرجل المستقيم ذا المزاج المعتـدل على أن يهز كتفيـه • وفيها الى هذا العبث وهذه السخـرية شىء من الألم الهـادىء والأمل الذى يخلق بالفيلسوف ؛ لأن هذه الأخلاق والحركات ــ عـــلى أنها خليقة بشىء من الازدراء وعلى أنها شائعة وعلى أنها قوام الحياة ــ ليست خالدة جامدة ، ولا عسيرة مستعصية على الاصلاح ، فهى منكرة بعض النكر ، ولكنها قابلة لأن يعتدل منحرفها ويستقيم بعض ما فيها من العوج •

تجد هذا كله حين تقرأ القصة أو تشهدها • وتشعر بشىء من الغبطـــة والرضا والحاجة الى أن تشكر للكاتب أنه قد أرضاك وألهاك دون أن يثـــير فى نفسك هذه الانفعالات الحادة التى تثيرهـا القصص المحـزنة ، ودون أن يسلط عليك هذا الضحك العنيف الذى تبعثه القصص المضحكة بالمعنى الذى يفهمه الممثلون لهذه الكلمة ، وانما أرضاك وألهاك فى هدوء ودعة ، أو قل

انه حقق ما أنت محتاج اليه من هذه الراحة التى يطمـع فيها العاملون وقد أنفقوا يومهم فى الجهد والمشقة ٠

ثم أنت واجد فى هذه القصة ناحية من الحياة الفرنسية قلما تجدها فيما ألفت قراءته ورؤيتـه من القصص التمثيليـة ، وهى حيـاة طائفة من أهل الأقاليم ٠ ولكاتبنا هذا عناية بأهل الأقاليم نعرض عليك منها نموذجا فى هذا التلخيص ، ونرجو أن نعـرض عليك منهـا نموذجا آخـر فى غير هذا الفصل ٠ ثم أنت واجد فى هذه القصة ما تجده فى قصص هذا الكاتب جميعا من هذا المذهب الفلسفى الذى يقوم على المصادفة ويضيف اليها الأثر الأكبر فيما يملأ الحياة من عمل ، وما يعترض الناس من خطوب ٠

ولقد أحب أن أسلك فى هذه القصة نفس الطريق التى تعودت أن أسلكها فى القصص الأخرى ، فأقدم اليك أشخاصها فى شىء من الايجاز ٠ ولـكنى اشعر بأن هذه التقدمة لن تكون قوية ولا خلابة لأن الأشخاص فى أنفسهم ليسوا أقوياء ولا خلابين ٠ وأشعر أيضـا بشىء من الخوف لأنى أحس أنى سأتورط فى تقصير شديد عن أن أبعث فى نفسك مثل الكاتب فى نفسى من الراحة والرضا والابتهاج ٠ ذلك لأن لذة هذه القصة وأمثالها تأتى من اللفظ فى كثير من الأحيان ، وتأتى من اللفظ لنفسه أى من حيث يصعب أن يترجم وينقل من لغة الى لغة ٠ ولكنى على هذا كله مجتهـد فى تلخيص هذه القصة ٠

واذا لم يكن بد من تقديم هؤلاء الأشخاص فلأبدأ بأشدهم قوة وأعظمهم أثرا فيها ، وهو « فالنتين بريدو » شاب فى الثامنة والعشرين من عمره ، وسيم الطلعة حين تقع العين عليه ، ولـكنه ليس بالجميـل حقا اذا أحسنت التحديق فيه ، قد ظفر بالشهادة الثـانوية فى الآداب ، وهو اذا تـكلم أو كتب خيل الى من يسمعه أو يقرؤه أنه عظيم الحظ من العلم ، كاتب متحدث منطلق اللسان ، فاذا حقق النظر فيه ظهـر أنه ليس شيئا أو لا يكاد يكون شيئا ٠ هو ، كما يقول الكاتب ، من هؤلاء الأشخاص الذين يعجبون النساء لأن عليهم سمة الجمال ولهم مظهـر الـذكاء ، وليسـوا بالحسان ولا

الأذكياء ، وهو مدير لمكتبة المدينة التي يعيش فيها ، يتقاضى راتبا ضئيلا ولكنه ضخم بالنسبة الى مدن الأقاليم • وهو بطبيعة الحال شديد الاعجاب بنفسه ، شديد الطمع ، شديد الازدراء للناس ، مقتنع كل الاقتناع بأنه يشهد عصر انتقال يفنى فيه جيل وينهض فيه جيل آخر • فأما هذا الجيل الفانى فقد استنفد قوته وأصبح غير صالح للبقاء • وأما هذا الجيل الناهض فهو ممتلىء قوة ونشاطا ، ولكن الشيوخ يأخذون عليه الطريق ولابد له من أن يقهرهم • وصاحبنا ساخط لا يرضى عن حاله ولا يطمئن الا اذا ظفر فى باريس بالمكانة التى تلائمه •

وله فى مكتبته رفيق يعينه ، متوسط ، دميم الخلق ، ساذج الطبع ، راض بما قسمه الله له ، حريص على مكانته ، جاد فى طاعة النظم والقوانين ، منكر على صاحبه طيشه ونزقه وطمعه •

ثم شخص آخر هو « جونيل » فى السادسة والأربعين من عمره ، ضخم الثروة ، معتدل المزاج ولكنه لا يخلوا من طمع ، يريد أن يكون عضوا فى مجلس الشيوخ ، وهو مخالف للحكومة القائمة فى الرأى ، على أن ثروته وجمال امرأته يشجعان على الطمع فى الانتصار على مرشح الحكومة •

ولهذا الرجل امرأته « كلوتيلد » شابة جميلة ، معتدلة المزاج أيضا ، شديدة البغض للسياسة والانتخابات والأعمال العامة ، لا تطمع الا فى أن يبقى لها زوجها منقطعا اليها يلهيها ويمتعها بثروته الضخمة • وهى تبذل ما تملك من جهد لتصرف زوجها عن مجلس الشيوخ ، وهى تنذره بالخيانة ان أصبح شيخا ، لأن ذلك لا يلائم سنها ، ولأن بين الناس من يتملقها وقد وعدته بالاسماح له يوم يصبح زوجها شيخا • ولكن زوجها يأبى الا أن يكون شيخا ، ولا يأبى على نفسه التفكير فى أنه قد يصل الى الوزارة • وهو مطمئن الى زوجه لا يحفل بوعيدها ، ولا يشك فى أنها وفية له مهما يكن من شىء •

وهناك فتاة أخرى « مارت أوبرى » معلمة فى المدينة ، رائعة الجمال ، طيبة النفس ، مستقيمة الخلق ، أدركها اليتم هى وأختها ولما يتم تعليمهما

فمضتا حتى أتمتاه . فأما أختها فآثرت العاجلة وانطلقت مع أول رجل غنى عـرض عليها الترف والثروة . وأما هى فآثرت الاستقامة والحياة الشريفة ، وقنعت بمنصب المعلمة فى احـدى مدن الأقاليم . وهى تحب « فالنتين برينو » مدير المكتبة هذا الذى قدمته لك منذ حين ، وهى تطمع فى أن تقترن به ، وهى تتردد على المكتبة فى كل يوم تزعم أنها تريد البحث فى دائرة المعارف ، ولكنـها لا تريد فى حقيقة الأمر الا أن ترى هذا الشاب يحبها ولا يكره أن يقترن بها ، ولكنه يحب قبل كل شىء أن أن يظفر بمكانة تلائمه فى باريس .

وهل تحب أن أتم هذه المقدمة فاذكر لك هذا الشخص الأخير الذى سنراه فى الفصلين الثالث والرابع ، وهو « بلوك » مدير مكتب للتخديم يعـرف كل شىء ، ويسـعى فى كل شىء ، ويقدر على كـل شىء ، وان كان فى حقيقة الأمر لا يعرف شيئا ولا يكاد يقدر على شىء .

هؤلاء هم الأشخاص ، وهم كما ترى ، عاديون لا يمتـاز أحـدهم بشىء ما ، ولا يمكن أن تكون القصة التى تقع بينهم الا عادية لا أثر فيهـا للانفعال الحاد ولا للضحك العنيف .

* * *

فأما الفصل الأول من هذه القصة فيقع كما قدمنا فى مدينة من مدن الأقاليم . ونحن اذا رفع الستار فى المكتبة ، وأمامنا مساعد المدير كأنه يرتب كتبا . على أننا لا نلبث أن نشعر أن هـذه المكتبة كغيرها من مكتبات المدن فقيرة كل الفقر ، لا تكاد تشـتمل الا على دائرة المعـارف وبعض الكتب أو المجلدات السياسية . وقد دخل خادم مأمور المركز ، يطلب مدير المكتبة ليجيب سيده ، وهو يعلن فى ثرثرة ظريفة ان المأمور مغضب لأن مدير المكتبة قد كتب فى صحيفة المدينة فصـلا سياسيا عضد فيه مرشحا فى مجلس الشيوخ معاديا للحكومة وذم فيه مرشح الحكومة وهو قريب المأمور . ولا يكاد يخرج الخـادم حتى يأتى مدير المكتبة ، فاذا هو كما قدمنا فتى ظاهر الرشـاقة واللباقة ، ولكنه فى حقيقة الأمر ليس شيئا لولا أنه شديد الطمع قوى الارادة . فاذا أخبـر

بأن المأمور يدعـوه وأنه مغضب منه لم يحفل بذلك ، وانما أخذ يحدث صاحبه عن الفصل الذى كتبه فى صـحيفة « المستقبل » وهاجم فيـه قريبه المأمور فى قوة وعنف ودافع فيـه عن خصمه دفـاعا شديداً ، فاذا سأله صاحبه : فيم هذا الهجوم ؟ أنبأه بأن قريب المأمور هذا قد ذكره بسوء فيما بلغه ، وأنه لا يعرف خصمه ، ولكنه مع ذلك يؤيده ويبـذل فى ترشيحه ما يملك من قـوة • ويكون بين الرجلين حوار نفهم منه أن أحدهما وهو المـدير يتحرق شوقا الى باريس لعله يظفر فيهـا بما يريد من هذه المكانة العالية ، وأنه واثق بالوصول الى ما يحب ، فكل شىء يدله على ذلك : انظر الى هذا الجيل الذى يريد أن ينقضى كيف ضعف واضمحل ، وكيف عجز وانحل ، وكيف أخذ الفساد يعمل فيه من كل ناحية ، فلا خلق ، ولا قوة ، ولا ارادة ، ولا مهارة ، ولا استقامة فى الأعمال • وهذا مأمور المركز : ما قيمته ! ! وماذا عمل وهو يخدم الحكومة منـذ خمس عشرة سنة ؟ وهـذا المدير أتظنه وصل الى منصبه لولا أنه أصـهر الى سـكرتير الوزير ! والأمر كذلك فى جميـع طبقات هـذا الجيل وفى أنحاء الحيـاة الاجتماعية كلها : جيل يفنى ، وجيل آخر ينهض • وهذا الجيل الناهض منتصر من غير شك ؛ ففيه حب الحياة وطمـوح الى الرقى ، وفيـه قوة على الجهاد وصبر على المكروه ، وفيه نبوغ واستعداد للنبوغ • انظر الى صاحب الصحيفة التى تصدر فى هذه المدينة ، لقد عرض عـلى الفتى المدير ١٥٠ فرنكا فى الشهر على أن يـكتب لصحيفته فصـلا فى كل يوم • فهو اذا يستطيع أن يعيش خارج المكتبة ، وهو يستطيع أن يغضب المأمور • هذا كله فى الأقاليم ، فكيف به لو ذهب الى باريس !

أما صاحبه فهادىء معتدل قانع فيلسوف ، ينصح لرئيسه بالهـدوء والدعة والرضا بما هو فيه ، وينصح له بنوع خاص بألا يلتمس فى الحياة الا هذه السعادة الهادئة العادية • وما له لا يفكر فى هذه الفتاة المعلمة التى تحبه وتتردد على المكتبة من أجله ، وتتمنى أن تكون له زوجا ! أليس هـو يحبها أيضا ؟ ! بلى ! ! هو يحبها ، ولكنه لا يتعجل هذه السعادة ، وانما يريد أن يصل الى الثروة والمكانة قبل أن يفكر فى الزواج •

فأمـــا وقد تحدث الرجلان فى الحب ، فلم يكن بد لصاحبنا المســـاعد الفيلسوف من أن يذكر حبه أيضا ؛ فهو أيضا يحب ، ولكنه يحب من غير أمل • يحب امرأة لا يعرفها ولا ينتظر أن يعرفها ، رآها مرة فى باريس وقد كان يمشى الهوينا فى الغابة فاذا هى تنزل من عربتهـا واذا منديلها يسقط فيلتقطه هو ويدفعه اليها فتأخذه شاكرة ، وهذا يكفى ليذكى فى قلب صاحبنا للحب جذوة متوقدة • وصاحبنا الفيلسوف يحتمل هـــذه الجذوة وما لها من لذع ، ولكنه يعلن أنه ان رأى هاتين العينين السوداوين مرة أخرى فلن يستطيع أن يضبط نفسه ولن يكون له على حبه سلطان •

وهذه الفتاة المعلمة قد أقبلت تكلف مساعد المكتبة أن يعد لها جزءا من «لاروس» لتنظر فيه بعد حين • ولكنها رأت المدير فتتحدث اليه ، ويدعوها هو الى مكتبه ليظهرها على بعض الصحف التى وصلت من باريس فتمتنـــع عليه • فاذا سألها لمـــاذا ؟ أجابته : لأنى ان تبعتك الى المـكتب حاولت أن تقبلنى كما حاولت فى المرة الماضيـــة ، فأمتنع عليك فنتغاضـــب • وفيم نتغاضب ونحن صديقان ! على أنى لا أكره أن تقبلنى بل قد أجد فى ذلك سعادة ، ولكن قبل أن أسمح لك بهذه اللذة ولنفسى بهذه السعادة يجب أن تخطبنى ، ويجب أن أعرف متى نقترن ، ولم لا نقترن ؟

فاذا ذكر لها طمعه فى الثروة والمكانة دهشت وأعلنت اليه أنها راضية بمكانتها ومكانته ، وأنها ترى أنهما يستطيعان أن يعيشا سعيدين ، وأخذت ترغبه فى الزواج وتذكر له أمورا من شأنها أن تشجعه عليه ومن هـــذه الأمور أنها تحبه • ولكنه مصر على الثروة قبل كل شىء ، فتدعه على أن تعود لتنظر فى دائرة المعارف • وما تكاد تخرج حتى يأتى « جونيل » هذا الرجل الغنى الذى يرشح نفسه لمجلس الشيوخ ، يأتى لأنه قرأ الفصل الذى نشره الفتى فى الصحيفة فجاء شـــاكرا • ومـــا هى أن يرى الفتى ويتحدث اليه حتى يعجب به فيعرض عليه أن يكون سكرتيره ، وأن يرافقه الى باريس • ولا يحتاج الى الالحاح على الفتى فى ذلك فقد قبل الفتى • وما له لايقبل وهو سيذهب الى باريس ، وسيعمل فى السياسة ، وسيكون يد هذا الرجل اليمنى حتى يصل الى مجلس الشيوخ ثم الى الوزارة • ومن

يدرى ! ماذا يجنى هو فى أثناء هذا كله ! على أن صاحبنا الشيخ ينبئه بأنه يخوض غمار الانتخابات على كره من زوجه فهى لا تحب السياسة ، ولكنه واثق بالانتصار عليها ، وهو يعلم أن امرأته ستغضب حين تعلم أنه قد اتخذ له سكرتيرا ولكن غضبها لن يطول فهو يوصى الفتى بالأناة والرفق • أما الفتى فقد قبل كل شىء وهو يترك صاحبه ليكتب الاستقالة • ولا يكاد يخلو الى نفسه حتى تأتى امرأته ، فإذا هى ، كما قدمنا ، شديدة السخط على السياسة ، شديدة البغض لاندفاع زوجها فيها • ولا يكاد زوجها ينبئها بأنه اتخذ له سكرتيرا حتى تثور • ولكن السكرتير قد أقبل وقد نظرت اليه فتحس أنه وقع من قلبها ، وهى تتلقاه متكلفة بعض الفتور ، وتدعوه الى العشاء متكلفة بعض الفتور أيضا •

وينصرف الزوجان وتعود الفتاة المعلمة ، فلا تكاد تتحدث الى صاحبها وتعلم باستقالته واعتزامه السفر الى باريس حتى يأخذها الحزن والجزع والاضطراب ، وهو يهدئها ويخطبها ويعدها ، ولكنها لا تحفل بذلك ولا تكاد تصدق منه شيئا • وهى تدع صاحبها وتنصرف الى الكتاب تريد ان تنظر فيه فلا تستطيع • وأنى لها ذلك وقد ملكها الاضطراب فهى لا ترى الا صاحبها ، ولا تفكر الا فى سفره • وهى فى ذلك واذا امرأة تدخل وتسعى فى خفة حتى تصل اليها فتقبلها ، فاذا التفتت رأت أختها « بوليت » وهى لم ترها منذ سنتين ، منذ انقطعت هى الى التعليم ومضت الأخرى مع أول رجل غنى لقيها • وأختها تنبئها بأنها كانت مسافرة معه الى نيس ، حتى اذا وصلا الى ديجون ذكرت أختها فقالت له يجب أن نفترق هنا لأرى أختى وسألقاك آخر النهار • فاذا سألت أختها من هو ؟ أجابت : هو ! هو الذى تعرفينه ، هو جوستاف ! على أنى سألقاه آخر النهار ، ولم أشأ أن أصطحبه حتى لا أعرضك لسوء القالة • فاذا سألك عنى أحد فقولى انى معلمة فى باريس وأنت تذكرين أنى كدت أكون معلمة فى باريس لولا أن وصل جوستاف • كلا ! لم يكن جوستاف ، وانما كان ادوار • ثم تمضى فى هذا الحديث السريع حتى تسأل أختها عن حالها ، فما أسرع ما تتبين أنها محزونة ! وما أسرع ما تفهم سبب هذا الحزن ، وما أسرع ما يظهر حبها لأختها وحماستها فى الدفاع عنها • وبينما أختها تجذبها للخروج من

المكتبة اذ يقبل مدير المكتبة ، فما أسرع ما تعرف هذه المرأة أنه هو الذى تحبه أختها ، فتأخذ فى لومه وتعنيفه وترغيبه عن باريس ٠

* * *

واذا كان الفصل الثانى فنحن نراه جالسا الى المنضدة وفى يده القلم وصاحبه الشيخ يملى عليه بدء منشور انتخابى ٠ ولكن الرجل لا يكاد يقيم الجملة الأولى من المنشور ، فهو يتردد ويضطرب ويستأنف القول ثم يعيده ثم يستأنفه دون أن يستطيع التقدم ٠ فيعرض عليه كاتبه أن يفعلا كما فعلا فى المرة الماضية ٠ فما أسرع ما يقبل مسرورا ، واذا هو قد جلس الى المنضدة وأخذ القلم ونهض الكاتب فأخذ يمشى فى الحجرة مليا ، واذا الكلام متصل مستقيم ، والجمل يتبع بعضها بعضا فى غير تردد ولا اضطراب ، والشيخ راض مبتهج يعلن فى سذاجة أنه لا يحسن الكتابة الا اذا جلس هو وأخذ القلم ومشى كاتبه وأملى ٠

وهما فى ذلك واذا امرأته قد أقبلت ، فاذا رأت ذلك دهشت وأخذها شىء من الضجر لم تحاول قط اخفاءه ٠ ثم تأخذ فى لوم زوجها على السياسة ودخوله فيها ، وتسأله عن حفلة راقصة يريدان اقامتها : أتكون فى الرابع عشر أو الخامس عشر من الشهر ؟ فيتردد ثم يذكر أن بينه وبين الناخبين موعدا فى هذين اليومين ولكنه لا يعرف أيهما ، ثم يلتمس كتاب الناخبين اليه فلا يجده فيذهب كاتبه لالتماسه ٠ ولا يكاد يخلو الى امرأته حتى تطلب اليه أن يقيل هذا الكاتب فيعاتبها لأنها تلقى هذا الشاب بفتور بعد أن كانت قد لقيته أول الأمر فى شىء من الظرف واللطف ٠ ولكنها تلح عليه فيأبى ٠ ونفهم من حديثهما ومن الحاحها أن بينها وبين هذا الفتى حبا أو شيئا يشبه الحب ، وهى تريد ألا تصل الى خيانة زوجها ٠ ولكن الرجل سليم القلب لا يفكر الا فى السياسة والانتخاب ومجلس الشيوخ ٠ فاذا أبى عليها ويئست منه تركته وجاء الفتى ، وهما باستئناف العمل ، ولكن معين الفتى فى المكتبة قد جاء فتركهما الشيخ على أن يستأنفا العمل بعد حين ٠ وما هى الا أن يتحدث الفتى الى مساعده القديم حتى نفهم أنه قد رأى العينين السوداوين مرة أخرى : رآهما هناك فى المكتبة فى ذلك اليوم

المشهود يوم كانت المعلمة تنظر فى الكتاب فجاءت أختها • هو اذا عاشق لأخت هذه المعلمة ، وقد كان صادقا حين أعلن أنه لن يملك نفسه أن رأى عينيها مرة أخرى • وقد رأى عينيها بل جلس معها الى مائدة المعلمة ففقد الرشد أو كاد ، واستقال على كل حال وأقبل الى باريس ولن يفارقها • وهو سيىء الحظ ؛ فقد ذهب الى دار هذه الفتاة واستأذن عليها فتركته ينتظر نحو الساعة ، ثم خرجت ومعها ثلاثة رجال فمرت به مسرعة وهى تقول : اذا لقيت أختى فبلغها تحيتى • وهو سيىء الحظ ؛ فقد التمس العمل فلم يظفر بشىء ، وذهب الى « بلوك المخدم » وبينهما صلة ، فأبى هذا الرجل أن يلقاه • فلما ألح عليه أمره بالعودة الى الاقليم • وصاحبه الفتى يأمره بمثل هذا ، ويضرب له موعدا بعد ساعات ليطعما معا على أن يسافر هو بعد العشاء • أما هذا الرجل فيقبل الموعد ويقبل العشاء ولكنه يرفض السفر • وقدخرج وجاءت امرأة الشيخ ، فأنبأت الفتى أن زوجها قد خرج يتروض ، وأنها تريد أن تتحدث اليه ، ثم أعلنت اليه فى صراحة أنها قد طلبت الى زوجها اقالته فرفض • واذا فهى تطلب اليه أن يقيل نفسه لأنها تحب زوجها ، وتكره أن يعاشرهما ثالث • أما هو فيعدها بالاستقالة والسفر ، ولكنه ينتهز هذه الفرصة التى لن يراها بعدها ليعلن اليها فى صراحة أيضا أنه يحبها حبا لا حد له ، وأنه لو شاء لأظهر لها هذا الحب ، ولكنه أراد أن يكون رجلا شريفا فكتم حبه ، فأما الآن وسيفارقها فراقا لا لقاء بعده فلا جناح عليه أن يعلن اليها هذا الحب • فاذا أرادت أن تأخذه بالصمت مضى فى الحديث وأعلن اليها أنها شجعته على هذا الحب • أليست قد اعتمدت على يده مرة فى الملعب وبقيت معتمدة عليها ما استمر التمثيل !! أليست قد التصقت به التصاقا مرة فى العربة يوم عادا الى البيت منفردين !! فلو لم يكن رجلا شريفا لانتهز احدى هاتين الفرصتين وأعلن اليها حبه ، ولكنه لم يفعل ، وهو اذ يفارقها لا يؤلمه الا أنها ليست وفية لزوجها • فاذا أخذت تنكر عليه ذلك أخذ يتهمها بأنها تحب فلانا وتداعب فلانا حتى تضيق به ذرعا فتعلن اليه أنها لم تخن زوجها ، ولولا حرصها على الوفاء لزوجها لما طلبت اليه الرحيل ، ولكنها تحبه وتخشى ان أقام أن تقع فى الاثم • فاذا سمع هذا فهو سعيد ، وهى أيضا سعيدة ، وهى لا تتعجله

فى السفر بل تطلب اليه البقاء ولكنها قلقة ٠ أما هو فجرىء ! انظر اليه يسرع اليها يريد أن يأخذها بين ذراعيه ، ولكنها تتحرج وتأبى عليـه الا حبـا بريئا ، ولا تسمح له الا بقبلة بعينها يضعها بين شعر رأسها لا يتجاوز هذا الشعر ٠ وانه لفى هذه القبلة اذ يحسان حركة فيفترقان ، واذا الزوج قد أقبل ، فتلقاه متبسمة ، وتعلن اليه أنها قرأت بعض منشوراته الانتخابية فرضيت عنه ٠ وهو يبتهج حين يراهـا مسرورة راضية ٠ ولـكنه لم يقبل وحده بل أقبل ومعه أحد الناخبين ، فهو يدعو سكرتيره ليتحدثا مع هذا الناخب ٠ وتخلو المرأة الى نفسها فتجلس مفـكرة وفى يدها ورق كأنها تنظر فيه ٠ وبينا هى فى ذلك اذ يقبل زوجها دون أن تحسه ٠ فاذا نظـر اليها جالسة هكذا راقته فسعى اليها فى خفة ورشاقة حتى يضع شفتيـه من شعرها حيث كان الآخر قد وضع شفتيه ٠ أما هى فقد أحست شفتيه فى شعرها فلم تفكر الا فى صاحبها ، واذا هى تقول له : فالنتين ! أنت مجنون ٠٠٠ ان زوجى يستطيع أن يأتى الآن ٠ قدر أنت وقع هذا الكلام فى نفس الشيخ حين يسمعه ٠

* * *

فاذا كان الفصل الثالث فنحن فى مكتب المخدم « بلوك » وأنا أعفيـك من وصف هذا المخدم وأعماله وأعوانه ٠ ولـكننا نرى فى مكتبه مسـاعد المكتبة الذى رأيناه فى أول القصة ، وقد أقبل الآن يلتمس عملا ، والمخدم يأبى أن يلقاه ، حتى اذا ألح دفع اليه بعض النقد وصرفه وأخذ فى عمله ٠ وأذا « كلوتيلد » زوج الشيخ قد أقبلت تستأذن عليه فاذا أذن لها أنبأته بأنها تلتمس شابا يقال له « فالنتين بريدو » وقد جاءت تستعين به على أن تلقاه وقد افتقدته منذ شـهرين ، فيعدها خيرا ويطلـب اليها صـورته الفتوغرافية ٠ فتنصرف لتأتى بها ، ويأتى مكانها « فالنتين بريدو » نفسه يطلب عملا ٠ فاذا سأله المخدم عما يحسن قال انه نال البكالوريا ، ولكن البـكالوريا لا تفيد شيئا ! وان عنـد هذا المخدم من العمال والأعـوان أشخاصا نالوا البكالوريا فى العلوم والآداب ، ولكن باريس قد ضـاقت بهم ، وانه ليعرف قوما معهم الليسـانس فى الحقوق وهم يقودون عربات

النقل ، ثم أخذ يبحث فى دفاتره فلم يجد ما يعرضه على هذا الشاب الا عمل خادم عند رجل يحزم الأمتعة ، فيأبى الشاب • ولكنه قد وقع من نفس المخدم وأعجبه ، فأخذ المخدم يعرض عليه العمل عنده ويطلب اليه أن يبدأ فيبحث عن فتى يقال له « فالنتين بريدو » • فاذا سمع الفتى اسمه دهش وقال : غدا سآتيك به آخر النهار • وقد تركه المخدم لبعض عمله وأقبلت « كلوتيلد » فالتقيا وتحدثا واطمأن كلاهما الى صاحبه واستوثق كلاهما من حب صاحبه وكان بينهما الميعاد • ثم ينصرفان ويعود المخدم تتبعه بوليت وأختها المعلمة • ونفهم أن هذه الفتاة قد ضاقت بحياة الأقاليم ذرعا بعد أن تنافر خطيبها الى باريس ، فاعتزمت أن تترك التعليم وأن تعيش فى باريس • وأقبلت الى أختها فلقيت عندها الشبان الأغنياء وأخذوا يعرضون عليها حياة اللهو فترفض ، وهى الآن تلتمس عملا شريفا • فأما العلوم التى تحسنها فالرياضة والتاريخ الطبيعى والرسم والموسيقى • ولكن هذا كله لا يغنى عنها شيئا ، وكل ما يستطيع الرجل أن يعرض عليها انما هو العمل فى مطعم حقير ، فتتردد ثم تقبل وتهمان بالانصراف • ولكن اختها قد القت فى أذن المخدم أنها لا ترضى بهذه الحياة لأختها ، وأنها تعلم حق العلم أنها ما زالت تحب ذلك الفتى الذى عشقته هناك حيث كانت معلمة ، وأن هذا الفتى فى باريس ، وأنها تريد منه أن يلتمسه واسمه « فالنتين بريدو » • وتخرجان ، ويأتى جونيل يلتمس عند هذا المخدم سكرتيرا • وانهما لفى الحديث اذ يهمس الخادم فى أذن سيده أن الفتى الذى استخدمه اليوم قد عاد يريد أن يخبره ببعض الأمر • وهنا يتنبه المخدم الى أن هذا الفتى يستطيع أن يكون سكرتيرا لجونيل ، فيعلن الى جونيل أنه قد ظفر له بما يريد ، ثم يأمر بادخال الفتى فاذا دخل ورآه جونيل أخذته ثورة وغضب وصاح : هذا فالنتين بريدو ! هذا هو السكرتير الذى أقصيته ! ثم انصرف لا يلوى على شىء •

* * *

فاذا كان الفصل الرابع نحن فى فندق حقير او كالحقير حيث يقيم « فالنتين بريدو » وقد قبل أن يعمل عند حازم الأمتعة ليعيش • وقد

اتصلت الرسائل بينه وبين « كلوتيد » وقد وعدته أن تزوره اليوم ، فهيأ غرفته وزينها بالزهر ووضع فيها ألوانا من الحلوى وخرج لبعض أمره ٠ وأقبل جونيل ومعه المخدم يلتمسانه ٠ ونفهم من حديثهما أن جونيل قد ظفر فى الانتخاب وأصبح شيخا ٠ وهو يشعر بأنه مدين بهذا الفوز لهذا الشاب الذى رشحه وأيده وأعانه حتى بلغ ما بلغ من الفوز ٠ وهو رجل وفى خير يريد أن يكافىء هذا الشاب على حسن بلائه عنده ، ولكن غيـاب الشاب قد طال ، فينصرف الشيخ على أن يعود ٠ وقد أقبل الشاب بعـد ذلك فيلقى مساعده القديم قد ساءت حـــاله الى حد منكر ، وقد عـــاد الى فلسفته الأولى واعتزم العودة الى الاقليم ٠ ولكن صاحبه يشجعه على البقاء فى باريس ، ويرى أن الحياة جهاد ، وأنه يجد لذة لا تعدلهـا لذة فيما يلقى من الألم فى عمله الجديد وما يستلزمه من حمل الأثقال ٠٠٠ وأى عظماء الرجال لم يشق فى أول حياته ! وهو كذلك اذ تقبل «بوليت» ٠ فاذا خلت اليه لامته وأنبأته أن أختها قد تركت التعليم ، وأنها قد أقبلت الى باريس ، وهى الآن تعمل فى معمل حقير ، وهى واقعة فى الاثم لا محالة اذا مضى فى قطيعتها ٠ فيذكى هذا الحديث فى نفسه جذوة الحب القديم وكأنه كان نسيه ، فأما الآن وقد ذكره فقد ملأ هذا الحب قلبه فجأة ، واذا هو يطلب الى « بوليت » أن تشجع أختها وتدعوهـــا الى الصبر والاحتمال ، فما زال يحبها وما زال حريصا على أن يتخذها له زوجا ٠ أما هى فقد عرفت أنه ما زال محبا ، واكتنفت بذلك وانصرفت ٠

وتقبل « كلوتيلد » لميعادها ، وهى مضطربة مروعة ، فهى مقبلة عـــلى الاثم وخيانة زوجها ، وهى مقبلة فى هذا الفندق الحقير وفى هذا الحى الذى لا عهد لها به ٠ وبينا هى فى روعها واضطرابها اذا صاحبها فى اضطـراب آخر ليس أقل من اضطرابها ؛ فقد ذكر المعلمة وحبها البرىء وزواجهما ، وتبين أنه لا يحب هذه المرأة ، وأنما هى فتنة عرضت له ثم انجلت غوايتها عنه قبل أن يتورط فيها ٠ هو اذا على بصيرة من أمره ، والمرأة على بصيرة من أمرها أيضا ٠ وانظر اليهما لا يكادان يبتدئان الحديث حتى تقع بينهما الخصومة : عرض بزوجها فغضبت له وأخذت تحمده وتنوه عنه وتفخـــر

بفوزه فى الانتخاب • وما هى الا آن يحسا جميعا أن ليس بينهما حب ، وانما هى فتنة قد خدعتهما ؛ واذا فليتصافحا وليفترقا صـــديقين لا شر بينهما ولا اثم ولا ريبة • وهما يفعـلان وهى تنصرف ، واذا المعلمـــة قد أقبلت مبتهجة ، ولكنها لم تكد تدخل الغرفة وترى هذه المرأة منصرفة منها حتى عاودها اليأس • كانت أختها قد أنبأتها أن الفتى ما زال لها محبا ، فأسرعت اليه مستعدة للتضحية والجهاد معا • ولكنها ما كادت تصل حتى رأت امرأة تخرج من عنده ورأت طاقات الزهـر وألوان الحلوى ••• فهى ساخطة ثائرةمزدرية لنفسها تضحكوتبكى فى وقتواحد ، وهو يستعطفها ويترضاها ويبسط لها الأمر على جليته فتصدقه أو تكاد تصدقه • وهما فى هذا الحديث اذ يقبل «جونيل» فيصافح الفتى ويعلن اليه أنه قد فاز ، وأنه مدين له بهذا الفوز ، وأنه قد جاء يعرب له عن حسن بلائه ويدفع اليه ورقة هى كتاب تعيينه مأمورا لأحد المراكز • يقع هذا فى سرعة ، ولـكنه لايخلب الفتى ولا يطير بلبه ، وانما يتقبل الفتى هذا كلههادئا ويقول لاحدى جاراته : بعد قليل سأكون مديرا ثم عضوا مكانه فى مجلس الشيوخ •

الغرباء

قصة تمثيلية للكاتب الفرنسي

هنري بيك

ليس هذا العنوان مشوقا ولا خلابا ، وربما كان منفرا ثقيلا على السمع • ومع ذلك فلست أعرف عنوان قصة تمثيلية اشد من هذه القصة صدقا وأكثر منها تأثيرا فى النفس ، وأبرع منها فى تصوير لون من الوان الحياة القاتمة المحزنة التى نراها ، فلا يحسن ظننا بالانسان ولا فيما انتهى اليه من حضارة ورقى •
نعم ! نحن بازاء قصة جيدة ••

وأنا أصفها بهذا الوصف من غير تحفظ ولا احتياط ، لأنها خليقة به حقا • هى جيدة من كل وجه ، جيدة فى موضوعها لأنه من هذه الموضوعات التى نشهدها فى كل يوم وفى كل مكان على اختلاف ظروف الحياة وأجيال الناس ، نشهده فننكره أشد الانكار ونحزن له أعمق الحزن ، ونسخط عليه أشد السخط ، حتى لقد أصبح ذلك شيئا شائعا مستقرا عنيت به الديانات ومذاهب الأخلاق • وأى الناس يجهل سخط الديانات والأخلاق وعرف أخيار الناس على هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى وينعمون بشقاء البائسين ، ويستغلون ضعف الضعيف ليتخذوا منه لأنفسهم قوة وبأسا • القصة جيدة فى معناها وأسلوبها أيضا • فأنا زعيم لك ان قرأتها ألا تجد فيها اسرافا ولا قصورا ، ولا تجاوزا لحدود الفن ، ولا نبوا عن السهولة والسذاجة اللذين يلائمان طبع الطبقات الوسطى من الناس • أنا زعيم لك بأنك ستقرؤها فلا تجد فيها عنفا ولا شدة ، ولا عناية قليلة أو كثيرة بالتأثير فى نفسك والاستثارة لعواطفك ، ومع ذلك ستثور لأن القصة طبيعية بريئة من التكلف • ولست أعرف شيئا أبلغ فى اثارة العاطفة والتأثير فى النفس من الطبيعة الصادقة يمثلها الكاتب أو الشاعر تمثيلا صادقا • والقصة جيدة فى لفظها ، فقد تقرؤها على طولها دون أن تجد فيها لفظا غريبا ، بل دون أن تحس فيها أن الكاتب قد تخير ألفاظه أو تأنق فيها ، وانما هو كلام يجرى مجرى

الطبع ويسير مسير الأحاديث العـادية بين أوسـاط الناس ، دون أن يكون فيه مع ذلك فساد أو ضعف أو اضطراب ٠

القصة كلها طبيعية ، وهى طبيعية من أى نحـو قصدت اليها ٠ ومن هنا قلت ـ وما زلت أقول ـ انك لن تستطيع أن تقاومها ولا أن تعصم نفسك من التأثر لها ٠ وأحسـب أنك لن تسـتطيع أن تقرأ الفصـل الثالث والرابع منها محتفظا بهدوئك وسكونك ودموعك ٠ نعم ! أعترف بأنى من أشـــد الناس مقاومة لبراعة الـكتاب والشعراء والممثلـين ٠ وهذه المقاومة نفسها هى التى تمكننى من النقـد وتيسر على الحكم اذا قرأت قصـة أو شـهدتها ٠ ولكنى على شدة مقاومتى هذه احتجت أمس الى أن آخذ نفسى بشىء من العنف ، وأنا أقرأ هذه القصة لأحتفظ بهذه الابتسامة التى تعودت أن أسمع معها كل أثر فنى ٠ وليت أريبه أن أطيل فى المقدمات ، فلأهجم بك على القصة نفسها ، وأنا واثق كل الثقـة بأنى لن أستطيع أن أؤثر فى نفسك تأثير القصة نفسها ، لأنى لم أوفق مهما أبذل من جهد لأن أكون فى هذا التلخيص من السـذاجة والسـهولة بحيث كان الكاتب نفسه حين وضع قصته ٠

ما أجدر هذه القصة أن تقرأ ! وما أجدرها أن تترجم ! وما أجدرها أن تعرض على الناس فى ملاعب التمثيل العربى ! ٠٠ فكأن الكاتب لم يضعها لفرنسا ، وانما وضعها لمصر ٠ ولم لا نكون صادقين فنقول انـه وضعها للعـالم كله ! وأى بلد يخلو من أولئـك الذين يأكلون أمـوال اليتامى ظلما فيأكلون فى بطونهم نارا ويستعدون لأن يصـلوا يوم القيامة سعيرا ٠

* * *

نحن فى باريس فى بيت تظهر عليه آثار النعمة ٠ قد رفع الستار ، فاذا نحن نرى أسرة مجتمعة ، لا نكاد نراها ونسمع لها حتى نشـعر بأنها أسرة سعيدة مغتبطة ، قد ألف الحب بين قلـوبها فاطمـأنت الى يومهـا وابتسمت لغدها ٠ نرى شيخا قد استلقى يستريح بعد الغداء

وفى يده صحيفة ينظر فيها والنوم يغالبه ، وهذا الشيخ هو « فينرون ، زعيم الأسرة . ونرى امرأة ليست بالشابة ، ولكنها ليست بالشيخة أيضا . ونرى فتاة قد جلست الى البيانو ، وهى « جوديت » أكبر شباب هذه الأسرة ، وفتاة أخرى قد جلست قريبا من أبيها الى بعض هذه الأعمال اليدوية التى يعنى بها النساء ، وهى « مارى » الثانية من شباب هذه الأسرة . ونرى فتاة ثالثة لما تبلغ العشرين ، قد جلست الى مائدة تكتب ، وهى « بلانش » الثالثة من شباب هذه الأسرة ، ونسمع ذكر غلام سنراه بعد حين يسمى « جاستون » وهو آخر أبناء هذه الأسرة . انظر الى الفتاة مبتسمة تكتب . وليس يشك من رآها فى أنها معنية بأمر ذى بال ، وكيف لا ! أليست تكتب أسماء الذين سيتناولون العشاء على مائدة أبيها مساء هذا اليوم وتعنى بترتيبهم فى مجالسهم ملاحظة فى هذا الترتيب أقدارهم وأعمارهم ! ثم أليست بطلة هذا العشاء ، فهو انما يقدم الى الناس احتفالا بخطبتها وتمهيدا لقرانها وقد انهضت أمها فأخذت تناقشها فى أماكنهم ، وتذكر كل واحد منهم ثم تعقب بحكم له أو عليه . وقد أفاق الشيخ من غفوته ، فسمع ابنته تذكر ساخطة اسم أحد المدعوين ، وهو « تسييه » ، فاظهر غضبا ولوما ، وانذر ابنته بأنها ان عادت الى مثل هذا فسيحرمها حضور المائدة وسيلغى زواجها . ذلك أن هذا الرجل الذى تكرهه هذه الفتاة هو مصدر نعمته وشريكه فى عمله ، فيجب اكباره والوفاء له . والأسرة مختلفة دائما فى هذا الموضوع اختلافا شديدا ، فأما الشباب فيكره هذا الرجل كرها عنيفا لأنه ثقيل النفس بغيض ، غليظ الحديث ، بخيل شديد الأثرة . وأما الشيخ فلا ينظر الى شىء من هذا كله ، وانما ينظر الى أن هذا كان مصدر ثروته ، وما هو فيه من نعيم . وأما الأم فتتوسط بين الشيخ والشاب ، ولهذا يتخذها الشيخ حكما كلما اختلف مع بناته فى أمر هذا الرجل . يتخذها حكما فى كل يوم ، لأن هذا الخلاف يتجدد فى كل يوم . وهى تعيد فى كل يوم صيغة بعينها يحبها الشيخ ، فهو يستعيدها ، ويضحك منها الشاب ، فهو يستعيدها أيضا ، وهذه الصيغة تختصر تاريخ الأسرة التى كانت فقيرة معدمة ، ولكنها

شريفة عاملة ، حتى نفى هذا الرجل الغنى زعيمها ، فطلب اليه أن يدير معملا له ، فقبل ، ووفق فى عمله ، فأصبح شريك رئيســه ، وأخذ يكون لنفسه ولولده ثروة لا بأس بها · واذن فهو مدين لشريكه بالثــروة ، ولكن شريكه مدين له بالنجح · واذن فليس لأحد منهما على صـاحبه فضــل ·

كل هــذا يعرض عليك تاريخ الأسرة ومــا بين أعضائها من حــب وألفة ، وماتستقبل به الحياة من سعادة قوية وأمل مبتسم ، ولا سيما بعد ما لقيت من ضيق وعناء · ولكن شيئين آخرين يجب أن تعلمهـا : الأول أن هـذا الشيخ مريض تظهـر عليه آثار علة خفية، وهو يجاهد هــذه العلة ويريد أن يمضى فى عمله وفى تـكوين ثروة ضخمة لبنيــه ، فهو لا يكتفى بنصيبه من المعمل وانما يشترى أرضا ويقيم عليها دورا ، وكل هذا العمل يجهده ويضنيه · وأهله قلقون مشفقون · واسمع الى ثانية بناته تلومه فى رفق ولطف ، لأنه لا يعنى بصحته فلا يستريح ، ولا يعرض نفسه على الطبيب

الثانى أن صغرى هؤلاء الفتيــات قد خطبت وتمت خطبتهـا ، وهى سعيدة ، وأمها راضية ، ولكن الشيخ غير مطمئن لهذه الخطبة ولا مبتهج بهذا الزواج ، وهو لا يميل الى صهره الشاب ولا الى أمه الأرمـلة الفقيرة ، ولكنه لا يستطيع أن يعلل هذا النفور · وهو الآن يريــد أن ينصرف الى عمله ، ولكنه يحب بناته ، ويحب زوجــه ، ويحب حياة الأسرة هذه ، فهو يتردد فى الخروج ، ويدعو ابنته الى أن توقع له لحنــا على البيانو فتفعل · وقد دخل الغلام ، فاذا الشـيخ يلقاه بهذه اللهجة التى امتاز بها الآباء الفرنسيون ، لهجة التعنيف يملـؤه العطف والحنـان ، واذا الرجل يمازح ابنه ويداعبه فى حرية ورضا ، واذا هو يضــع فى جيبه النقود وان كره الغلام ، واذا هو يبيح له أن يلهو كما يشاء عـلى أن يكون شديد الاحتشام اذا دخل البيت حتى لا يظهر أخواته من سيرته على شىء ، واذا هو يعرض نفسه على ابنه ليكون مشيره وناصحه فيمـا يعترض له من الصعاب ، واذا هو بعــد ذلك قد استحال الى الجد فهــو

يعلن الى ابنه أن أمد هذا اللهو سيكون قصيرا ، وانه سيستعين به فى أعماله الكثيرة · وانظر الى هذا الشيخ قد جمع بنيـــه وامرأته فقبلهن جميعا ثم مضى لعمله ، وأخذت الأم تأمر بناته أن يتهيـأن للعشـــاء ، ويتخذن زينتهن لاستقبال المدعوين فخرجن ، ولكنها تدعو صغرى بناتها فتزجرها فى لطف وتنذرها فى حنان لأنها تسرف بعض الاسراف فى مداعبة خطيبها وتتجاوز حدود اللياقة ، وأمها لا تسمح بهذا ولا ترضاه· ولاتكاد تخلو هذه الأم الى نفسها حتى يستأذن عليها الخادم لزائرة فتأذن ، وتدخل هذه الزائرة وهى « مدام دى ســـان جنيس » أم الخطيب ، قد أقبلت ولما يأت ميعاد العشاء ، وهى تعتذر ثم تأخذ فى الحـديث ، فما أسرع ما نفهم نفسيتها ، وما أسرع مانبغضـــها ونسخط عليها ، وما أسرع ما يزداد حبنـا لهذه الأسرة الطاهرة الوادعة البريئة · ولا تكاد هـذه الزائرة تتحدث حتى نشعر بأنها امرأة مـــادية غالية فى الطمـع لا تتردد فى الطرق التى توصلها الى الثروة · قد عرفت الناس فساء ظنها بهـم واشتد ازدراؤها لهم ، فهى تستغل نقائصهم لا أكثر ولا أقل · اســـمع اليها تلوم صاحبة البيت لوما شديدا لأنها لا تتقرب من شريك زوجهـا ولا تتلطف له ، مع أن هذا الشريك متقدم فى السن ضخم الثروة لا وارث له · أليس من الخير أن يتملق ويخدع لعـــله يوصى بثروته كلها ، أو بعضها لهذه الأسرة ؟ أما صاحبة البيت فتظهر نفورا شديدا من هـــذا الطمع والخداع ، ثم تقول لزائرتها انها لا تستطيع أن تسلك مثل هـــذه الطرق ، ومع ذلك فأنت حرة فى سلوكها بعد زواج ابنينا ! لعل هـــذا الشيخ يختص الأسرة الجديدة بعطفه ومودته وميراثه ·

وقد دخل الخادم فاستأذن لمعلم الموسيقى ، فيدخل وتنصرف المرأتان وتأتى كبرى الفتيات ، فلا تكاد تتحـــدث الى أستاذها حتى نعلم أنها موسيقية لها حظ من البراعة ، فهى تضـــع الألحان الموسيقية ، وقـد وضعت لحنا تودع به أختها العروس ، وحتى نحس أن أستاذها يعجب بها ويتملقها وكأنه يريـد أن يداعبـها · ولكن صاحبة البيت وزائرتها وسائر أعضاء الأسرة قد اقبلوا ، وأخـــذ المدعوون يقبلون واحدا فواحدا

حتى اكتمل عددهم ، وهم يتحدثون فى لهو ولعب وبهجة ، ولكن الخادم قد دخل وهو يهمس فى أذن سيدته ، ثم يتبعه رجل آخر فدخل وطلب الى السيدة أن تنحى بناتها فتفعل ، واذا هـذا الرجل هو الطبيب قـد أقبل يعلن اليها أن زوجها أصابته السـكتة فمات ، وهذه جثته تحمل ..

* * *

فاذا كان الفصل الثانى فنحن فى البيت نفسه ، وقد مضى شهر أو نحو شهر على هذا الحادث ، وكل شىء فى هذا البيت يدل على الحـزن والأسى . ونحن نرى صـاحبة البيت لا تستطيع أن تكف دموعها ، وهى تتحدث الى زائرتها « مدام دى سان جنيس » فتشكو وتلح فى البـكاء ، وهذه الزائرة تتكلف تعزيتها وتسليتها تـكلفا ، فهى لم تأت لهـذا ، وانما أقبلت لشىء آخر . أقبلت لتعرف الحال المادية لهذه الأسرة بعـد أن فقدت زعيمها ، وهى تنصح لصاحبة البيت أن لا تثق بشريك زوجها ولا بمحاميه ولا بمهندسه . فترتاع المرأة لهذا كله ، ولا تفهم مصـدرا لهذه النصيحة الغريبة ، ذلك لأنها امرأة طيبة القلب شريفـة ، ترى أن الناس جميعا مثلها أخيار أطهار . ولكن زائرتهـا لا تذهب هذا المذهب ولا ترى هـــذا الرأى ، وهى تلح عليها فى أن تكون سيئة الظـــن بالناس جميعا ، وتذكر لها أنها انما تلح عليها فى هذا مخلصـــة ناصحة ، فهى امرأة ، ومن الحق عليها أن تعين امرأة مثلها . وهى لا تلتمس نفعـا من هذا النصح ، فقد يظهر أن زواج ابنيهما لن يتم ، وذلك لأن هـذا الزواج كان مشروطا بشروط ماليـة لم يصبح تحقيقها يسيرا ، وهى لا تستطيع أن تعرض مستقبل ابنها للخطر والضيق . فلا ترى صاحبة البيت جوابا الا أن تقول لها : كما تحبين . وقد خرجت هذه الزائرة ، ودخل « تسييه » شريك زوجها ، فاذا هى تلقاه بمثـل ما لقيت به زائرتهـا الأولى من الجزع والبكاء ، ثم يتحدثان فى أمر الميراث . وهنا يظهر بعض ما خبأت الأيام من البؤس لهذه الأسرة التى كانت سعيدة مغتبطة . كانت هـذه الأسرة تقدر أنها غنية حسنة الثروة ، ولم يخطر لها بعد أن مات زعيمها أنها ستلقى عنتا أو شدة . ولكن هـذه المرأة لا تكاد تتحدث الى شريك زوجها حتى تسمع نكرا من الأمر ، وحتى تقدر شرا كثيرا : أليس هذا

الرجل ينبئهـا بأن ميراث زوجها ليس شيئا يذكر ، وبأنـه ترك ديونا تكاد تستغرق الثروة وبأنه مضطر الى بيع المعمل ، وبأنه ينصـــح لها أن تبيع الأرض ، وبأن صفوة ما سيبقى لهذه الأسرة من الثروة لا يكاد يبلغ خمسـين ألف فرنك ! سمعت المرأة هذا فصـعقت له وأصـــابها شيء من الوجوم أخـــرجها عن طورها ، فاذا هى تنهـــر الرجل وتتركه مزدرية ساخطة ، والرجل مغضب ولكنه شرير ، فهو يتحدث الى نفسه ، بما نفهم منه أنه قد دبر العبث بهؤلاء اليتـامى واغتيال هـــذه الثروة ، وقد تم الاتفاق على ذلك بينه وبين المحامى ، ولكنه لا يخلو الى نفســـه طويلا ، فقد جاءت « مارى » وهى الفتاة الثانية من فتيات هـذه الأسرة ، وأخذت تهدئه وترضاه وتعتذر عن أمها وتتوسل اليه ألا يأخذ هـــذه المرأة الحزينة بما يضطرها اليه حزنها من الضجر وضيق الصدر • وقد وجدت هذه الفتاة سبيلا الى قلب هذا الوحش ، فهو يرق لها ويظهـر الميل اليها ، وقد استطاعت أن تظفر منه بالعفو عن أمهـا ، وأن تبعثه الى حيث هى ليزول مابينهما من خلاف فيجيبها الى ذلك ، وقد اشـــتد اعجابه بها وميله اليهـا • وينصرف الى أمها • ولا تكاد الفتـــاة تخلو الى نفسها حتى تدخل عليها أختها الصغرى ، فتتحـدثان ، واذا جزعهمـا عظيم ، ولكن الصغرى لا تخلو من عزاء فهى تفـكر فى زواجـها ، وهى تنتظر هذا الزواج ، فاذا عرضـــت أختها بأن هذا الزواج قد يكون عسيرا أظهرت الفتاة ايمانا بالمستقبل وثقة بخطيبها ، ثم أظهرت حرصها على هذا الزواج فى ألفاظ لا تفهمها أختها لأنها بريئة طاهرة ، أما نحن فقد فهمناها حق الفهـم ، وعرفنا أن هذين الخطيبين قد تجاوزا الحدود فى صلتهما ، وأن الزواج قد أصبح أمرا محتوما • وقد أقبـــل المحامى ثم أقبلت الأم وشريك زوجها ، وأخـذ الرجـلان يقنعـان المرأة بوجوب بيع المعمل وبيع الأرض أيضا • والمرأة تقاوم وتمـانع ، ولكن الرجلـين أقوى منها حجة وأشد منها مهـــارة ، وهما يمثلان لها ميراث زوجها عبئا مثقلا بالديون • ودخل المهندس فأراد أن يدافـع عن المرأة وعرض طريقة تضمن لها الثروة • ولكن الرجلين حاوراه حتى كان بينهم خصـــام

عنيف ، وانصرفوا جميعا وقد تركوا المرأة وبناتها يضطربن بين يأس منكر وتردد شديد ..

فاذا خلا النسوة الى أنفسهن تشاورن فى الأمر ، ولكنهن ضعاف لا يفقهن تدبير الثروة ولا يعرفن مواجهة الصعاب . وهن مختلفات يقلبن الأمر ظهرا لبطن ، واذا الخادم يحمل اليهن كتبا يقرأنها ، فاذا كلها تطالب بديون ، واذا هن واجمات ينظر بعضهن الى بعض دون أن يستطعن الكلام ...

* * *

فاذا كان الفصل الثالث فنحن فى البيت نفسه وقد مضت أسابيع على ما مر فى الفصل الماضى ، ونحن نرى أم الخطيب تتحدث الى الخادم ، فنفهم من حديثهما أنها أقبلت لترى خطيبة ابنها ولكنها ستنصرف لأن هؤلاء السيدات لسن وحدهن وانما يتغدى معهن « تسييه » . فاذا انصرفت وأقبل السيدات وأقبل معهن الرجل وتحدثوا عرفنا أن الصلات حسنة بين هذا الرجل وهؤلاء النسوة وأنه يكثر الترداد عليهن دون أن تتقدم أمور الميراث ، فهو فى الوقت نفسه يميل الى الفتاة ولكنه يريد أن يغتال التركة : هو رجل عملى يريد أن يظفر بالمال واللذة فى غير مشقة ولا خسارة ، وهن محتاجات الى المال وقد أثقل الدائنون عليهن وبالغوا فى الالحاح ، وهن لا يجرؤن أن يطلبن الى هذا الرجل معونة أو قرضا ، وهن يشعرن بأن هذا الرجل يحب احداهن فيكلفن هذه الفتاة أن تطلب اليه هذا القرض فتفعل بعد جهد ، ويقبل الرجل طلبها هذا متبرما به كارها له . وينصرف ليأتى بهذا المقدار من المال فالنساء فرحات مطمئنات ، ولكن المحامى قد أقبل وهو يحمل أنباء سيئة ويلح فى بيع الأرض لأن الدائنين الراهنين يلحون فى استيفاء ديونهم ويريدون الاستيلاء على رهونهم . ومهما تحاول الأم فلن تجد مخرجا من هذا الضيق الا التسليم ، والمحامى يذكرها بفقرها وحاجتها الى المال ، فاذا ذكرت له أنها قد اقترضت من شريكها لامها وأنبأها أنه يستطيع أن يقرضها مائتى شاه حتى تتم تصفية الميراث اذا كانت قروضها معتدلة . وقد عاد « تسييه » بالمال وخلا الى الفتاة فدفعه اليها وأخذ يداعبها

مداعبة الشيخ البخيل الحريص ، والفتاة جاهلة ، فلما فهمت ، أخـــذت تدافعه عن نفسها ، واذا هو يعرض عليها صفقة منكرة واذا الفتاة مغضبـه أبيـة ترد اليه ماله وتطرده طردا عنيفا • ولكن في هـذا الفصل موقفـا هو من أشد مواقف القصـــة تأثيرا ، وهو هـذا الموقف بين الخطيبـة وأم خطيبها • كانت هذه الخطيبة مؤمنة بصاحبـها واثقة به معتمدة عليه وكانت تعلم أن أمـــه تمانع في هـــذا الزواج ولا تشـــك في أن الفتى سينتصر على أمه • وقد أقبلت هذه الأم واذا هي تنصح للفتاة أن تعدل عن هذا الزواج وتحذرها الفقر والعاقة وماينشأ عنهما من ســوء العشرة بين الزوجين ، والفتاة تذكر حبها وتعتز به وتذكر الثقة بخطيبها وتلـح فيها حتى يشتد الخصام بينهما ، فاذا الفتاة عنيفة مرة ، رقيقة مرة أخرى ، تجثو وتبكي ثم تنذر وتوعد ، ثم يأخذها الغضـــب فتعلن الى المرأة ما كان بينها وبـين الفتى ولكن المرأة لا ترق ولا تلين وانما تنبئها بأن ابنهـا انصرف عن حبه وأذعن لأمـــه ، وتنصرف وقد تركت الفتاة في ذهـول ما أسرع ما استحال الى جنون وأهلها يحطن بها يردن أن يحملنها الى السرير •

* * *

فاذا كان الفصـــل الرابع فقـد تم كل شيء ، وظفر الشريك والمحامي بما كانا يريدان من اغتيـال ثروة هؤلاء اليتامى • واضطـرت هذه الأرملة وبناتها الى أن يتركن بيتهن الفخم ويأوين الى بيت متواضع عليه مظاهـر اليؤس والفقر ، وقد اتصل الغلام بالجيش ، وجنت الخطيبـة جنـونا متقطعا ، وأخذت المرأة تعيش مع ابنتيها الرشيدتين عيشة ضيق لا بد من أن تنتهي الى الاعدام • وكبرى بناتها تلتمس عملا لتكسب منه حياتها وحياة أمها وأختها ، تريد أن تعطي دروسا في الموسيقى ، فلا تلبث أن تعلم أن هـــذا مستحيل لأنها ان كانـت شريفة أكبرهـــا الناس دون أن يستأجروهـــا ، وان كانت لعوبا استأجرهـا الناس ولم يكبروها • تريد أن تتصل بملعب من ملاعب الموسيقى ، فيظهر لها أن هذا مستحيل الا أن تنزل عن عفتها وكرامتها • وهي حائرة محزونة ، تتحدث الى أختـها « مـارى » وليست أختهـا أقل حيرة ولا حزنا منها ، فهي أيضـــا تريد أن تعمل ، وقد التمست ألوانا من العمل فلم توفق لشيء الا أن تعرض

عفتها وكرامتها للخطر ..

ما أشق الحياة على المرأة الوحيدة ؟! على أن فى الجو شيئا يدعو الى الأمل ، ولكنه ثقيل بغيض لا يطاق : هذا الشريك الذى مازال بهؤلاء اليتامى حتى ابتز ثروتهن واضطرهن الى هذه الحياة المنكرة ، هذا الشريك كلف بالفتاة يريد أن يتخذها له زوجا . ألم يظهر حبه لها واعجابه بها فى غير موقف ؟ ولكنه شيخ وهو دميم ، وهو ثقيل بغيض الى النفس ، والفتاة لا تكرهه بل تعافه ، فماذا تصنع ؟ أترفض هذا الزواج ؟ واذا فهو الفقر والاعدام وما يتبعهما من ألم . وما تصنع بأمها ؟ أتكلفها العمل لتعيش ؟ وماذا تصنع بأختها المريضة وقد تزوج خطيبها ؟ أتضيف الى حزنها ومرضها ألم الجوع ، أم تقبل هذا الزواج واذا فهى الحياة المنكرة مع رجل تعافه ! واذا فهو ألم المرأة التى تبيع نفسها لتعيش ! واذا فهو ألم المرأة النبيلة الفقيرة حين تسمع الناس يتحدثون بأنها انما اقترنت بهذا الشيخ طمعا فى ثروته .. الفتاة تضطرب بين هذه الخواطر ! ولكن انظر الى هذه الأسرة كلها قد اجتمعت الى مائدة حقيرة تتناول طعاما غليظا فى صمت وخشوع واذعان للقضاء . ماذا تصنع الفتاة ؟

أتقبل هذا الزواج فترفه على هؤلاء التعسات ، أم ترفضه فتعرض نفسها وأهلها لذلة الفقر وما يتبعها ؟

دخل المحامى وهو يلح على الفتاة أن تقبل ، وهو يرغبها ، وهو يكشف لها أستار المستقبل عن النعيم ان قبلت وعن الجحيم ان أبت ، وهو يذكر أمها الشيخة ، وأختها المريضة ، والأم تأبى وتلح على الفتاة أن ترفض . ولكن المحامى قد ذكر التضحية ، وذكر أن أباها الشيخ قد مات لتنعم أسرته ، أليس فى هذه الأسرة من يألم لتسعد هذه الأسرة ؟ بلى ! ان فيها هذه الفتاة فهى تقبل الزواج . وانظر الى هذا الشيخ الدميم البخيل الهرم قد أقبل فرحا يقبل فريسته كما كان اله الفينقيين يلتهم ضحاياه البريئة والفتاة مبتسمة مذعنة !

أليس من الحق أن هذا الرجل وأمثاله هم الغربان يتبعون الموتى فلا يدعون من آثارهم شيئا صالحا الا أتوا عليه ! ..

كتابنا القادم

لحن الليل

بقلم

محمود البدوى

الإغواء

قصة تمثيلية للكاتب الفرنسي

شارل ميري

ولولا أنى خشيت الاغراب أو الغموض لوضعت لهذه القصة عنوانا غير هذا هو التسويل ، فهذه الكلمة تترجم العنوان الفرنسى ترجمة دقيقة حرفية . ولكنى أقرأ فى قاموس الفيروزابادى : سولت له نفسه : زينت ، وسول له الشيطان : أغواه . فليكن عنوان القصة الاغواء ، وليكن هذا الاغواء قد صدر عن النفس أو عن الشيطان ، فالامر سواء . وما أحسب الا أن لكل نفس من أخلاقها وأهوائها وعواطفها شياطين يغوونها ويدفعونها الى الشر ، وملائكة يرشدونها ويحببون اليها الخير . ولقد كنت حين بدأت أقرأ هذه القصة أعتقد أنى سأحمدها لك فى غير تحفظ ، وسأثنى عليها فى غير حيطة ، ولكنى لم أكد أمضى فى قراءتها حتى حسبت أن الكاتب لم يصل بعد من فنه الى هذه المنزلة التى يحمد فيها دون تحفظ وانما هو فى سبيله الى هذه المنزلة.

أنت تعرف هذا الكاتب ، فقد حدثتك عنه يوم لخصت لك قصته المعروفة « الأمير جان » ولعلك تذكر أنى أشرت فى مقدمة هذا التلخيص الى أن عناية كاتبنا هذا منصرفة الى الحركة والعمل أكثر من انصرافها الى الرأى والتفكير ، فهو يريد أن يؤثر فى النظارة بمؤثرات خارجية تصل الى نفوسهم من طريق الحس ، لا بهذه المؤثرات الداخلية التى تنشأ فى طيات النفس وأعماق الضمير . أريد أنه يكلف الممثلين ضروبا من الحركة وألوانا من الاضطراب ، وينقل الملعب من مكان الى مكان ، ويكثر من الأشخاص ومن أحاديثهم وينوع أخلاقهم وصفاتهم ، ويفاجىء النظارة بما لم يكونوا ينتظرون ، فيملك حسهم ويبهرهم ، ويصل من هذا كله الى ما يريد من تلهيتهم وتسليتهم دون أن يصل الى شعورهم العميق . هو متصل بحسهم وبهذه الكلمات التى تمكن الانسان من أن يلهو لهوا هادئا لا يثير فى نفسه حزنا ولا يبعث فى قلبه أسى . هو يضمن للنظارة أن ينفقوا فى الملعب ساعات حلوة لا يشكون فيها مللا ولا سأما ، ولا يفكرون أثناءها فى أنفسهم ولا فيما قضوا يومهم فيه من خير أو شر ، ولكنه يضمن لهم اذا خرجوا

من الملعب ، أن يخـــرجوا منه كما دخلوه لا محزونين ولا مكتئبين ولا محتاجين الى أن يفكروا فيما رأوا أو سمعوا ٠

قلت لك هذا أو شيئا يشبهه فى العام المـاضى ٠ فلما عـرفت أنى سأتحدث اليك عن الكاتب نفسه فى هذا الأسبوع خيل الى أن سيكون الأمر هينا ، لأنك تعرف الكاتب ، فلم يبـق لى الا أن ألخص قصـته ٠ ثم أخذت فى قراءة القصة فتغير رأيى فجأة تغيرا يوشك أن يكون تاما لأنى رأيت الكاتب نفسه قد تغير : لا يهمل الحركة واضطراب الممثلين ولكنى رأيته يؤثر عليها الفكرة ويريد أن يتصل فى هذه المرة بعواطف النفس ودخائلها ، ثم مضيت فى قراءة القصة فتم اقتناعى بأن الكاتب قد تغير مذهبه ، ولكنه لم يتغير تغـيرا تاما ، فهو محتفظ بحبه للحركة واسرافه فيها ، ولكنه قد أضاف الى حبه للحركة هذا شيئا آخر جديدا ٠ واذا ففنه يتطور ولكن فى بطء ٠ وأكاد أثق بأن القصص التى سيقدمها لنا فى الفصل المقبل ستكون أقل حظا فى الحركة والاضـطراب ، وانـه سينتهى الى العـدول عن هذا الفن الشاب المسرف فى النشاط الى فن آخر هادىء رزين فيه تذكير وفيه نفع وفيه عناية بالعقل والشعور ٠

والحق أنى لم أبرأ من الأسـف حين فرغت من قراءة هذه القصـة فأنت تعرف رأيى ، وتعلم أنى أوثر من قصص التمثيل مايجـد العقـل والشعور فيها معا لذة ورضا ، وأكره من هذه القصص مايتصل بالحس وحده ويكاد لا يقصد الا الى العبث وانفاق الوقت ٠ وكنت أقـدر بعد أن قرأت الفصل الأول والثانى أنى بازاء قصـة رأى وتفـكير ، وكنت معجبا بموضوع القصة وبهذه الفكرة التى أراد الـكاتب أن يستغلها ، وكنت أريد ألا يشغلنى الكاتب بحركته واضطرابه عن هذه الفكرة وعن أطوارها وعن آثارها ونتائجها ، فلم أظفـر من ذلك الا ببعض ماكنت أريد ٠ ولقد أجد النقاد يذكرون صلة بين هذا الكاتب وبين كاتب آخر حدثتك عنه فى العام الماضى غير مرة ، وهو « هنرى باتاى » وربما كان بين الكاتبين شىء من الشبه غـير قليل ، ولـكن من الخير ان نحدد هـذا الشبه ان كان الى تحديده سبيل ، فنلاحظ قبل كل شىء أن الكاتب الذى

نحن بازائه اليوم يشبه « هنرى باتاى » من حيث انـه يعبث بالنظارة ويستأثر بحسهم ويلهيهم كما يريد دون أن يتيـــح لهـم من الـوقت ما يمكنهم من الأناة والتفكير وكشف القناع عن حيله وألاعيبه الفنية · هو مسرع يعدو فيعدو وراءه النظارة حتى تكاد تنقطع أنفاسهم · وهو بارع فى هذا العدو ، يلهى نظارته فلا يحســـون ألما ولا تعبا ، ويصرفهم عن أنفسهم الى فنه · ولكن الفرق عظيم جدا بينه وبين « هنرى باتاى ، فلم يكن هنرى باتاى عابثا لاعبا ليس غير ، وانما كان شيئا آخـــر · وســواء أرضيت الأخـلاق والفلسفة عن تمثيل هنرى باتاى أم سخطت عليه ، كانت قصصـــه كلها أو أكثرها تجارب علمية نفســـية · ذلك أنه لم يكن يعبث بالحس وحده ، وانما كان يعبث بالعـواطف والشعور أيضا ، ولم يكن يريد أن يلهو ولا أن يلهى ليس غير ، وانما كان يريد شـيئا آخر · كان يريد أن يثير الحس والعاطفة ما استطاع ليعرف أقصى ما يمكن أن ينتهيا اليه · ومن هنا لا تستطيع أن تخرج من الملعب هادئا مطمئنـا كما دخلته ، وانما أنت متأثر شديد التأثر بما رأيت وسمعت · ينقضى الليـل وربما انقضى اليوم أو الأيام دون أن ينقضى هذا التأثر · ذلك شيء تجده فى « هنرى باتاى » ولكنك لن تجـده فى كاتبنا هذا · واذا فليس الشبه بينه وبين صاحبه قويا ولا عميقا ، وانما هو شـبه عرضى ان صح هذا التعبير ·

وقد يكون من الخير أن أبدأ فى تلخيص هذه القصة ، ولكنى الفتك قبل كل شيء الى أن هذا التلخيص سيكون موجزا ، لانى لن أتابع الكاتب فى حركته واضطرابه ، فقد تكون متابعة الكاتب فيها لذيذة فى الملعب دون التلخيص ·

* * *

نحن فى ضواحى مدينة جنيف ، فى فندق هناك من فنادق الترف ، وقد أقبل المســـاء أو كاد ، وأخذ الناس يجلســون فى طنف الفنـــدق يتناولون الشاى وما اليه مما يتناول فى المساء · ونحن نرى فى ناحية من هذا الطنف رجلين قد جلسـا الى مائـدة يتحدثان ، ونرى قريبا منهما

رجلا وامرأة يهمسـان وكأن الأمـر يعنيهما • فلنعـرف هؤلاء الأشخاص جميعا • أما أحد الرجلين فهو « موريس برونو » شاب ، ضـخم الثروة عظيم النشاط ، يعمل عامه كله فى غير راحة ولا هدوء ، حتى يجهـده العمل فيفر من باريس الى حيث يستريح أسابيع • وهو شـديد الحياء يضطـرب لأقل شيء ، قليـل التجربة ، ولعـل هذا هو مصـدر حيائه واضطرابه • وأما صاحبه فهو « لوثار » صديق له من هؤلاء الناس الذين تظهر عليهم آثار النعمـة ويسيرون فى الحياة سيرة المترفين ، ولكنهم فى حقيقة الأمر فقـراء لا يستمدون نعمتهم أو ترفهم من ثروة يرثونها أو يكسبونها ، وانما هم عيال على أصدقائهم الأغنياء ، يعتمدون عليهـم ويعيشون منهم • وهم لا يريدون أن يؤمنوا بهذا ولا أن يظهروه ، وانمـا هم يخفونه حتى على أنفسهم ، بل يخفونه حتى على أصـدقائهم هؤلاء ، فهم يأخذون من أصدقائهم ما يحتاجون اليه لا على أنه هبة أو عطاء ، بل على أنه قرض ، وهم يقترضون فى تمنع وإباء وفى عزة تكاد تكون طبيعية ، حتى ان الذين لا يعرفونهم يجهلون من أمرهم كل شيء •

وأما المرأة فهى « ايرين دى برج » ، لم تبـلغ الثـلاثين بعد • رائعة الجمال كأكثر نساء القصص • كل شيء فيها حلو خـلاب : صـورتها ، حركاتها ، ألفاظها ، زيها ، مذهبهـا فى الحـوار أو الكلام ، هى فتنـة تتحرك • نشأت من أسرة متوسطة ، من أبوين يؤثران المنفعة على كـل شيء • وقد أتيح لابنتهما خطب شريف ضـخم الثروة ، فقبلاه ودفعـا اليه الفتاة دفعا دون أن يحفـلا بعواطفها وهوى نفسها • وكان هـوى نفسها هذا مع شاب آخر كان صديق صـباها ، فأحبهـا وأحبتـه ، وخطبها وقبلته • ولكن أبويها رفضا ، لأن هـذا الشاب لم يكن نبيـلا ولا غنيا بحيث يلائم جمال ابنتهما من جهة ومطامعهما من جهة أخرى • وهذاالشاب هو « روبير جوردان » وهو محام قد عظم أمره وبعد صوته فى محـاكم الجنايات ، وهو الذى يتحدث الى هذه المرأة الآن • قد افترقـا أعواما ثم التقيا • فاذا حبهما على عهـده القـديم لم يتغـير ، وان كانت المرأة تظهر لزوجها عطفا ومودة وتضمر له وفاء وبرا • هى لاتحب زوجها وهى تعلم أن زوجها لا يحبها ، بل تعلم أنه يخونها ويسرف فى خيانتها ،

ويبدل من الأخدان والخليلات كما يبدل ثيابه ، ولكنها مع ذلك وفيه أمينة لأنها تكبر نفسها عن الخيانة ، وتضن بجسمها أن يكون متعة لرجلين ، وتأبى عليها كرامتها أن تختلس لذتها وسعادتها اختلاسا . هذا شأنها .

أما صاحبها فما زال يحبها ، ولكن هذا الحب لم يكلفه رهبانية ولا نسكا ، فهو يستمتع بالحياة ويتخذ الأخدان والخليلات لينصرف اليهن عن همه وعن حزنه ، ولكنه الآن قد لقيها فامتلأت بها نفسه وانصرف أو كاد ينصرف عن خليلة له كان قد أطال عشرتها . فلندع هذين العاشقين فى حديثهما ، ولنعد الى الرجلين اللذين تركناهما آنفا لنرى فيم يتحدثان . يتحدثان فى شىء طبيعى جداً ، وهو أن الشاب رأى هذه المرأة فوقعت من نفسه ، فهو يذكرها ، ويلح فى ذكرها وتفصيل جمالها ، ويسأل عن مكانتها الاجتماعية ، وصاحبه يؤيد له أنها فتاة من هؤلاء الفتيات اللاتى يختلفن الى الفنادق والأندية يلتمسن الأخلاء ، وقد رأى كلف صاحبه بها ، فهو يهون عليه الأمر ويعلن اليه أنه سيقدمه اليها . وهما فى هذا الحديث واذا المرأة وحدها ، لأن صاحبها قد تركها كأنه مغضب ، فينهض الرجل اليها فيحييها كما تحيا الفتيات اللائى لا كرامة لهن ، ويعرض عليها صاحبه الشاب ، ويذكر لها ثروته وأخلاقه ومكانته ، كل ذلك فى غير حيطة ولا تحفظ . والمرأة تسمع هذا كله ضاحكة مغرقة فى الضحك ، ثم تقبل أن يقدم اليها الشاب . فاذا قدم اليها ازدادت ضحكا واغراقا فى الضحك ، واضطرب الشاب اضطرابا شديدا ، فلم يزدها اضطرابه الا ضحكا . وهم فى هذا الضحك ، واذا جماعة قد أقبلوا عليهم فيهم زوج المرأة ، فتقدم المرأة زوجها الى هذين الرجلين اللذين أدركهما خجل شديد ، ثم تعلن اليهم أنها رأت هذين الرجلين فى باريس وتحدثت اليهما ، ولكنهما نسياها ، أما هى فلم تنسهما . ولست أحدثك عن خجل هذين الرجلين وما تبعه من حركات مضحكة لا يتسع هذا الفصل لمثل هذه الأشياء التى تلذ فى الملعب دون التلخيص كما قلت . بل لست أحدثك عن حركات

هؤلاء الناس جميعا ، فهم في اضطراب متصل يتنقلـون من مكـان الى مكان ، ويدخلون الى الفندق ويخرجون منه · وأنا أنتهـز فرصة خلت فيها المرأة الى صديقها روبير فهما يتحدثان بمـا قـدمت لك من حب · وهو يلح عليها في أن تسمح له ، وهي تأبى عليه اباء شديدا ، ثم تقسم له أنها لن تكون لغيره · فاذا استوضحها أنبأته بأنها اذا برئت ذمتها من زوجها فلن تتزوج الا اياه · والفتى ساخط على هذا الوعد الذى لا يقـدم ولا يؤخر ، فقد ذكر لها الطلاق فرفضته رفضا شـديدا ، لأن أبويهـا يكرهان الطلاق ، وذكر لها الخيانة فرفضتها رفضـا شـديدا لأنهـا تزدرى الخيـانة · واذا فلم يبق الا أن ينتظرا قضـــاء الله ، وما أسرع ما يتم هذا القضاء ! ·

أقبل القوم جميعا وأخذوا فى أحاديثهم المتصلة المختلفة ، واذا زوج « ايرين » يطلب الى صديقها روبير أن يعيره سيارته ليهبط المدينة لأن له فيها حاجة معجلة · ونفهم نحن من الحوار بين الرجلين أن الزوج انما يهبط المدينة ليلقى خليلة له ، وهو انما يستعير سيارة صاحبه ليترك سيارته لامرأته ان أرادت أن تخرج ، وهو شديد الحرص على أن يكون وحـــده ، ولكن روبير يأبى الا أن يرافقه لأنه وحده يحسن قيـــادة سيارته ، وقد اتفقا آخر الأمر عـلى أن يهبطا المدينـة معا ، ولم يبق عندنا ولا عند « ايرين » وصـديقها شك فى أن الزوج ذاهب الى موعد منكر · وقد خرج الرجلان وبقيت الجمـاعة فى أحاديثها المتصلة ، وأخذت فى ألوان من اللعب لانفـاق الوقت ، ومضت على ذلك لحظات ، واذا خادم من الفندق قد أقبل فدعا احد الرجال وخلا اليه ، وأقبل هذا الرجل فدعـا الآخرين بعضهم الى بعض وأخذوا يتحدثون ، والنساء لاهيات عنهـم باللعب ، و « ايرين » خاصة منصرفة عنهم انصرافا تاما ، لأنها معصوبة العينين تتلمس رفيقاتها بيديها وتريد أن تدل عليهن دون أن تراهن · ولكن حديث الرجال قد طـال ووصلت أطراف منه الى النساء ، فالتفتن ثم أقبلن ، ثم ظهر الأمر منكرا وأزيل الغطاء عن « ايرين » فمـا كادت ترى وتسمع حتى أغمى عليها ، ذلك أن زوجها قد خرج فى السيارة مـع صاحبه ، حتى اذا كانا فى بعض الطريق نزل صاحبه من السيارة ليتحدث

الى رجل ، فانتهز الزوج هذه الفرصة وطار بالسيارة ، لأنه يريد أن يكون وحيدا فى موعده ، وأخذ صاحبه يعدو وراءه يستوقفه ولكنه أسرف فى السرعة ، واذا هو أمام هوة لم يحسن اتقاءها فتردى فيها وهو الآن يحمل الى الفندق .

كان هذا كله فى جنيف وقد مضت عليه سنة أو أكثر من سنة ، ونحن الآن فى مدينة « كان » فى جنوب فرنسا ، فى قصر فخم لأحد الذين حضروا ما قدمت فى الفصل الأول واسمه « دى بوشان » وقد دعا هذا الرجل أصدقاءه ليقيموا عنده أياما وفيهم « ايرين » وصاحبها روبير ، وفيهم « موريس برونو » وصاحبه « لوثار » . ونحن نرى صاحب القصر يتحدث الى امرأته وابنته وهم ينتظرون أصحابهم ليذهبوا الى اللعب . وقد فهمنا من حديثهم أن الرجل وامرأته يريدان أن يزوجا ابنتهما من موريس ،وهما يلحان عليها فى أن تترضاه وأن تتحبب اليه ، وهى تفعل ماتستطيع ، ولكن الفتى منصرف عنها الى هذه الأرملة « ايرين » ، والفتى يعلم أن هذه الأرملة لا تحبه ، وانما تحب « روبير » ، وهو يعلم أنها قبلت خطبته وأنها ستقترن به بعد أشهر ، ولكنه مع ذلك يحبها ويصرفه حبه عن هذه الفتاة . وقد أقبل القوم جميعا وهموا بالذهاب الى الملعب ، ولكن روبير قد تعلل بأنه مصدوع ، وانه يؤثر منظر البحر وجمال الطبيعة على الملعب ، فسيبقى اذا ، واذا فستبقى « ايرين » حتى لا تتركه وحده ! ولم لا ! أليسا خطيبين ! أليس من حقهما أن يخلوا الى جمال البحر والطبيعة فى ضوء القمر ، وأن يذكرا حبهما . وهما الآن وحدهما ، وهما يذكران حبهما وآمالهما . ولكن شيئا جديدا قد طرأ ، ذلك أن « روبير » قد تغير تغيرا غريبا ، فهو يحب صاحبته ، ولكنه يتقيها ويكاد يفر منها ، وهو شديد الاضطراب ولا سيما اذا تحدث اليها . وهى تحس هذا كله ، ولكنها لا تفهمه . وانظر اليهما الآن يتحدثان فى الحب حتى يغريهما الحديث بالقبل فيضمها اليه ، واذا هى قد لانت له وضعفت ، ولكنه ينصرف عنها فى نفور وتحرج . فاذا غاظها ذلك ذكر لها أنه لا يريد أن يتزوج خليعة ، وانما يريد أن تظل صلاتهما عفيفة طاهرة الى يوم الزواج . ولكن هذا لا يرضيها ، ولها الحق ،

فقد كان هـــذا الرجل يغـــريها بالخيانة قبـــل أن يموت زوجهـــا ، ولم يكن يحفل يومئذ بالعفة ولا بالطهارة ، فما الذى غير منـــه الآن ؟ أبلغت به الاثرة أنه كان يريدها لنفسه حين لم يكن له عليها حق ، فأما الآن فهو يأخذها باحترام العادات والأخلاق والأوضـــاع الاجتماعية ؟! هى مغضبة ، مغضبة لهذه الخواطر التى ذكرتها ، ومغضبة أيضا لأنها تحس فى نفســها بل فى جسمها شيئا من الخيبة . طمعت فى اللذة والسعادة وأشرفت عليهما ، وهى الآن ترد عنهما ردا ، ولكن صاحبها أشد بؤســا مما تظن ، فليس يصرفه عنها احتـــرام الأخلاق والأوضاع ، وليســت الأثرة هى التى تصـــده عن اللـــذة ، ولكن بين العاشقين حـــائلا منـــكرا يعلمـــه هو وتجهله هى ، وهو يجتهد فى اخفائه عليها ، ولـــكن الظروف أرادت أن يظهر فى هذه الليلة . وهما متغاضبان وقد ذكرت أن لديهـــا رسائل قد وصلت اليها ، فهى تريد أن تقرأ هذه الرسائل ، وهى تنظـــر فيها واذا واحدة منها قد ملأتها اضطرابا وذعرا ، فهى تريد أن تتحدث الى صاحبها فى أمر هذه الرسالة ، ولكنها تتردد وقد ظهر اضطرابها ، وصاحبها يسألها : ما شأنها ؟ فتتخفى عليه ، ولكنها تنتهى الى أن تسأله : « كيف قتل زوجها ؟ » وهى تلح عليه فى أن يقص عليهـــا الأمر مفصلا ، فيمتنع ويظهـــر عليه الاضطراب ، ثم يقص عليها الأمر واذا هو متناقض يكذب نفسه غير مرة ، وهى تحصى عليه هـــذا التناقض وتلفته اليه ، فلا يزداد الا اضطرابا وتناقضا . ونحن نحس أنها تريد أن تبرئه ، ونحس أنه برىء . ولـــكنا نحن أنه لا يحسن الدفاع عن نفســـه ، وأنه ينكر من نفسه شيئا لا يريد أن يبوح به . ولكن طارئا يقـــطع عليهمـــا الحديث حينا ، وهو « موريس » ، فقد انصرف من الملعب لأنـــه أحس صـــداعا ، وما أحس صداعا وانما أحس حبـــا وغيرة . وهو يود لو جلس الى العاشقين ، ولكنهما يظهران صدودا عنه ، فيصعد الى غرفته كارها . ويستأنف العاشقان حديثهما ، فاذا هى تتهمه وهو يقسم أنه برىء ، ولكنه لا يحسن الدفاع عن نفسه واذا هى تقرأ علينـــا هـــذه الرســـالة التى ملأتها اضطرابا وذعرا ، وهى رسالة غفل ليس من شك فى أن خليـــلة صاحبها هى التى كتبتها لتفسد هذا الزواج . وفى هذه الرسالة اتهـــام

لصاحبها بالقتل ، وقد اشتد الأمر بين العاشقين وكاد العاشق يعترف بكل شيء ، ولكنه أمسك ثم فر ، واذا صاحبته تصـيح مستغيثة تدعو « موريس » فيقبل ، واذا هي قد أغمى عليها ٠

* * *

فاذا كان الفصل الثالث فنحن فى مدينة « بيارتز » فى أحد فنادقها الكبرى ، وقد مضت أشهر على ما قدمت لك ، ونحن نرى « لوثار » قد أقبل ، ونفهم أن صديقه « موريس » قد وصل الى الفنـدق أمس ومعـه زوجه « ايرين » ، ذلك ان « ايرين » حينما استغاثت بموريس أقبل اليها وما زال بها حتى رد اليها رشدها فدعته الى أن يحميها وطلبت اليه أن يتزوجهـــا وأن يسرع فى الزواج فتزوجـــا ٠ وهما الآن يطـوفان فى الأرض ، وقد أقبلا الى « بيارتز » بعد أن زارا بلادا مختلفة وجاء « لوثار » للقائهما ، وهو لا يلبث أن يلقى صاحبه وأن يتحدثا ٠ فنفهم من حديثهما أنه ليس سعيدا لأن امرأته ليست سعيدة ، وهو لا يشك فى أنها وفيـة أمينة تجتهد فى أن تحبه وتخلص له ، ولكن شيئا يصرفها عن هذا ، وهى تخفيه عليه ، وقد أقسمت له أنها لم تســمع لخطيبها الأول ولم تخن زوجها الأول ، ولكنها مع ذلك تخفى عليه شيئا ، ويجب أن يكون هـذا الشيء أليما فقد أنحلها وأضناها حتى أصبحت حياتها معرضة للخطر ٠ وهو يحبها ، ويريد أن ينقـذها من هـــذا الخطر ، ويبـذل فى ذلك ما يستطيع ٠ وهذه « ايرين » قد أقبلت وهى شـاحبة نحيفة محزونة يريد « لوثار » أن يضحكها فلا يصل الى شيء ، وقـد أقبلت صـديقتها تعرض عليها أن تذهب معها الى حيث الشاى والرقص ، فتظهر الرضا ، ولكن هذه الصديقة غابت عنـها حينا ثم تعـود ، واذا هى منصرفة عن الشاى منصرفة عن الرقص ، تعرض على صاحبتها البقاء حيث هما ، ثم تسر الى « لوثار » أنها رأت فى قاعة الشاى « روبير » وتريد أن يعلم ذلك « موريس » ، ولكن موريس قد ذهب لبعض شأنه ، واذا « روبير » قد دخـل ، فرأتـه « ايرين » فاضطربت اضطرابا شـديدا وأخذها دوار يشبه الاغماء ، ودعى زوجها فأقبل ، وما يزال بها حتى يرد اليها قوتها

وقد عرف كل شيء ، فهو يلح على امرأته فى أن تنبئه بجليـــة الأمر ، فاذا أبت عليه اتهمها وأنذرها بأن يلقى روبير ويسـأله وهـو مستعد للمبـارزة • هنـا تكذب « ايرين » وتتهم نفسها بأنها قد كانت خليـــلة « لروبير » ، وتلح على زوجها فى أن يتجنب هذا اللقـاء وفى أن يترك مدينة « بيارتز » • ولكن زوجها يأبى ، وقد تركته ليستريح ، فلا يكاد يخلو الى نفسه حتى يرى غلاما يسرع الى غرفـــة امرأته ، وكان يخفى كتابا ، فيعرض له ويأخذ منه الكتاب قهرا ، فاذا الكتاب موجه الى امرأته وهو لا يريد أن يقرأ هذا الكتاب ولكنه يريد أن يعلم مافيه • وقد أقبل « روبير » فتحدث الرجلان وأذن له روبير فى قراءة الكتاب ، فـاذا هو كتاب برىء لا اثم فيه وانما هو تحية واعتذار • وقد أخـذ الرجلان يختصمان ، وأخذ العنف يشتد بينهما ، لأن أحدهما يحب ويغار والآخر يحب ويحقد • ولكن « ايرين » قد أقبلت ، فمـا تزال بالرجلين حتى يهدآ ، وقد أعلن زوجها الى صاحبه أنه يعرف ماكان بينهـما من صلة ، فيقسم الرجل ببطلان هذه التهمة ، وتعترف « ايرين » بأنها كذبت على نفسـها لانها لم ترد أن تفشى سر صاحبها ، فهى مقتنعة بأن صـاحبها قد قتل زوجها ، وهنا يظهر سر القصة • فالرجل لم يقتل زوج « ايرين » ولكنه تركه يموت • رآه وقد تردى فى الهوة وسمعه يصيح ويستغيث وكان يستطيع أن ينقذه لو أراد ، ولكنه تمثل « ايرين » حرة بعد موت هذا الرجل ، وتمثـل قسمها له وتمثـل اقترانه بها ، كل ذلك فى لحظـة قصيرة جدا ، فأبطأ عن الرجل حتى سقط ومات • واذن فهـو لم يقتـله ولكنه تركه يقتل • وهو يحس فى نفسه منذ ذلك اليوم عذابا شديدا ، وهو يرى نفســـه آثما مجرمـا ، وهو لهذا كان لا يستطيـع أن يدنو من « ايرين » ولا أن يجد السعادة فى اقترانه بها لأنه كان يتمثـل دائمـا هذا القتيل بينهما • وهو قد انصرف عن محاكم الجنايات لأنه لايستطيع أن يدافع عن المجرمين وهو مجرم ، وهو قد انصرف عن العمل كلـه لأنه مفرق النفس بين الحب واللوم ، وهو قد أقبـل يرى صاحبته للمـــرة الأخيرة ، وهو يتمنى السعادة للزوجين ويسألهما الرثاء له • اما هى فممعنة فى الانتحاب ، واما زوجها فيصافح هذا الشقى البائس قبل أن

ينصرف ، وهو يسأل امرأته ويريد منها الجواب في صراحة واخلاص : ماذا كنت تصنعين لو أنه اعترف لك بهذا كله قبل زواجنـــا ، أكنت تتزوجينه ؟ فتجيبت : نعم ! لأنه لم يقتل ولأني أحبه ٠

* * *

فاذا كان الفصل الرابع ــ وكنت أود ألا يكون ــ فنحن في ضاحية من ضواحي باريس ، في قصر فخم يسكنه « موريس » وامرأتـه ، وقـد انصرفا عن مـــائدة الغداء ومعهما « لوثار » وصديقة لهمـــا وهم يتحدثون وقد فهمنا من حـديثهم أن « ايرين » ما زالت محـزونة كئيـبة ، وان « موريس » ما زال محتملا جـــادا في العناية بهـا ، وأن تتمنى أن ترزق ولدا يصرفها عن حزنها وأساها ٠ ولكن لنتعجل فقـــد انصرف القوم جميعا وبقيت « ايرين » وحدها ، فتجلس الى البيانو وتعبث بأصابعها ، واذا الخادم قد أقبلت تنبئها بأن زائرا يريد أن يراها ، فتمتنع لأنها عرفت من هو ، ثم تأذن ، فيدخل « روبير » واذا رجل سيىء الحال جـدا لا نكاد نراه حتى نصدق ما سمعنا من أنه قد انصرف الى اللهـو ، فهو يقضي الليل في الحانات ، وهو يدمن على الخمر « والكوكايين » ، وقد أقبل اليوم يعلن الى صاحبته أنه سيترك فرنسا الى مكان بعيد يجد فيه عمـلا مثمرا ومسليا ٠ وهو يعلم أنها تحبه ، وأنهـا لا تحب زوجها الثـاني كما أنها لم تحب زوجهـــا الأول ٠ وهـو يعـــرض عليـها السعادة ولـكنه يريـــد أن تـــكون حـــرة ، يعـــرض عليـــها أن تســـافر معـــه ، ويذكرها حبهما وقسمها ، وانه وان يـكن أساء فقد احتمل من الألم والندم ما يكفر عن سيئته ٠ وقد أثر فيها تأثيرا قويا ، وقد كاد يغلبهـا على أمرها ، ولكنه يريد أن تكون حرة فيما تعتزم ، فسينصرف وسينتظر في الشارع دون النافذة ٠ فاذا فكرت وقررت أن تلحق به فلتتخـذ معطفها وقلنسـوتها ولتهبـط اليه ، واذا اعتـزمت أن تبقى ولا تراه فلتضم الأستار الى النافذة ، فسيرى هو هـــذا وسينصرف الى حيث لا تراه ٠ قال هذا ومضى وتركهـــا مضطربة أشد الاضطراب ٠ ولـــكن زوجها قد أقبل ، ذلك لأنه بينما كان خارجا من القصر رأى « روبير »

يدخله فانتظر حتى انصرف « روبير » وأقبل الى امرأته ، وهـو يحدثها في صراحة وكرم وطيب نفس ، يعرض عليها حريتها • وهو يعلم أنـها تحب « روبير » وأنهـا لم تنصرف عن حبه قط ، وأنها لن تسعد الا معـه ، وهو يحبها ولكن لنفسها الا لنفسه ، وأى آية على الحب وصدقه أقوى من أن تضحى بنفسك وسعادتك في سبيل من تحب ؟! تستطيع اذن أن تذهب مع « روبير » ، فقد سمع الناس يتحـدثون بأنه مسـافر الى مكان بعيد ، ولا ينبغي أن تتردد ولا أن تشفق ، فسـعادته الصحيحة في أن يجعلها سعيدة ، وسيرفع أمر الطلاق الى المحـكمة ويحتمل هـو آثام الطلاق ، وسيصدر الحكم لها لا عليها • هو يقول هذا كله مخلصا ، وهى تسمع هذا كله بأكية منتحبة ، ولكنها لن تفعل من هـذا شيئا • أليست هى التي أبت أن تخـون زوجها الأول فـكيف تخون زوجـهـا الثاني !! هو يريد أن يضحى بنفسه في سبيلها فلم تكون هى من الأثرة بحيث تقبل هذه التضحية !! هى لا تحب زوجها حب شهوة ولذة ، ولكن لم لا تحب زوجها حب صداقة وشـكر للصنيع ! وبعد فلو أنها أرادت أن تلحق بصاحبها لما استطاعت ، ذلك لأنها تحس في أعماقهـا شـيئا كانت تتمناه لتسلو به عن الحـزن والألم ، وكان يخيـل اليها أنهـا لن تظفر به ، ولكنها الآن تحسه فكأنه قد أقبـل ليصرفـها عن الاثم والجور ، وليقر العدل في نصابه • هى تحس أنهـا حامل ، وهى تعلن ذلك الى زوجها ، وهو يضمها اليه ويقبلها سعيدا مغتبطا وقد أفلتت من بين ذراعيه وأسرعت الى النـافذة في ذهول فضـمت أستارها ، ولكنها سمعت شيئا صعقت له ، فيقبل زوجها عليها ويعنى بهـا حتى تفيق بعض الشيء ، وتنهض فتجلس الى البيانو وتعبث بأصابعها لتخدع زوجها عـن مرضها وحزنها ، أصابعها مضطربة على البيـانو وبصرها حائر وفكرها مشرد ، والباب قد فتح والخادم تدعو سيدها وجلة فيسرع اليها فتنبئـه بأن رجلا قتل نفسـه بالباب ••

حسن الإمام .. يقول

لك

لا تترك زوجك تذهب وحدها عند الخياطة ..
لا تترك زوجك تذهب أبدا الى حفلات النواب ..
لا تترك زوجك تتمادى فى الرد على التليفون ..
لا تترك زوجك فى بيتك لا يشغالك عمرها ..

اعرف السبب

فى تحفة حسن الإمام الجديدة

اعترافات زوجة

حالياً

بسينما الكورسال بالقاهرة وفريال باسكندرية
والحرية ببورسعيد وأمير بطنطا والمحلة الجديدة بالمحلة

تخصص ايراد حفلة الافتتاح لمشروع معونة الشتاء . والحفلة تحت رعاية
سيادة البكباشى حسين الشافعى وزير التموين وسيتشرف سيادته الحفلة

حُبَّان

قصة تمثيلية : للكاتب الفرنسى

بول نيقول

اما أحدهما فالحب بالحاء الكبيرة لو أن فى كتابتنا العربية حاء كبيرة • الحب الذى يكون من نفسين نفساواحدة ومن قلبين قلبا واحدا ، وينتهى فى كثير من الأحيان الى الزواج • واما الآخر فهذا الحب الفطرى الذى يملأ قلب الام لابنها ويشغل من قلب الابن فى بعض الأحيان حيزا ليس بالضيق ولا بالضئيل •

والقصة صراع بين هذين الحبين أو قل ان شئت بين مصدر هذين الحبين : هى صراع بين الأم والزوج أو بين الأمومة والزوجية ، والرجل موضوع هذا الصراع • فأنت ترى أن ليس فى القصة شىء جديد ، فموضوعها مألوف منذ استقر فى الحياة الاجتماعية على اختلاف البيئات والأجناس نظام الأسرة • وأى الناس لم يحس أنه موضوع النزاع بين أمه وامرأته ، نزاع يقوى ويضعف باختلاف الظروف التى تحيط بالأسرة والصلات التى تصل بين أعضائها • فليس من الغريب فى شىء أن تستقبل هذه القصة استقبالا فاترا لأنها لم تأت بشىء جديد ، ولأن الآداب على اختلاف أنواعها والوانها وعصورها قد قالت فى هذا الموضوع كل مايمكن أن يقال • ثم هو قد اتصل بحياة الناس حتى أصبح شيئا مبتذلا تجرى به الألسنة وتسير به الأمثال ويألم الناس له فى حياتهم الخاصة ويضحكون منه إذا اجتمع بعضهم الى بعض •

ليس غريبا أن تستقبل القصة فى فتور ، ولكن الغريب أن يقدم الكاتب على مثل هذا الموضوع برغم شيوعه وابتذاله فيجد فى نفسه الشجاعة على اختياره والتقدم به الى ملعب من ملاعب التمثيل ، وأشد من هذا غرابة أن يوفق الى الاتقان وارضاء النظارة وحمل النقاد على أن يعترفوا له بالاجادة فى شىء من التحفظ قليل •

والواقع أن هذه القصة حين مثلت لأول مرة أمام هذه الطائفة الضيقة المختارة التى تحضر التجارب فى الملعب لم تثر اعجابا ولعلها اثارت شيئا آخر

يناقض الاعجاب ، ولكنها لم تكد تعرض على جمهور النظـارة الذين يختلفون الى الملاعب للهو لا للنقد حتى أعجبتهم واستأثرت بقلوبهم · والغريب أنها أعجبت النقاد أنفسهم فى هذه المرة ، كأنهم تأثروا بجماعة النظارة حـــين رأوها راضية تضطرب بين ضروب الانفعالات المختلفة ، فاضطربوا هم أيضا وخرجوا يثنون بعد أن كانوا ساخطين ·

ذلك لأن الجدة والابتكار على خطرهما وأثرهما العظيم فى الآيات الفنية ليسا شرطين أساسيين للاجادة دائما · وربما كان فى بعض الأوقات عقبة تحول دون الاعجاب والرضا ·

ونحن نعرف كتابا وشعراء وممثلين وفنانين مختلفين لم يوفقوا الى ارضاء الناس لأن آياتهم الفنية كانت من الطرافة والجدة بمنزلة لم تكن قد سمت اليها بعد عقول معاصريهم ، ولم يكن بد من أن تمضى عشرات السنين ويتغير الجيل لتظهر القيمة الفنية لهذه الآثار · والناس مستعدون للاعجاب بما ألفوا والرضا عنه أكثر من استعدادهم للافتتان بما لم يألفوا ولا سيمـا اذا رأوا أنفسهم فيما يعرض عليهم من مظاهر الفن · ومن ذا الذى لا يعجب بصورته فى المرآة ، ومن ذا الذى لا يرثى لنفســه حين يرى آلامه تمثل بين يديه · وكذلك كانت الحال فى هذه القصة ·

رأى كثير من الرجال والنساء فيها أنفسهم ، فسخطت الأمهات على الزوجات وحنقت الزوجات على الأمهات ورثى الرجال لأنفسهم واتعظوا جميعا ووعدوا جميعا أنفسهم أن يلائموا بين حياتهم وبين ما خيل اليهم الكاتب أنه الحق أو العدل أو الخير ·

والحق أن الكاتب قد استطاع أن يعرض لهذا الموضوع فى شىء غير قليل من اللباقة والدقة وحسن الذوق ، فيزيل منه طائفة من الظـروف كان من شأنها أن تصرف الناس عنه وتزهدهم فيه ، ويكفى أن تلاحظ مثلا أنه تخير أشخاص قصته جميعا من الأغنياء المترفين فألغى العقبة الاقتصادية ولم يدع لضرورات الحياة المادية أثرا فى هذه الحرب العنيفة التى أثارها بين الأم والزوج ، ثم ألغى طائفة أخرى من الظروف تشبه هذا الظرف الاقتصادى ،

فلم يجعل الام متقدمة فى السن حتى لا يكون اختلاف السن مصدرا من مصادر الشقاق بين المرأتين ، ولم يجعل بين هاتين المرأتين اختلافا ظاهرا فى الطبقة حتى لا يكون تفاوت المنزلة الاجتماعية مؤثرا فيما سيكون بينهما من صراع ، وانما اجتهد فى أن يكون الصراع معنويا صرفا يتصل بالقلوب والنفوس والعواطف أكثر مما يتصل بأى شىء آخر ، ثم وفق من ناحية أخرى فكان مصورا دقيقا بارعا مسيطرا على خياله لم يتكلف الاختراع ، وانما تخير حوادثه بين هذه الاشياء اليسيرة السهلة التى تجرى بها حياة المترفين فى كل يوم ، فلم يستطع أحد من النظارة أن ينكر حادثة أو يرى وقوعها بعيدا وغير مألوف .

وخصلة أخرى أظهرت حظ الكاتب من الكفاية الفنية وهى أنه حصر أشخاصه فى أقل عدد ممكن ، فهم أربعة لا يزيدون الا اذا نظرنا الى الخادم الذى تكلف الكاتب ايجاده ليكون صلة بين هؤلاء الأشخاص ليس غير .

وكان يخشى على الكاتب أن تضطره قلة الأشخاص الى أن يكون كثير القول قليل الحركة فيفسد بذلك حواره ويثقل وتتأثر القصة كلها من هذا الفساد ، ولكنه استطاع على قلة الأشخاص أن يجعل حواره قصيرا خفيفا سريعا ما بقى عنده الأشخاص الأربعة .

فلما كان الفصل الثالث وذهب أحد هؤلاء الأشخاص ظهر أثر ذلك فطال الحوار وثقل بعض الشىء وأصبح أقرب الى المناقشة الفلسفية منه الى التمثيل الحى . ومهما يكن من شىء فان فى قراءة هذه القصة لذة عقلية وفنية لا بأس بها .

* * *

نحن فى باريس فى قصر تظهر عليه آثار النعمة والترف ، فخم تحيط به حديقة واسعة كثيرة الأشجار أقرب الى الغابة منها الى الحديقة نادرة فى مدينة عظيمة كباريس . ونحن اذا رفع الستار نرى خادما يحاول أن ينظم طائفة من الآنية الدقيقة الغالية فى حجرة الاستقبال ، فتدركه سيدته

« هيلان » وهى امرأة جميلة رائعة كنساء التمثيل جميعا فى مقتبل عمرها ، على وجهها نضرة الشباب والغبطة والسعادة لأنها حديثة عهد بالزواج ، قد عادت منذ أيام من سياحة طويلة مع زوجها فى ايطاليا ومصر ، وهى تريد أن تنظم دارها الجديدة بحيث تلائم ميولها وذوقها الفنى الرقيق ، وهى تأمر الخادم بأن يصطنع الرفق فى مس هذه الآنية وتطلب اليه أن ينقلها فى رفق الى الطابق العلوى ، وتعلن اليه أن هذه الحجرة سيغير نظامها فيهدم الحائط الذى يفصل بينها وبين حجرة أخرى لتصبح الحجرتان حجرة واحدة حديثة التنسيق والنظام ، على أن ينقل هذا الأثاث القديم الى غرفة اخرى فى الطابق العلوى ، فيسمع الخادم هذا كله فى شىء من الدهش والانكار لأنه يخدم فى هذا البيت منذ ثلاثين سنة وقد عهده كذلك وهو يعلم حق العلم أن أم سيده حريصة كل الحرص على أن تحتفظ به كما هو .

ونفهم من هذا الحوار بين الخادم وسيدته أن أم الزوج غائبة عن باريس منذ تزوج ابنها ، وان أبا الزوج قد مات منذ ثمان سنين وكان رحيما رفيقا بابنه وامرأته ، فلما مات فرغت المرأة لابنها ووقفت عليه حياتها كلها وعرف لها ابنها ذلك فأحبها حبا لا يعدله حب ، واتصلت بينهما صلة قوية زادها قوة وغرابة شباب الأم ونضرتها ، فكانا يخرجان للتروض والنزهة فلا يشك من يراهما فى أنهما زوجان أو خليلان . ونفهم من الحوار أيضا أن هذه الأم متسلطة قوية السلطة والارادة ، ونحس ضيق المرأة الشابة بكل ما تسمع ، ولكنها على كل حال تأمر الخادم أن يمضى فى تنفيذ ما أمرت به فيظهر الطاعة ولكن فى تثاقل وابطاء . ويأتى الزوج وهو «جورج شاتل» فتتلقاه امرأته لقاء حسنا ، لقاء العاشقة المفتونة التى لا يقل عشقها لزوجها عن هيام زوجها بها ، فيكون بينهما حوار نفهم منه أنه مشوق الى أمه ، ثم نفهم أن الزوجين النظام فى هذا البيت ثم نفهـــم أنه مشوق الى أمه ، ثم نفهـــم ان الزوجين سيخرجان اذا كان المساء لتناول العشاء فى مطعم من المطاعم الباريسيـــة المشهورة

والزوج يعلن الى امرأته أن سيكون معهما ثالث فتضيق بهذا حتى اذا ذكر لها اسمه رضيت واطمأنت ، وهذا الثالث هو «هنرى فالان» صديقها منذ

الطفولة وصديق زوجها منذحين ، لم تره منذ تزوجت وهى شديدة الشوق الى أن تراه لأن له ولأبيه عندها يدا ، ولأنها تضمر لهذا الشاب مودة طاهرة بريئة ٠

والزوجان فى هذا الحديث واذا رسالة برقية ينظر فيها الزوج فيبتهج ، فهى تعلن اليه قدوم أمه اليوم وقد كانا ينتظرانها آخر الشهر ، واذا فقد تغير برنامجهما فلن يخرجا ولن يرتاضا ، وسيتناولان العشاء فى البيت حتى لا يشقا على أمهما ٠

و«هيلان» تقبل هذا فى شىء من الاذعان والتبرم ، والرجل يغريها أو يكاد وهو يثنى على أمه ويذكر ظرفها ورقتها وحنوها ٠

وينصرف الزوجان كل لشأنه وقد أقبل الخادم فهو ينفذ كارها متباطئا أمر سيدته ٠ وهو كذلك واذا الأم قد اقبلت فيبتهج الخادم بلقائها وتنكر هى ما ترى من تغيير نظام البيت ، ويشتد انكارها حين ينبئها الخادم بتفصيل هذا التغيير ٠ ولكن ابنها يقبل فتلقاه راضية مبتهجة بلقائه، وتكاد تنسى تغيير النظام ولكنها لا تلبث أن تذكره فتتحدث فيه الى ابنها فى شىء من الانكار تخفيه ولكنه يظهر ، وابنها مضطرب بينها وبين امرأته لأنه يوافق امرأته على التغيير وهو الآن يكاد يستعطف أمه ويعرض عليها ألا يتغير شىء ٠

ولكن أمه تظهر الرضا على أنه رضا يشبه السخط ، والرجل يحدث أمه عن امرأته فيثنى عليها ويذكر ظرفها ورقتها وحبها كما كان يثنى على أمه أمام امرأته ٠

ثم يذهب ليدعو امرأته فتقبل وتلتقى المرأتان فى فتور ظاهر يضيق به الرجل ويبذل جهدا غير قليل فى ازالته فيوفق وما يكاد ٠

ثم يتركهما معلنا أنه سيتحدث مع صاحب سيارات فى سيارة يريد أن يشتريها لامرأته ، فنفهم بعد ذلك من الحديث بين المرأتين أن «هيلان» تحسن سوق السيارات وتريد أن تكون لها سيارتها الخاصة لتخرج بهـا فى باريس ، والأم تنكر هذا وتدهش له ويشتد دهشها وانكارها حين تقص عليها هيلان انها قضت ليلة أمس مع زوجها بعيدين عن باريس لأنهما خرجا للنزهة فضلا واضطرا الى أن يقضيا الليل فى فندق حقير قذر ، وكانا سعيدين كل السعادة حتى انهما ليريدان أن يستأنفا هذا الضلال ، فتلاحظ الأم أن ابنها قد تغير وتغير فى سرعة شديدة ، فهو يطمئن الآن الى مثل هذا الفندق القذر وقد كان من قبل مترفا مسرفا فى الترف .

ونلاحظ نحن أن هذا التغير لايعجبها وأن الحرب قد بدأت فى حقيقة الأمر بين هاتين المرأتين : كلتاهما تحب هذا الرجل وتريد أن تستأثر به ، وكلتاهما تريد له السعادة ولكن كما تتصورها هى ، ثم كلتاهما قوية الارادة ظاهرة الشخصية حريصة على أن تستأثر بالسلطان .

وقد أقبل الخادم يستأذن للصديق « هنرى فالان » فاذا دخل وخلا الى صديقته كان بينهما حوار بديع مضطرب مختلف تظهر فيه سعادة هيلان وحبها لزوجها وابتسامها للحياة ويظهر فيه شقاء هنرى واضطراب نفسه وانصرافه عن اللذة والأمل .

ونحس نحن أن هذا الشاب قد استكشف بعد زواج «هيلان» أنه يحبها ورأى أن ليس اليها سبيل فهو يشقى بهذا الاستكشاف ، وهو على ذلك يحاول أن يخفى حبه وأن يحتفظ للزوجين بصداقة طاهرة ترعى فيها كل الحرمات ، ولكنه عاجز عن أن يضبط نفسه ويملك عاطفته ، وآية ذلك انه يعتذر عن العشاء ويعجز عن أن يضرب موعداً آخر للقاء الزوجين .

* * *

فاذا كان الفصل الثاني فقد مضى نحو العام على ماحدثتك به آنفا ، وأخذت هذه الحوادث الضئيلة اليسيرة المحرجة على يسرها وضآلتها تكثر ويجتمع

بعضها الى بعض فتفسد جو البيت وتباعد بين المرأتين وتزيد حياة الرجـل عسرا وحرجا ٠

ونحن نرى أول الفصل «هيلان» فى مكتب زوجها تنسق الزهر فى آنية بديعة صغيرة تضعها على المكتبة ، وتنظر اليها من قريب ومن بعيد كأنها تريد أن ترى ما تحدثه من جمال فى الغرفة كلهـــا ، وهى مغتبطة لا تملك أن تتحدث بغبطتها الى الخادم فتثنى على هذه الآنية وعلى ذوقها الذى مكنها من اختيارها ، ولكن حماتها تقبل مسرعة متعبة فتأمر الخادم بأن يحمل اليها بعض المتاع ، وماهى الا أن يأتى الخادم بما أمرت به فتزيل الورق عن اناءين ضخمين من النحاس ، فاذا سألتها هيلان انبأتها بأنها سمعت ابنها أمس يود لو وضع على مكتبته شىء يزينهما فأسرعت فاشترت هاتين الآنيتين ، فتغتاظ هيلان لذلك وتقول انها هى أيضـــا سمعت زوجهـــا فاشترت هذه الآنية الصينية البديعة ٠

وما هى الا أن ينشأ التنافس الثقيل المؤلم بين هاتين المرأتين ، كلتاهما تريد أن تكون هديتها أجمل من الأخرى ٠ ويقبل الزوج على غرة فيحـكم لأمه وهو لا يدرى ، واذا أمرته تسرع الى آنيتها فتحطمها فى ثورة وغضب ثم تندفع فى بكاء لا حد له وتنصرف الأم سعيدة دهشة ٠ ويخلو الرجل الى امرأته فيريد أن يترضاها ويحاول أن يتعـــرف الخبر فاذا عرفه ضحك من طفولة امرأته وأخذ يلاطفها ويداعبها ولكنها تلقاه لقاء عنيفا ، وما تزال به وبأمه ثائرة ملحة فى أن تترك هذا البيت حتى يغضب زوجها ويفسد الأمر بينهما ، واذا هما يتراشقان بألوان من العتب المر ، واذا هى تنذره واذا هى توعده ، ثم ينصرف عنها بعد حوار طويل يحسن أن يقرأ لما فيه من دقة فى تصوير هذه العواطف التى تصل بين الرجل وامرأته والتى ما تزال بهـا صغائر الأشياء حتى تغيرها وتكدرها ٠ ويعود اليها هادئا ولكن أمه تقبل فتحمل اليه كتابا ينظر فيه ثم يدفعه الى امرأته فتبتهج له ، وهو كتاب من أسرة صديقة لهذه الاسرة تدعوها الى حفلة ستقيمها فى احدى الضواحى ، فما أسرع ما تقبل هيلان الدعوة وتكتب بهذا القبول ، ولكن الأم تعتـــذر

يلح فى مكر على ابنها أن يذهب مع امرأته لأنها متعبة والطبيب يأمرها بالراحة ويحظر عليها تكلف المشقة ، فاذا سألها ابنها عما تشكو ذكرت بلة القلب فى ألفاظ لاتلبث أن تخيف الرجل على أمه ، واذا هو يلح عليها فى أن تستريح ويريد أن يدعو الطبيب فتأبى عليه وتنصرف لتستريح فى غرفتها • ويقبل الرجل على امرأته يطلب اليها فى رفق أن تعدل عن قبول هذه الدعوة لأن أمه لاتستطيع أن ترافقهما وهو لايريد أن يتركها وحدها ، يثور غضب هيلان وتمزق كتابها ويستأنف الحوار العنيف بين الزوجين قد فسد أو كاد يفسد بينهما كل شىء •

ويترك الزوج امرأته مغيظة محنقة محزونة ، وتأتى الأم ، فاذا علمت ان الزوجين لن يقبلا الدعوة ابتهجت بذلك واغتبطت له ، أليســت قــد انتصرت ؟

وهذا هنرى يقبل فتلقاه الأم فى ظرف وتلطف لم يتعودهما ، فاذا انصرفت وخلا الى صاحبته أخذ يظهر دهشته لهذا الظــرف غير المألوف وما يزال بهيلان حتى تظهر له ما تجد من حزن وتشكو له سوء حالها ، واذا هذه الشكوى تشجعه على أن يظهر ماكان قد أضمر ، واذا هو يعلن الى هذه المرأة حبه ويلح فى اعلانه وهى تدفعه وتتهمــه بالأثرة والجبن لأنه ينتهز فرصة هذا الحزن ليخون صديقه ويستغل موقفا ما كان يحسن أن يستغله • وما تزال به حتى يفيق واذا هو يشكو ويعتذر ويستعطف وهى تدفعه راثية له عاطفة عليه طالبة اليه أن ينصرف فيفعل مودعا بألفاظ فيها حب ، وانه ليقول هذه الألفاظ منصرفا واذا الأم تدخل من باب آخر فتسمع ما يقول وتراها هيلان وتعرف انها قد سمعت فتضطرب وتستحى وتحاول أن تحملها على الكلام فلا تظفر بشىء وهى الآن تتملقها وتترضاها حتى اذا استيأست منها انصرفت محزونة مروعة •

ويقبل الزوج فيتحدث الى أمه عاتبا لأنه يراها سالمة بارئة لا علة بهــا فينكر تمارضها منذ حين ، ويرثى لامرأته ويعلن الى أمــه أنه قد يقبل رأى

امرأته ويتخذ معها بيتا خاصا ، فتثور الأم ولكنها ثورة لا تخلو من دهاء ومكر ، فهى تعلن الى ابنها انامرأته ان كانت ترغب فى هذا الاستقلال فهى انما تريد أن تخلص من رقيب خطر ، ولايكاد الرجل يسمع هذه الكلمةحتى يأخذه الشك فيستوضح فتأبى عليه ، فيلح فتأبى عليه ، ولكن اباه المعرض المغرى ، واذا الغيرة قد أخذت تعمل عملها فى نفسه وما يزال يستدرج أمه حتى تذكر أسم هنرى وزيارآته المتصلة فتشتد الغيرة وتتضح التهمة فى نفسه ، وترى أمه هذا كله فتجزع له بعض الشيء لأنها قد وصلت الى أكثر مما كانت تريد ، والرجل ثائر يطلب امرأته اذا أقبلت لم يلبث أن يسألها عن هنرى وأن يتهمها بالريبة .

فقدر أنت ثورة هذه المرأة البريئة ، ولكن قدر فى الوقت نفسه ثوره زوجها حين تأبى أن تدفع عن نفسها . وما يزال الأمر يشتد بينهما حتى يلبغ أقصاه واذاهو يهجم على امرأته كأنه يريد أن يضربها ، واذا هى تعلن اليه فى عنف أن هنرى خليلها وأنها لاحقة به وتنصرف مسرعة فيتبعها ثم لايدركها فيعود ، وتقبل أمه كأنها تريدأن تعزيه فيوليها ظهره صامتا وتفهم أن قد كان بينها وبين ابنها من الشر ما لا سبيل الى استدراكه .

* * *

فاذا كان الفصل الثالث فقد مضى اسبوعان على ما حدثتك به ونحن نرى الأم فى حجرة الاستقبال تلك مستلقيـة كالمتعبة والخـادم يتحدث اليها ، فنفهم أنها مريضة وانها تخفى مرضها على ابنها ، ونفهم أن ابنهـا محزون حزنا لا حد له ملازم لمكتبه لايكاد يريمه مؤثر للوحدة والصمت ، بعيد كل البعد عن أمه يعيش معها وكأنه لا يراها ، وقد أخذ الخادم يشفق عليه ، وآية ذلك أنه جمع أجزاء الآنية التى حطمتها امرأته فضم بعضها الى بعض وأعاد الآنية كماكانت ووضع فيها زهرا يحسب أنه يحسن بذلك الى سيده .

وهذا الابن قد أقبل يتحدث الى أمه حديثا سقيما متقطعا ملـؤه الحزن والغيظ والحقد أيضا ، وما تزال به أمه حتى تصل به الى موضوع حزنه واذا هو يشكو أنه شديد الندم على ما فرط منه لا يستطيع أن يتعزى ، لا ينام ولا يخرج ولا يستطيع أن يفكر ولا أن يحتمل البيت منذ خلا من امرأته ، ولقد تبعها يوم انصرفت فلم يدركها وأسرع الى بيت صديقه فقيل له أنه خرج ومعه امرأة فانتظرهما الليل كله فلم يعودا ورجع الى البيت مـــرات حتى عرف أن صديقه سافر الى الهند ، فهو محنق محزون يأسف لأن امرأته قد تركته ولأنه لم يستطع أن يقتلها ويقتل معها صاحبها ، ثم نفهم أيضـا حقده على أمه لأنها أفسدت بينه وبين امرأته وكانت أثرة مسرفة فى الأثرة لا تفكر الا فى نفسها ولا تحسب لسعادة ابنها حسابا ، والأم تدفع عـن نفسها وتألم لشقاء ابنها وقد انصرف عنها لأنه رأى سيارة مقبلة فيخاف أن يلقى الزائرين ولكن هؤلاء الزائرين ليسوا فى حقيقة الأمر الا امرأة تدخل فتنكر الأم مكانها وهذه المرأة هى « هيلانه » .

تلقاها الأم لقاء فيه بغض وحقد وفيه اتهام بالريبة والاثم ولكن هيلان لا تلبث أن تثبت براءتها وانها انما اتهمت نفسها حنقا وغيظا ثم تهم أن تنصرف فتمسكها الأم ويكون بينهما حوار لا أحبه لأن فيه فلسفة وربمـا ثقلت على الملعب . فيه تحليل للحب الزوجى وتحليل لحب الأمهات ومحاولة لتحديد الموقف الذى يجب أن يـــكون بين الحبين . ومهما يكن أمر هـــذا الحوار فقد اقتنعت الأم بأن سعادة ابنها عند امرأته لا عندها ، وكأنها قد أخذت تحب هذه المرأة .

وهذا ابنها يقبل فاذا رأى امرأته أنكر مكانها وهمـــت أمه أن تنصرف فيمسكها ولكنها تنتهز فرصة وتتركهما وجها لوجه فيكون بينهما جـدال يتهمها وتدفع عن نفسها ، ويأبى أن يصدقها فتلح فى الدفاع وتقص ما كان بينها وبين صاحبها ، فاذا هو قد عرض عليها الحب فأبته عليه فافتقدته بعد ذلك فلم تعرف أين هو وهى تجهل سفره بل تجهل مكانه ، ولكن زوجها لا يصدقها ولا يريد أن يسمع لها فتنهض مستيئسة تريد أن تنصرف حتى اذا

بلغت باب الحجرة سمعت زوجها يدعوها فتعود اليه مبتهجة ، ولـــكن الأم تقبل فى هيئة السفر تودع آبنها فاذا سألها أنبأته بأنأمور ثروتها مضطربة وأنها تريد أنتشرف عليها منقريب ، وان الطبيبيشيرعليها بترك باريس ، وما تزال بابنها حتى يطمئن الى هذاالسفر كارها ، وتأبى عليه أن يشيعها وتقبله وتوصى امرأته به خيرا ، وتنصرف مسرعة ، ويقف ابنها أمامالنافذة وكأنه يريد أن يودعهـــا . وتسمع حركة السيارة فتقول هيلان لزوجها :

« تركتها تسافر ؟ » فيجيبها : « وماذا يعنيك ما دمت أنت ستبقين ؟ »

سعادة اليوم
قصة تمثيلية
للكاتب الفرنسي إدمون جيرو

وليس ينبغي أن يخدعك هذا العنوان ، فتقدر أنك ستقرأ قصة خلقية اجتماعية تعرض للسعادة وتصور الناس لها في هذا العصر ، فليس بين القصة التي نلخصها في هذا الفصل وبين هذا الموضوع صلة ما . وانما « سعادة اليوم » اسم أداة من هذه الأدوات التي تتخذ في الدور ، نستطيع أن نطلق عليها هذا الاسم العامي المبتذل « المكتب » ونريد به هذه هذه المائدة التي نتخذ للكتابة ، وفيها أدراج كثيرة تحفظ فيها السيدات أوراقهن وما لهن من هذه الأدوات الدقيقة المتنوعة . « لسعادة اليوم » في هذه القصة ليست شيئا غير هذا ، هو لفظ أطلق في عصر من العصور الفرنسية وفي طبقة من الطبقات الفرنسية على هذه الأداة الشائعة . وقد أعطت هذه الأداة الشائعة اسمها لهذه القصة لأنها كانت تحتوي سرا من أسرار أسرة ، فاستكشف هذا السر ، وكان استكشافه مصدر طائفة من الأحداث والانفعالات عبثت بطائفة من القلوب والنفوس عبثا عرضه علينا الكاتب في قوة ودقة ومهارة خليقة بالاعجاب .

ولعلك لم تنس بعد هذه القصة البديعة التي حدثتك عنها ، قصة « الفؤاد المقسم » . ولعلك لم تنس بعد هذه العواطف المختلفة التي تتنازع القلوب وتعبث بالنفوس فيما رأيت من قوة وعنف . فقصتنا في هذه المرة تشبه تلك القصة من هذه الناحية ، فهي قصة جهاد عنيف بين عواطف قوية حادة تتنازع قلبا كريما بريئا من الشر والاثم ، ولكنه في الوقت نفسه متأثر أشد التأثر بالحياة الاجتماعية وما توارث الناس من عادة ورأي وحكم ، وما تواضعوا عليه من خلق ونظام . هي قصة نفسية لأنها تعرض عليك نفسا انسانية في ظرف من هذه الظروف الحرجة العسيرة التي تكشف عن دخائل الانسان وتجرده أو تكاد تجرده من كل هذه اللفائف التي تلفه بها الحياة الاجتماعية . فهي قصة اجتماعية لأن هذه النفس التي يعرضها عليك الكاتب انما تألم وتحس ما تحس من

عذاب ، وتخضع لما تخضع له من حرب وجهاد ، بحكم الأوضاع الاجتماعية المتناقضة ، وبحكم الأحداث الاجتماعية التى تحدث فى حياة الناس من حين الى حين ، فتكونهم كما تحب لا كما يحبون ، وتصورهم كما تريد لا كما يريدون . وهى قصة خلقية أيضا لأن هذه النفس حين تتألم وتشعر بالعذاب ، مضطرة الى أن تظهر شيئا من الجلد والقوة على المقاومة ، وهى لا تقاوم عبثا وانما تقاوم فرارا من شر وحرصا على خير ونفور من الأذى ورغبة فى البر .

وهى بعد هذا كله قصة لم تنس المثل الأعلى الذى يضعه الأفراد والجماعات أمامهم حين يحبون وحين يختلفون فى أمورهم المتباينة .

هى هذا كله ، وهى الى هذا كله نموذج من نماذج اللفظ المختار المنتقى ، والحوار الدقيق اللطيف ، والمعانى الجيدة التى فكر فيها صاحبها فأحسن التفكير ، ونسقها فأجاد التنسيق . وقد يستطيع هذا الفصل من فصول التمثيل الفرنسى أن يغتبط بعض الاغتباط ، فهو غنى بهاتين القصتين ، وهو خير من فصول أخرى سبقته ، ولم يظهر فيها كما رأيت فى الشهر الماضى الا لون من هذا القصص التمثيلى الفاتر الذى لا يمثل شيئا ولا يدل على شىء .

ولأعرض عليك أشخاص هذه القصة كما تعودت أن افعل بازاء القصص الأخرى . فقد يكون هذا العرض أيسر سبيل الى فهمها وتذوقها . ولكنى حائر لا أدرى بأى هؤلاء الأشخاص أبدأ ، فالظاهر أن لهذه القصة بطلا ممتازا تدور حوله ، ولكن أشخاصها جميعا أبطال ممتازون . وما أدرى فى حقيقة الأمر الا أن لكل واحد منهم حياته القوية المؤثرة الممتازة . أأبدأ بهذا الشاب الذى تدور القصة كلها حوله والذى يظهر أنه البطل الممتاز فيها ، والذى يظهر فى الوقت نفسه أنه ضحية أبيه وأمه وعصره ! ولم لا ؟ فلا بد من أن نبدأ بواحد من هؤلاء الأبطال . فليكن هذا الشاب .

جان بليسيه شاب قد ناهز من عمره الثلاثين ، جميل المنظر قوى عذب الخلق ، حلو الحديث ، رقيق القلب • ولكنه فى الوقت نفسه بطل من أبطال الحرب الكبرى ، أدركته ولما يكد يدع المدرسة ، فيدخلها جنديا ، ولكنه أبلى فأحسن البلاء ، وتقلب فى مراتب هذه الخدمة العسكرية العاملة وذاق آلامها ولذاتها جميعا ، حتى انتهى به الأمر الى أن أصبح ذا مرتبـــة عالية فى فرقة الطيران• وقد أحسن البلاء فى هذا اللون من ألوان الحرب ، وجر عليه ذلك خطوبا وألوانا من الشرف ، فرأى الموت وصافحه أو كاد ، واضطر الى لمستشفى ، وتحلى صدره بالأوسمة المختلفة ، ثم انجلت عنه غمرة الحرب فاذا هو يعود الى حيث يقيم أبواه فى أحد الأقاليم الفرنسية ويعيشان عيشة ثروة ونعمة وعمل وهدوء • يعيشان فى قصر فخم من قصور العصور الوسطى ، اشترته الأسرة حين أثرت ، ولـكن هذا القصر وما حوله من الأرض الواســـعة مهملان أو كالمهملين ، لأن رئيس الأسرة منصرف عنهما الى مهنة الطب التى يحبها ويكلف بها • فاذا عاد الشاب الى أسرته أسرعت ففكرت فى أن تكل اليه تدبير هذه الثروة ، على أن يكون ذلك عمله فى حياته ، وأسرعت فاختارت له فتاة حسناء لتكون زوجه • وظهـر اطمئنان الفتى الى هذا النوع من الحياة ، فعنى بالقصر والأرض ، وشغف بالفتاة وشغفت به الفتاة أيضا ، وأخـــذا يستقبلان الحياة فى ابتســام وبهجة ، لولا « سعادة اليوم » التى حدثتك عنها فى أول الفصـل ، والتى ستظهر لهذا الفتى أن نشاطه وسروره وابتهاجه للعمل فى هذه الحيـاة السليمة ليست طبيعية ، وانما هى علة يتعلل بها كارها ، وانمـا حياته الحقيقية فى الحرب •

وهذا الشاب من أبوين مختلفين أشد الاختلاف فى الطبقة والتربية ، فأمه من أسرة شريفة بعيـــدة فى الشرف ، تحفظ نسبها فى القـرون الوسطى ، وتذكر ما كان لأجـدادها من بلاء فى تاريخ فرنسا ومن مكانة فى قصور ملوكها • وأم هذا الفتى قد ورثت عن أسرتها الشريفة هـــذه كل خلالها ، فهى مترفة مهذبة رقيقة ممتازة ، وقد أورثت هذه الخلال كلها ابنها الشاب •

اما أبوه فمن طبقة أخرى ، من هذه الطبقة التى كانت مهضومة مظلومة قبل الثورة ، والتى اكتسبت الحرية بعد الثورة ، وجدت فأضافت الى الحرية ثروة وقوة واستئثارا بالحكم • وفيها خلالها ، فهى نشيطة عاملة صريحة شريفة الخلق • وفيها عيوبها ايضا فهى غليظة خشنة قليلة الحظ من التهذيب والرقة والامتياز ، لا تتنزه عن صغائر تعافها الأرستقراطية • كان جد هذا الفتى يعمل فى البريد ، ولكنه جد حتى أثرى وأحسن تربية ابنه حتى أصبح ابنه وزيراً فى الامبراطورية الثالثة ، وترك هذا الوزير ابنا أحسن تربيته فهو طبيب وهو أبو هذا الشاب •

وهذا الشاب متأثر ـ كما قلنا ـ بما ورث عن أمه ، نافر أشد النفور من أخلاق أبيه • فهو لا يكاد يحتمل أباه منذ رجع من الحرب ، وهو يألم لهذا ولكنه لا يجد الى اتقائه سبيلا ، وأبوه يألم له أيضا ، ولكنه يروض نفسه على هذا الألم • وقد علمته الحياة أن يروض نفسه على الألم ، فقد نشأ كما رأيت ابنا لهذا الوزير ، وأدركته حرب السبعين وماتبعها من الهزيمة ، فتركت فى نفسه ماتركت فى نفس الفرنسيين جميعا من هذه الآثار المؤلمة التى يمثلها ضعف العزيمة والاستسلام ثم الطمع والشك • وكان أبوه ضخم الثروة ، فزوجه من امرأته الشريفة الفقيرة • وجد هذاالرجل فى مهنة الطب حتى أحبها علما وعملا ، واتخذها سبيلا الى البر بالفقراء والاحسان الى البائسين • وهو شديد الاعجاب بأسرته وجدها ونشاطها ، لا يكره مع ذلك أن يزدرى الأشراف وخمولهم وكبرياءهم ،ولكن الحياة كانت تدخر له ألما هو الذى جعله بطلا كما أنه أسبغ البطولة على امرأته أيضا • وليس من الخير أن نتعجل فنكشف لك عن هذا الألم ، فهو قوام الشطر الأول من القصة •

فلندع هذه الأسرة ، ولنذكر الشخص الرابع من أشخاص القصة ، وهو « جرين داجوزون » خطيبة جان • فهى فتاة جميلة فتانة ولكنها فقيرة • هى من أسرة نبيلة ، ولكن أباها كان سيىء السيرة والخلق ، وامها كانت تعسة سيئة الحال • فأما أبوها فقد مات • وأما أمها فقد بقى

لها من هذه الحياة السيئة ضرب من الاضطراب العقلى والخلقى ، يمثلـه الغرور والشره والتكلف وما الى هذه الأخلاق مما يجعل الانسان موضع السخرية والاشفاق فى وقت واحد • ولكن الفتـاة لم تتأثر بشىء من هذا ، وانما نشأت نبيلة ذكية القلب جلـــدة قوية الارادة ، قادرة على المقاومة ، ولكنها رقيقة محبة أيضـــا • ولم تكد تعرف هذا الفتى حتى أحبته حبا قويا عنيفا ، ولكنه شريف ممتاز يشبه حب الفتى لها •

هؤلاء هم الأشخاص ، لم أعرض عليك من أمرهم الا ما يمـــكن أن يعرف قبل أن تحدث حوادث القصة فتكشف من نفســـياتهم عما كان مخبـــوءا •

* * *

فاذا كان الفصل الأول فنحن فى أعلى القصر فى هذه الغـرف التى تتخذ ملقى للأدوات العتيقة بعـد أن يستغنى عنها ويزهد فيها ، فتترك فى هذه الغرف مهملة وديعة فى أيدى الزمان يفنيها قليلا قليلا ، وتهمـل معها هذه الغرف ، قد أغلقت أبوابها من دون هذا المتاع كما تغلق المقـابر دون ما تودع من أجسام الموتى • وقد صعد جان الى احدى هـذه الغرف ففتح أبوابها ونوافذها للهواء والضوء ، وأخذ يتفقد ما فيها من متاع فى اعجاب وشـغف • وما هى الا أن أخذ ينسق من هذه الغرفة وما فيهـا مكانا يستقبل فيه خطيبته وأمها وأبويه لتناول الشاى • وكانت هـذه الفـــكرة قـد خطرت لخطيبته حـين علمت بأن فى أعـلى القصر أدوات قديمة من متاع القرون الوسطى • فأقبل الفتى يهيىء لها هذه الغرفة ، وهو يحاور فى ذلك خادمه حوارا لذيذا خفيفا • فهو كلف بهذا المتاع القديم لأنه يمثل حياة آبائه ، ولكن خادمه منصرف عن هذا المتاع لأنه عتيق قد عمل فيه الفنـاء ، ولأنه يؤثر الجديد الذى لم ينله البـــلى • وانظر الى الغرفة قد نسقت تنسيقا حسنا ، والى طاقات الزهر قد وضعت فى هذه الآنية القديمة • ثم انظر الى الفتاة قد أقبلت فما تكاد تنظر الى هذه الأشياء حتى تفتن بها وتمضى فى الاعجاب والثناء • وما كان أخلقها

ان تمضى فى ذلك الى غير حد لولا انها تحب صاحبها ، وصاحبها يحبها وخلوتهما ضيقة محدودة ، فلابد من أن يتحدثا فى الحب ، ولابد من أن يتبادلا هذه القبل التى يفتن الخطيبان فى انتهاز الفرص لها ·

وهما يتحدثان فى حبهما فى خفة ورشاقة وجد أيضا · ونحن نحس اننا لسنا أمام حب فاتر أو نزق · وانما هو الحب القوى الحاد الذى لا يكاد يدخل القلب حتى يملأه ويستأثر به ويندفع منه الى جميع الملكات والعواطف والحواس فيخضعها لسلطانه · هذا الحب الذى كله ثقة وأمل ورغبة واحترام وطمأنينة · وهما فى هذا الحديث وفى هذا الحب واذا الأسرة قد أقبلت ، فلا أخص لك ما يدور من حوار حول المتاع ثم حول الشاى ، فقد تستطيع أن تستغنى عن هذا كله ، وانما لاحظ أن الأب قد أقبل فرحا مبتهجا فتغنى مع الفتاة بعض أغانى الأقليم· وكانت الفتاة بها مبتهجة وأمها كذلك وامرأته ايضا ، الا الفتى فقد غاظه ذلك وضاق به ذرعا ، ولم يستطع أن يخفى ضيقه ، بل عرض باللوم لأبيه ،وقبل الشيخ هذا اللوم فى ألم وغيظ وحزن وسخرية · وانقضى الشاى بين الضحك والحزن تتقيد به أم الفتى لها استطاعت ·

ثم يعلن الشيخ الى الفتاة ان فى القصر غرفا كهذه الغرف فيها متاع أقدم من هذا المتاع وأجمل · فترغب الفتاة فى أن ترى · ويقبل الشيخ على أن يظهرها على هذا المتاع ، وينصرفون جميعا الا الخطيبين ، تخلفا فيما يظهر ليختلسا كلمة أو قبلة · والفتاة تدعو صاحبها الى أن يتبعها الى حيث ترى المتاع ، وهو يأبى ويتعلل ، وما هى الا أن تفهم من تعلله أنه لا يريد أن يرافق أباه ، وانه ضيق النزع بأبيه وطبقة أبيه وما لهذه الطبقة من عادة وما فيها من عيب ، وانه شديد الاعجاب بأمه وطبقة أمه وما فيها من ترف ولين ورقة · وانظر اليه وقد استكشف هذا المتاع القديم الذى كان يسمى « سعادة اليوم » فهو يظهر الفتاة على محاسنه وماقيه من رشاقة فنية · وهو يوازن لها بين هذه الأداة الرشيقة التى تمثل ذوق أمه وأسرتها الشريفة ، وبين تلك الأدوات الغليظة التى يمتلىء بها القصر والتى تمثل ذوق هذه الطبقة الوسطى التى سادت بعد الثورة ·

وقد تركتـه الفتـاة ، فعمد الى هذا المتـاع ، وأخذ ينظـر فى أدراجه ويستنشق رائحتها فى شغف وفتنة ، لأن هذا المتاع قد كـانت أمه تستخدمه فى شبابها ، فهو انمـا يتنسم شـباب أمه • وقد جذب اليه درجا فتنسمه ثم حاول أن يرده فيستعصى عليه كأن شـيئا يعترض دونه ، فينظر فاذا حزمة من الـورق ، فيسرع اليها متلهفا ويتردد ثم يفضها ، فاذا رسائل تنتثر ، فيسرع الى هذه الرسائل يجمعها ويخفيهـا فى جيبـه • ولكنه يسمع صوتا فيبالغ فى السرعة ثم ينهض فينصرف وقد أقبل أبوه فرآه موليا ، ونظر فاذا رسالتان على الأرض قد أخطأهما فيسرع اليهما فيدسهما فى جيبه •

* * *

فاذا كان الفصل الثانى فقد مضت أيام عـلى ما قـدمت لك ، والقوم مجتمعون فى غرفة المائدة بعد العشاء ومعهم الخدم جميعا كأنهم فى حفل منزلى ، والشيخ قائم أمام نار الموقد المتأججة يشوى فيها بنفسـه « الشاه بلوط » أو (الكاستينا كما يسمونه الآن) • وهو يقص على الفتـاة وأمها من عادات الاقليم وأحاديثه مايضحكهما ويلـذهما • وهم جميعا مبتهجون الا الشاب فقد تنحى وانصرف الى كتاب كأنه ينظر فيه ، والا أم الفتى فهى قلقـة لما تشاهد من ضيق ابنها وسوء الحال بينه وبـين أبيـه • وقد انتهى عبث الجماعة الى آخره ، وأعلن الشيخ أن ستجمـع طائفة من هذا « الشاه بلوط » الذى يشوى ، تخرج من الجمر ثم يوضع عليها غطاء ما ، ثم تجلس عليها أصغر الحاضرين سنا • وقد قبلت الفتاة ، والخدم مبتهجون ، وأمها مترددة متكلفة ، ولكن الفتى يترك كتابه وينهى خطيبته عن هـذا العبث فتأبى ، فيلح فتزداد اباء ، فيبالغ فى الالحاح فتغضب ، ويفسد الأمر بينهما بعض الشىء ، وتنصرف غير حافلة بأمها ونذيرها ، وقد أعلنت أن خطيبها يجب أن يعرفها حق المعرفة وأن يعلم أقبل الى المكتبة يتلمس فيها شيئا ، فيستخرج مجمعا للصور وينظـر فيه أحيانا • وقد فسد الحفل وانقلب السرور شيئا يشبه الحزن •

ومضى كل الى مضجعه ، ويظل المسرح خاليا حينا ، ثم اذا الشاب قد أقبل الى المكتبة يتلمس فيها شيئا ، فيستخرج مجمعا للصور وينظر فيه كأنه يبحث عن صورة بعينها ، حتى اذا انتهى اليهااختلسها ودسها فى جيبه . وما يكاد يفرغ من هذا حتى يحس صوتا فيرد مجمع الصور ويظهر أنه يأخذ كتابا . وقد أقبل أبوه ، فيسأله ماذا يصنع ؟ فيجيب الفتى أنه قد امتنع عليه النوم فاقبل يلتمس كتابا يستعين به على الأرق . يجيب الشيخ : وهذه حالى ، فلنتحدث قليلا .

وما يكادان يبتدئان الحديث حتى يصل الشيخ الى ماكان يريد ، فهو يريد أن يتعرف من شأن ابنه مصدر هذا الضيق الذى ظهر عليه منذ أيام والذى أقلق أمه ونغص عليها الحياة ، أو قل ان الشيخ يعرف مصدر هذاالضيق ولكنه يريد أن يتحدث فيه الى الفتى . أما الفتى فيتكلف الجواب ويحتال فى اتقاء الشيخ ويعلن اليه أنه ضيق الذرع بهذه الحياة التى يحياها بعد الحرب والتى لا عمل فيها ، وأنه يريد أن يعمل وأن يكسب وألا يكون مدينا بحياته لأحد .

أما الشيخ فلا تخدعه هذه المحاولة . وماهى الا أن يصل الى غرضه فى صراحة فيعلن الى الفتى انه قد عثر بطائفة من الرسائل ، ولكنه نسى منها اثنتين ويدفعهما اليه ، وأنه قد قرأ هذهالرسائل وعرف ماعرفمن أمرها ، وأن هذه الرسائل هى التى تقص عليه حياته . فاذا أظهر الفتى شيئا من الدهش أنبأه الشيخ فى هدوء والم مبتسم بأنه يعرف ما فى هذه الرسائل ، وعرف ما عرف من أمرها ، وان هذه الرسائل هى التى تنغص عليه حياته ، فاذا أظهر الفتى شيئا من الدهش أنبأه الشيخ فى هدوء والم مبتسم بأنه يعرف مافى هذه الرسائل منذ ثلاثين سنة . ثم يقص على الفتى القصص .

فليس الفتى ابنه وان كان ابنه أمام القانون وأمام الناس وامامه هو أيضا . ذلك أنه قد كان تزوج من امرأته دون ان تحبه كما يتزوج أصحاب الثروة من الفقيرات فى غير حب ولا كلف . فلما لم يجد من

امرأته حبا ولا حنانا ولا هياما زهد فيها وانصرف عنها الى اللهو والعبث ، وفرحت هى بهذا الزهد والانصراف • وفى ذات ليلة لقى صديقا له كان رفيقه فى المدرسة ، وكان من الأشراف ، وكان قد أحب امرأته وكانت قد أحبته ، وكانا يريدان الزواج • ولكن الفقر حال بينها وبينه • فلأمر ما حرص صاحبنا على ان يستأنف الصلة بينه وبين صديقه القديم • وانظر اليه يتهم نفسه أشنع التهم فى لطف ورقة وكرم أيضا • انظر اليه يحدث الفتى بأنه اجتهد فى أن يتردد صديقه على بيته وتتجدد الصلة بينه وبين حبيبته القديمة لأمر لا يكاد يتبينه ، وربما كان منه أنه أحب أن يثير فى نفس امرأته حبها القديم لهذا الرجل لعلها تتورط فى شىء من الاثم فيتخذ ذلك حجة عليها وعذرا لنفسه من آثامه الكثيرة • ومهما يكن من شىء فقد كان ما لم يكن منه بد ، واثمت المرأة ، وكان الفتى نتيجة هذا الاثم ، فأما أبوه فقد ندم وألح عليه الندم حتى التحق بجيش من جيوش المستعمرات الافريقية وجاهد حتى اشترى خطيئته بالموت ، وأما أمه فقد لقيت فى الحمل آلاما ثقالا وتعرضت فى الوضع لخطر الموت ، ووقف زوجها بين الأمانة لمهنته كطبيب يجب ان ينقذ المريضة ، والانتقام لنفسه كزوج يريد أن يقتل الخائنة ، فوفى لمهنته وأنقذ المريضة حتى اذا تم لها الشفاء لم يجد فى نفسه القدرة على استئناف الانتقام فصفح وعفا ، وندمت زوجه وتابت ، وكانت بينهما عودة استحالت حبا قويا شريفا استفاد منه الطفل فنشأ بين قلبين يحبانه ويعطفان عليه •

وقد سمع الفتى هذا القصص ، ولكنه بطل من أبطال الحرب ، قد تعود الهول وتجشمه ، وتعود المكروه وصبر نفسه عليه ، فهو يألم ولكنه يكظم ألمه ، وهو بين أمرين يتنازعان قلبه ونفسه : السخط على أمه وأبيه ، لأنهما وضعاه فى هذه المنزلة الكريهة ، والبر بهذه الأم التى لقيت فى سبيله ما لقيت من ألم ، وتعرضت فى سبيله لما تعرضت له من خطر • وهذا الشيخ الذى كان يظنه أباه والذى كان ينكره ويضيق به والذى ظهر الآن أنه ليس منه فى شىء : أيحبه لأنه نشأه ورباه كما ينشىء الأب ابنه فى مودة وحنان وحب ، أم يبغضه لأنه ليس منه فى

شيء ، ولأنه هو الذى عرض أمه للاثم والخطيئة وهو الذى اضطر أمه الى أن تلده فى غير رضا الأخلاق والقانون ؟ وأبوه ! أيحبه لأنه أبوه ، أم يبغضه لأنه ورط أمه فى الاثم وجنى عليه هذا الوجود المنكر ؟ وخطيبته ! ماذا يصنع بها ؟ أيمضى فى حبها ويكتم عليها ماعرف من أمره فهو اذا يغشها ويدلس عليها ؟ أم يظهرها على كل شيء ، واذا فالى أى حال ينتهى حبه وكبرياؤه وكرامته ؟

وهذه الثروة الضخمة التى يكلها اليه الشيخ أيقبلها وليست له ، أم يردها ؟ واذا ماذا يصنع ؟ فأنت ترى الى هذا الموقف المعقد والى ما فيه من حرج .

وموقف الشيخ ! أتظنه يخلو من الخرج ؟ كلا فقد عفا عن امرأته ، وقد استطاعت امرأته أن تمحو ما فى نفسه من موجدة . وهو يحب امرأته ويريد أن يحميها من كل مكروه ، وقد كان هذا يسيرا ما خفيت القصة على الفتى ، ولكن الفتى قد عرف القصة ، ووقف الشيخ منه فى صراحة موقف الغريب فماذا يصنع ؟ وكيف يعصم امرأته من احتقار ابنها وسخطه ؟ وهو كان أحب الفتى واتخذه ابنا حقا وقد ظهرت خبيئة الأمر ، فماله بشيء هذ الفتى ؟ ومع ذلك فلم يأثم الرجل ولم يقترف خطيئة ، وانما تكلف أتهام نفسه ليخفف عن امرأته وليعطف الشاب على أمه . ما خانها ولا تعمد اغراءها وتوريطها فى الاثم . ومهما يكن من شيء فهو لا يطلب الآن الا أن تجهل امرأته أن ابنها قد ظهر على جليسة الأمر . وهو يائس أو كاليائس من حب هذا الفتى . وقد ضحى بنفسه مرة أخرى ، على أنه قد لقى من حب امرأته ما عزاه عن تضحيته الأولى ، فلعله يلقى من احسانه الى الناس ومن حب الفتاة مايعزيه عن التضحية الثانية .

* * *

فاذا كان الفصل الثالث فقد مضى أسبوعان على ما كان فى الفصل الثانى . ونحن نرى الشيخ فى عيادته ويستقبل المرضى ويطب لهم .

ولكنه متعب قد ظهر عليه السأم والضيق • حتى اذا انصرف آخر مرضاه دعا الخادم فيأمرها بأن تذهب الى الصيدلى وتطلب اليه أن يحتال فى ألا تدفع اليه احدى مرضاه ثمن الدواء ، فهو كثير وهى فقيرة ، ولكنها عزيزة النفس لا تقبل الصدقة ، فليخدعها الصيدلى اذا وليخيل اليها أن الدواء رخيص ، وليضف قيمته الحقيقية الى حساب الطبيب •

وانظر الى امرأة الطبيب قد أقبلت محزونة تشكو الى زوجها ضيق ابنها وانصرافه عنها وعن خطيبته ، وتلتمس لذلك العلل والأسباب ، وتخبر زوجها بأن الرسائل متصلة منذ أيام بين ابنها وبين وزارة الحرب • وهى مشفقة من ذلك ، والشيخ يعزيها فى مودة وحب ، ولكنه لا يظفر من تعزيتها بشىء ، وهى تطلب اليه أن يتحدث الى الفتى ويعظه لعله يكشف من أمره شيئا ، ولعله يرده الى حب أمه وخطيبته والرفق بهما • فيتردد ثم يذعن ، وتنصرف امرأته وترسل اليه الفتى •

وما هى الا أن يتحدثا حتى نعلم أن الفتى قد طلب الى وزارة الحرب عملا ، فعرضت عليه بعثة فى الصين حيث الحرب قائمة فقبل • ومهما يفعل الشيخ ومهما يحتل ومهما يتلطف للفتى فلن يغير رأيه ولا عزمه • والموقف هنا بديع مؤثر حقا • فالشيخ يصطنع اللين حينا ، والاستعطاف والعنف حينا ، والتذير ، والفتى ثابت لا يتزحزح عن موقفه قيد شعرة ، ولم يتزحزح عن موقفه وهو ابن الحرب قد كونته كما أرادت لا كما أراد ! لقد انفق من عمره أربع سنين فى قتل وتدمير ، يقتل النساء والأطفال والشيوخ والشبان ، لا رأى له فى ذلك ولا ارادة ، ويواجه الموت يتقيه مرة ويرسله على الناس مرة أخرى ، فكيف تريده على أن يكون كغيره من أبناء السلم ! انه يعلم حق العلم أنه يمزق قلب أمه وخطيبته وقلب الشيخ أيضا ، ولكن ماذا يعنيه من هذا كله ! أليس ابن الحرب قد صورته فى هذه الصورة ! فليكن مصدر ألم ، وليكن مصدر موت ، فكذلك أرادت الجماعة ان يكون • وقد يئس منه الشيخ ، وأقبلت أمه يائسة أيضا تسأله : أحق ما انبأتنى به خطيبتك من أنك مرتحل الى الصين ؟ يجيبها نعم !! فما أشد تأثير هذا الموقف بين الفتى

وأمه : تستبقيه ضارعة فلا يحفل ، تحاول أن تعرف السر الذى يضطره الى هذا العزم فلا تفلح · وهى تفترض الفروض ، وتتوسل الى الفتى بخطيبته ، ثم يخيل اليها أنه لا يحب هذه الفتاة فتجتهد فى صرفه عنها · ويكون بينهما حوار بديع مؤلم نتمثل فيه نحن الى أى حد أنسيت هذه المرأة اثمها وانصرفت عن خطيئتها ، والى أى حد أثر هذا الاثم فى نفس الشاب وأفسد عليه أمره ·

وينصرف الشاب وقد أيأس الشيخين من نفسه · ولكن أمه قد عرفت الآن أنه قد ظهر على جلية الأمر ·· فانظر اليها منتحبة بين ذراعى زوجها ، وهو يعزيها وينبئها بأنه قد اتهم نفسه ما استطاع ليخفف عنها الوزر أمام ابنها · فاذا رآها تسرف فى البكاء خيل اليها أنها تبكى ندما لما تذكر من اساءتها اليه · ولكنه لا يلبث أن يتبين انها تبكى على ابنها لا عليه · فليضح بنفسه مرة ثالثة ! أليس يحب هذه المرأة ! أليس يحب هذا الفتى ! فليعز هذه ، وليجتهد فى امساك ذاك · ولكن ليس الى امساك الفتى من سبيل ·

* * *

فنحن فى الفصل الرابع وقد أخفق الشيخ وامرأته والفتاة فى صرف الفتى عن عزيمته · ونحن فى طولون ثغر فرنسا الحربى حيث يأخذ الفتى سفينته الحربية الى الصين · وقد أقبل الجماعة كلهم يودعونه · ونحن فى أحد المطاعم المطلة على البحر حيث السفينة وحيث يستطيع المودعون أن يروا السفينة حين تقلع ويتبعوها بأبصارهم حتى تغيب · وأنا أعفيك من هذا الحوار اللذيذ الطويل بين الشيخ وصاحب المطعم ، وأنتهى مسرعا الى هذا الموقف البديع بين العاشقين · فقد التقيا وتعاهدا على الحب والأمانة والوفاء ، وأعلن كل منهما الى صاحبه خبيئة نفسه · ولكن انظر الى الفتاة تطلب الى صاحبها أن يرفق بأمه فقد أثمت كارهة · ومن ذا الذى يستطيع أن يزعم لنفسه العصمة من الاثم ! وأن يحب الشيخ ولو قليلا فقد كان زوجا برا وأبا رحيما · وما ذنبه فى كل ما كان !

فاذا سأل الفتى صاحبته : كيف عرفت سره ، أجابته : لقد أخبرتنى به أمك واتخـذتنى سبيلا الى استعطافك وحملك على الرفق • وانظر إ الفتى وقد تأثر بهـــذا كله ، بمكان أمه من نفسه ، ومـكان هذا الشيـ الخيـر البرىء ، ومكان هذه الفتاة الطاهرة المحبة تستعطفه على هذي البائسين• وقد أقبل الشيخان ، فالفتى رفيق بهما ما استطاع ، يظهـر لأمه من العطف والمودة ما يملـؤها رضـا ، ويقبل الشيخ ولكن دون أن يقول له شيئا ، والشيخ يرضى بهذه القبلة وهو واجم ، لأنه كان ينتظر كلمة مودة لم يظفر بها •

وأقبل ضابط من السـفينة يتعجل الفتى ، فيـودع القوم جميعا ، ولكنه قد لا يقول للشيخ هذه الكلمة التى كان ينتظرها • وقد مضى نحـو السفينة ، وهم جميعا يتبعونه بأبصارهم ، الا الشيخ فـهو على كرسيه واجم محزون • ولكن القوم يسمعون من الفتى صوتا لا يتبينونه ، ثـم لا يلبثـــون أن تبينوا ، فاذا الفتى يدعو أباه ، واذا هم جميعا يدفعـون الشيخ دفعا الى النافذة حيث يرى الفتى ويسمعه يدعوه بهذه الكلمة التى كان ينتظرها : « الى اللقاء يا أبت !! •• »

زوجها

قصة تمثيلية : للكاتبين الفرنسيين

بول جيرالدى و روبير سبيتزر

بول جيرالدى كاتب يفتن به المترفون فى شعورهم وعواطفهم من الفرنسيين ، لأنه مترف فى شعوره وعواطفه ، ومترف بنوع خاص حين يحلل العواطف والشعور • تناول طائفة من الموضوعات فى قصصه التمثيلى فاستطاع أن يبلغ من دقة التحليل ولطف المدخل الى القلوب ما أسرع به الى بيت موليير وانزله منه منزلة رفيعة •

ولست أدرى أيذكر القارىء أنى تحدثت اليه فى غير هذا الموضع عن قصة من قصصه التمثيلية سماها الحب ، وحلل فيها الصلة بين زوجين متحابين يعرض لهما من أسباب الفتنة ما يصرف المرأة عن زوجها حينا ، ثم تتكشف الخبرة لهذه المرأة عن حقيقة الأمر فتتبين أنها كانت مفتونة لا عاشقة ، وأن حبها انما كان مقصورا على زوجها حتى فى أشد أوقات الفتنة • ذلك لأن الحب شىء غير الشغف وغير الهيام وغير هذه الشهوات التى تملك النفس فتفسد عليها الأمر حينا • فيه ثقة تمكن المتحابين من أن يطمئن كل منهما الى صاحبه ، فلا يسمح لنفسه بالشك فيه ولا يتخيل هذا الشك ، وتمكنهما من أن يعتمد كل منهما على صاحبه اعتمادا لا حد له • فيه هذه الثقة التى تمكن الزوج من أن يجيب امرأته حين أنبأته بأن فلانا يتبعها بحبه وطلبت اليه أن يحميها من هذا الحب : « مثلك لا يحتاج الى حماية ولا حراسة ، ولا خير فى حب يتكلف صاحبه أن يقوم دونه يدفع عنه المغيرين » • ثم فيه الى جانب هذه الثقة ألوان من الذكرى يسيرة ضئيلة فى نفسها ، ولكن الحب يتألف منها ، أو قل انها هى التى تؤلف حياة المتحابين •

وقد وفق «بول جيرالدى» فى هذه القصة توفيقا عظيما دون أن يحتاج الى حركة أو مشقة فى تدبير هذه الحركة ، وانما هى كلها حوار بين الزوجين أو بين المرأة وذلك الذى أراد أن يفتنها • ثم لم يقف توفيق «بول جيرالدى» عند هذه القصة بل تجاوزها الى قصة أخرى فتنت الباريسيين فى السنة الماضية، وهى قصة « روبير وماريان » وهو على هذه الاجادة فى التمثيل شاعر مجيد

دقيق ، يحبه الفتيان والفتيات ، ويقرأون له بنوع خاص ديوانا صـــغيرا عنوانه « أنت وأنا » تناول فيه العلاقة بين العاشقين من نواحى الحياة المنزلية اليومية فى لطف ودعة وخفة روح .

ولكن «بول جيرالدى» على هذا كله صاحب جد ، وحظه من الهزل قليل هو مترف فى جده ، خفيف الروح ، يحاول الدعابة والفكاهة ولكنه لا يبلغ منهما مايريد ، أو هو لايريد أن يبلغ منهما شيئا . وكأنه كان محتاجا الى أن يعينه زميله الذى اشترك معه فى وضع هذه القصة التى أتحدث اليك فيها اليوم . كان محتاجا الى هذه المعونة ليلائم بين جـــده وفلسفته المترفة وبين ما يحتاج اليه الباريسيون فى هذه الأيام من الفكاهة واللهو حتى فى أوقات الجد والتفكير العميق . وقد ظفر « بول جيرالدى » من معونة زميله بما أحب وبما أحب الباريسيون ، فجاءت هذه القصة الأخيرة آية فى الجد والفكاهة معا . فأنت لا تستطيع أن تمضى فى قراءتها دون أن ترى نفسك مغرقا فى الضحك ، ولكنك فى الوقت نفسه مغرق فى التفكير والتأمل . ذلك لأن الموضوع كله جد ، ولكن الصورة كلها هزل ، لفظ رشيق فيه عبث كثير ، ولكن من دون هذه الرشاقة والعبث حقيقة من هذه الحقائق التى يجب على كل انسان أن يفكر فيها وأن يلائم بينها وبين سيرته مع زوجه .

وفى الحق أن روحى هذين الكاتبين قد التأما فى هذه القصة التئاما بديعا . وحسبك أنهما استطاعا أن يحملاك على أن تفكر فى أشد الموضوعات خطرا دون أن تجد فى ذلك مشقة أو عنفا ، بل على أن تجد فى ذلك لذة لا تعدلها لذة . ولكن هذه المشقة التى لاتجدها أنت حين تقرأ القصة أجدها أنا حـــين أحاول أن ألخصها لك . ذلك لأنى أستطيع أن ألخص لك موضوعها وغرضها ، ولكنى لن أستطيع أن ألخص لك شكلها وصورتها وحوارها وما فيه من رشاقة وخفة وسرعة ، فكل ذلك لا سبيل الى نقله الا فى ترجمة دقيقة ليست من السهولة واليسر بحيث تظن .

فلأعرض عليك ما أستطيع من هذه القصة معترفا منذ الآن بأنه تلخيص للموضوع لا أكثر ولا أقل . ولأسلك فى هذا العرض الطريق التى تعودت أن

أسلكها فى غير هذه القصة ، فأضع أمامك الأشخاص كما أراد صاحب القصة أن يكونوا ·

والقصة تعتمد قبل كل شىء على التناقض بين شخصين متباينين تباينا تاما فى الطبيعة والذوق والمزاج ، ولكنهما يخدعان عن نفسيهما ويخيل اليهما أنهما متفقان مؤتلفان لا تباين بينهما ولا تناقض ·

فأما أحد هذين الشخصين فالزوج ، واسمه « مكسيم مينار » رجل من أغنياء باريس وأصحاب الأعمال فيها ، رجل كغيره من الناس ، عادى فى ذوقه ومزاجه ، وربما كان الى الطبقة السفلى أقرب منه الى الطبقة العليا ، فان امتاز بشىء فهو يمتاز بجده فى العمل ومهارته فى تصريف الأمور المالية ، وهو لذلك كثير الصمت قليل الكلام قليل الحركة أيضا ، لا يكاد يتصور الحياة الا على أنها انهماك فى العمل حين يكون فى مكتبه ، وأكل ونوم حين يأوى الى بيته · وهو على ذلك قانع بهذه الحياة ، يرى فيها المثل الأعلى للسعادة ·وهو لايفهم من الزوجية الا أن يرى امرأته فى البيت زينة له وأداة لنهوه الذى لا يصيب منه الا قليلا من حين الى حين · وهو يفهم الأمانة الزوجية كما يفهمها غيره من الناس ، لا يخون زوجه ولايريد أن تخونه زوجه ، يكره العبث ، ويسىء الظن بكل لون من ألوان المجون والمزاح ، ولكنه مع هذا كله ضعيف طيب القلب مستعد للعفو ان وقع له ما من شأنه أن يحفظ الرجال · هو رجل طيب ولكنه يعيش فى الأرض وليس له جناحان يستطيع أن يرتفع بهما فى الجو ولو قليلا ·

أما امرأته « جاكلين » فجميلة خلابة ككل نساء القصص · ولكنها تناقض زوجها أشد المناقضة ، فهى قوية الخيال تعيش فى السماء لا فى الأرض ، لاترى الناس كماهم ، وانما تراهم كما تحب أن يكونوا ، تصوغهم صوغا خاصا ، وتسبغ عليهم صورتها الخاصة ، ثم تعيش معهم بعد ذلك عيشة راضية ملؤها الصفاء والطهر والثقة والايمان · ذلك أن نفسها تتصف بهذه الصفات كلها ، فهى راقية تتنزه عن الدنيات · وهى طاهرة لا يكاد يخطر لها الاثم على بال · وهى مطمئنة على نفسها فيبعثها ذلك على أن تطمئن الى الناس وتثق بهم ثقة

لا حد لها . وهى على هذا كله مترفة فى تفكيرها وشعورها ، رقيقة العاطفة ، رقيقة المزاج قوية الحس ، تألم لكل شىء وتسر لكل شىء ، وتنتقل من الألم الى السرور ومن السرور الى الألم فى سرعة غريبة ، تعيش فى حلم مستمر ، وهى بعد هذا كله قد صاغت زوجها فى صورة ملائمة لصورتها ، فاستيقنت أنه أجل الناس ، وأكرمهم ، وأرقهم طبعا ، وأصفاهم مزاجا ، وأبعدهم نظرا ، وأصدقهم حكما على الأشياء والناس أيضا ، حتى اذا أسبغت عليه هذه الصورة الجميلة الخلابة أحبته وفتنت به ، واندفعت فى هذا الحب والفتنة الى أقصى أمد ممكن ، وأخذت تؤول عيوبه على أنها محاسن ومزايا . هو كثير الصمت لا يتحدث اليها فى الحب والغزل ذلك لأنه رقيق دقيق ، ولأن الحب أجل من أن يتناوله الكلام ، ولأن الكلام يفسد الحب اذا تناوله . وما حاجتها الى الكلام ! أليس يكفى أن ينظر اليها زوجها فترى فى هذه النظرات ما تشاء من حب وشغف وولاء وإخلاص ! وهو لا يحب اللهو ولا السمر ، وما حاجتها الى اللهو والسمر ! أليس ذلك دليلا على أنه رجل جد وعمل ! وما حاجتها تراه وقد عاد الى البيت فنظر فى رسائله ثم قال بصوت مغضب: مالنا لانذهب الى المائدة ! ان فى هذا كله لحيا وفتنة . وعلى هذا النحو أحبت زوجها وسعدت بحبه ثلاثة أعوام كاملة ، واتخذت نفسها وزوجها مثالا أعلى للأسرة السعيدة المتحابة . ولكنها كانت تجهل زوجها ، وكانت تجهل نفسها أيضا ، وكانت فى حاجة الى حادثة من الحوادث تظهرها على حقيقة نفسها ، وتعرض عليها زوجها كما هو ، وتنزلها من السحاب الذى كانت تعيش فيه الى الأرض لترى الناس والأشياء كما أراد الله أن يكونوا لا كما صورهم الخيال .

ومن غريب الأمر أن فى هذه القصة شخصا ثالثا يناقض « جاكلين » من بعض الوجوه ، ويوافقها من بعضها الآخر ، وهو مثل شائع الآن فى فرنسا . هذا الشخص هو « جيزيل » أخت « جاكلين » . فتاة تدرس الطب ، حرة فى لفظها وحركاتها وسيرتها ، مسرفة فى هذه الحرية ، لا تتحرج من أن تستعمل فى لغتها ألفاظا يألفها الطلاب وحدهم وينفر منها المترفون ، ولا تتحرج من أن تقضى يومها وشطرا من ليلها مع الشبان فى لهو وعبث ومجون ، ولا تكره أن تعود الى بيتها بعد منتصف الليل وقد لهت ورقصت وصاحبها الى البيت شاب من زملائها فى الدرس ، ولكنها على هذا كله طاهرة السيرة ، تستطيع أن

تقول لأختها انها على عبثها ولهوها لا تزال عذراء وستظل عذراء ٠ وهى لاتكرد أن تعلن الى أختها فى صراحة أن الحب قد بطل فى هذا العصر ، وأن البدعة انما هى فى الدعابة والعبث ليس غير ٠ ومن دون هذا كله قلب خير ملؤه البر والحنان ، ونفس راقية تحب المثل الأعلى وتطمح اليه ، ولكنها تراه عزيزا فتتسامح ، وتنظر الى الحياة مبتسمة فى شىء من السخرية المرة تغشيها حلاوة متكلفة ٠ هى كأختها لولا أن حظها من العقل يفوق حظها من الخيال ٠

وهناك شخص رابع هو أم هاتين الفتاتين ، امرأة متقدمة فى السن تمثل عصرها وتعيش غريبة فى هذا العصر الجديد ، لا تفهم « جاكلين » لأنهـــا تعيش فى السحاب ، ولا تفهم « جيزيل » لأنها تحللت من القيود المألوفة ، وهى معذبة بينهما دائما انهما ستقلانها ٠

ثم هناك شخص خامس نستطيع أن نقول انه البطل الثانى من أبطال هذه القصة ، وهو « اندريه مورو » شاب قد جاوز الثلاثين قليلا ، حسن الطلعة ، منقن الزى ، غنى ، متصل بالأسر الراقية ، شديد الحياء ولكنه حاد العاطفة والمزاج ، ضعيف فيما يظهر لا يكاد يملك نفسه ولا يسيطر على عواطفها ، أكاد أرى أن الكاتبين قد خلقاه خلقا وبعدا به بعض الشىء عن الأشـــخاص المألوفين ٠ وهو كما خلقاه خفيف الروح جذاب ، عذب اللسان منطلقة ، يندفع فى ذلك حتى يخيل اليك أنه مجنون ، وهو فى حقيقة الأمر مجنون قد ذهب الحب بعقله حينا فأصبح كهؤلاء الذين يخضعون للتنويم المغناطيسى ٠

* * *

هؤلاء هم أشخاص القصة ٠ والقصة فى نفسها قصيرة كما أن الوقت الذى تقع فيه قصير ، لايكاد يتجاوز اليومين ٠ أو قل لايكاد يبلغهما ٠ وهى تذكرنا كما قلت بقصة الحب لولا أن الزوجين فى قصة الحب كانا مؤتلفين فى رقة الطبع ورقى النفس ، وهما فى هذه القصة مختلفان ، ومن هنا انتصرت الزوجية فى قصة الحب ، وانهزمت فى هذه القصة ، لولا أن قصة الحب جد كلها ، وهـذه القصة جد قد صيغ فى لفظ فكاهى ٠

نحن فى بيت فى « جاكلين » آخر النهار وقد فرغت من استقبال زائريها فى هذا اليوم الذى تعودت أن تستقبلهم فيه كل أسبوع ، وخلت الى أختهـــا « جيزيل » فكان بينهما حديث نفهم منه الفرق بينهما فى الطبيعة والمزاج ، هما تتحدثان عن صديقة لجاكلين ، فأما « جاكلين » فمفتونة بهـا قد أسبغت عليها صورتها الخاصة وأخذت تسرف فى الثناء عليها • وأما « جيزيل » فقد رأتها كما هى ، وأخـــذت تهون من شغف أختها • وتمضيان فى الحديـث فتتناولان أشياء كثيرة يظهر فيها مابينهما من الاختلاف فى الذوق والحكم ، ولكن يظهر فى الوقت نفسه أن بينهما حبا ومودة تقربان مسافة هذا الخلف وتعطف كلا من الأختين على الأخرى • وقد لامت « جاكلين » أختها لأنهـــا لاتزورها كثيرا ولا تثق بها ولا تطمئن اليها فى الحديث ، واتفقتا بعد حوار طريف على أن تستأنفا حياة الأختين فى ثقة وطمأنينة • وقد فهمنا من هذا الحديث أيضا أن « مكسيم » مسافر لبعض عمله فى بلجيكا ، ورأينا حب « جاكلين » اياه ، وفهمنا أن « جيزيل » مزورة عنه بعض الازورار • وتقبل أمها مضحكة مضطربة لا تدرى علام تقبل من الأمر ، أتمكث مع ابنتها أم تعود الى بيتها ، ثم يستقر رأيها على العودة فتنصرف مع ابنتها الفتاة وتخلو « جاكلين » الى نفسها • فنحس أنها تشعر بشىء من الضجر بوحدتها ، وهى تريد أن تنصرف الى غرفتها فتتناول فيها العشاء ، وهى تهم بذلك لولا أن الخادم يدخل عليها رجلا ، تنظر اليه فاذا هو « مورو » • وكانت قد رأت هذا الشاب مرة واحدة فى بعض الأسفار فانست اليه وأنس اليها ، وتحـــدثا فأطالا الحديث • وأقبل هذا الشاب يزورها فى يوم استقبالها ، ولكنه أقبل متأخرا فيعتذر من هذا التأخر أول الأمر ثم يعترف بأنه تعمده بعد ذلك ، ثم يفتن فى الثناء على «جاكلين» ويظهر اغتباطه بذلك الحديث ، ثم يهم بالانصراف معتذرا ولكنه يلتمس سبيلا للبقاء ، أو يلتمس سبيلا الى العودة ، فيعرض على صاحبته أنه يريد أن يستشيرها فى أمر ذى بال ، وان الوقت متأخر فهو يستأذنها فى أن يعود ليستشيرها فى زيارة أخرى • أما هى فتكاد تحس رضاها عن هذا الحديث وميلها الى هذا الفتى • وقد أذنت له أن يعود ، ثم بدا لها فأمرته أن يبقى ، وأن يعرض قصته فورا • فيبقى ، وينبئها بأنه اختلف فى الشتاء الى احدى الأسر فاتصلت المودة بينه وبينها ، وفى هذه الأسرة

فتاة . فاحس أن الأسرة تطمع فى أن يخطبها ، فهو مضطرب لايدرى أيقطع الصله بينه وبين هذه الأسرة لأنه لا يريد أن يتزوج أم يحتفظ بها • أما « جاكلين » فتدهش لأن صاحبها يستشيرها فى مثل هذا الأمر وهى لا تكاد تعرفه ، ولكنه قد أنس اليها حين رآها فى المرة الأولى ورأى منها صراحة ونصحا واخلاصا فطمع فى أن يستشيرها واطمأن الى رأيها • وهى لا تدرى بم تشير عليه ، ولكنها كما قلت لك طيبة النفس ، صادقة العاطفة • فانظر اليها وقد اندفعت تلوم صاحبها لوما عنيفا لأنه يستشيرها فى مثل هذا الأمر وهى ترى أنه أمر لا يحتمل المشورة ، فأنت بين اثنتين : اما أن تحس بشىء من الميل الى هذه الفتاة ، واذن فاحتفظ بالصلة وامض حتى تنتهى الى الزواج ، واما ألا تحس شيئا واذن فلاينبغى أن تطمع هذه الفتاة ولا أن تضللها • وصاحبنا لايحس شيئا واذن فسيقطع الصلة • ولكن « جاكلين » يروعها هذا وتشفق أن تكون مشورتها عقبة فى سبيل السعادة الزوجية التى تطمع فيها هذه الفتاة ، فتنصح لصاحبها بالأناة والتفكير ، وتندفع فى حديث عن الحب لذيذ كله حرارة وصدق واخلاص ، وقد اندفعت فيه حتى تناولت نفسها وزوجها وسعادتها ، ولم تفكر أو قل لم تشعر بما تترك فى نفس هذا الشاب من الأثر • وهى تجد لذة فى حديثها اليه ، وهو يجد لذة فى الاستماع اليها ، وماتزال فى الحديث وما يزال هو فى الاستماع والسؤال أحيانا حتى ينتهى الأمر الى أقصاه ، وقد خلبت انثى وحببت اليه الزواج ، فاستقر رأيه على أن يسرع الى بيت الفتاة فيخطبها من فوره • وهى الآن تنصح له ألا يتعجل فى الخطبة بعد أن كانت تنصح له ألا يتعجل فى القطيعة •

وقد فهمنا من كل هذا أنها تجد لذة فى الحديث الى الفتى ، وأن الفتى مفتون باستماع حديثها • وهما فى ذلك وقد تقدم الليل واذا « مكسيم » قد أقبل ولم يكن منتظرا ، انما كانت تنتظر عودته من الغد• أقبل فلم يجد أحدا من الخدم ، وعالج باب الدار حتى فتحه ، وتقدم حتى انتهى الى غرفة الاستقبال دون أن يظفر بخادم ، فلما دخل الغرفة رأى زوجه تتحدث الى أجنبى • دهش ودهشت وبهت الزائر ونهض مودعا وانصرف ، وخلا الزوجان ، ولكن بينهما شيئا • أما هى فلم تكن تنتظر هذه العودة ، وأما هو فلم يكن ينتظر أن يرى

هذا الأجنبى ، ولم يكن ينتظر أن تستقبله امرأته هذا الاستقبال ولا سيما وقد قدم عودته يوما وأبرق بذلك الى امرأته ، ولكن الرسالة لم تصل اليها ، وتمام الدليل على ذلك فوصلت الرسالة أثناء حوارهما · ولكن فى نفس الرجل شيئا على كل حال ، فهو يسأل عن هذا الأجنبى فى شىء من الازدراء أول الأمر ، ثم تشتد عنايته به شيئا فشيئا ويظهر الشك قليلا قليلا · والمرأة مخلصة فى الاغتباط بعودة زوجها ، ولكن هذا الشك يؤلمها · يدهشها أولا ، ثم يؤذيها ، ثم تحس الاهانة ، ثم تكبر نفسها وترى أنها أرفع من أن تهبط الى حيث تدافع عن شرفها · وبينما تغلو فى الكبرياء يغلو زوجها ان هذه آثار الخوف وبينما تؤثر الكبرياء فيها فيظهر عليها الغضب يظن زوجها أن هذه آثار الخوف والريبة ، وما هى الا أن ينتهى الى اللوم ثم الى التعنيف ، وكلما مضى فى ذلك اشتد سخط المرأة وكبرياؤها ، فخيل اليـــــه أن الخوف والذعر هما اللذان يشتدان ، حتى ينتهى به الأمر الى الاتهام ، وينتهى بهـــا هى الأمر الى أن تزدرى زوجها فتتهم نفسها أيضا · وقد انتهت الغيرة بالرجل الى أقصاها ، وانتهى الغضب والكبرياء بالمرأة الى أقصاهما فتركت زوجها وأغلقت من دونه البـــاب ·

* * *

فاذا كان الفصل الثانى فنحن حيث كنا فى الفصل الأول من الغـــــد ، و « جاكلين » منصرفة الى أعمال بيتها تأمر خادمها ببعض الشأن · ونحن نحس أنها تألم وأنها ترى أن قد أهينت فى كرامتها وكبريائها ، ولكنها لا تقول شيئا ، ولا تظهر شيئا · ولكن هذه أمها قد أقبلت فى شكلها المضحك دائما ، وهى مضطربة مذعورة ، فاذا رأتها ابنتها خيل اليها انها مريضة ، ثم ظنت أن أختها قد آذتها ، ثم تبينت آخر الأمر أن زوجها قد ذهب اليها وقص عليها ما كان أمس وغلا فى القصص ، فيسوءها ذلك ويؤذيها فى شرفها وكبريائها · ولكنها تطمع فى أن تكون أمها قد دافعت عنها · وقد فعلت أمها فنهرت الرجل وقالت فى ابنتها ما تقوله الأمهات · و « جاكلين » اذن سعيدة تقبل أمها فى حنان وبر · ولكن لا تلبث الشيخة أن تطلب الى ابنتها أن تستعطف زوجها وتصلح ما بينهما من الأمر · فاذا مضت فى الحديث قليلا أحست « جاكلين » أن أمها قد صدقت ما قال فيها الزوج ، فتكلفت الدفاع ولكنها مقتنعة فيما بينها وبين

نفسها بأن ابنتها آثمة ، فيؤلمها ذلك ويؤذيها ايذاء شديدا تكتمه ولكنه مع ذلك ظاهر ، لاتكاد تفهمه الشيخة ، ونفهمه نحن فى وضوح وجلاء ٠

وهذه « جيزيل » مقبلة ٠ ولست أخص لك محاولة الشيخة اقصاءهاواخفاء الأمر عليها فى حوار بديع وحركات مضحكة ، ولكنها قد دخلت على كل حال وخنت الى أختهـا ، وهى تذكر ماكان بينهما من عهـد أمس ، وقد سمعت « مكـسيم » وهو يحدث أمها بالقصة فأقبلت تؤاسى أختها وتظهر لها العطف والنصح والمودة ٠ واسمع لها تهنىء أختها بأنها قد اتخذت لها خليلا وخانت هذا الزوج الذى لايستحق الا أن يخان ، واذن فهى أيضا تتهم أختها وتصدق فيها الفاحشة ! فلا يزيد ذلك « جاكلين » الا ألما ويأسا ، ولكنها تملك نفسها وتأخذ الأمر فى سخرية وعبث من دونهما ألم شديد ٠

وهن فى ذلك واذا بالخادم يستأذن لمورو ، فأما الشيخة فيحنقها ذلك ٠ وأما « جاكلين » فتستقبله ، وهى تستقبله باسمة وهو يقص عليها أمره وأنه خرج من عندها أمس متأثرا مفتونا فلم يملك نفسه فذهب لى أهل الفتـــاة وجلس اليها ، ثم لم يلبث أن تحقق أنها لاترضى مثله الأعلى ، فانصرف عنها وعدل عن اتخاذها زوجا ٠ وهذا كله يلهى «جاكلين » ويلذها ويسليها بعض الشىء ٠ ولكن الفتى يمضى فى حديثه فيخبرها بأنه وان كان قد انصرف عن هذه الفتاة وعرف أنه لا يحبها ، يشعر مع ذلك بأنه يحب ٠ وآية ذلك أنه لم ينم الليل ، وأنه يرى الحياة قد تغيرت كلها ، فهو اذن يحب ، ولكن من يحب ؟ وهو يفكر ويسأل نفسه ٠ وانظر اليه وقدكشف الحقيقة فجأة وأعلنها فجأة : فهو يحب «جاكلين» ويعلن اليهاذلك فىلهجة مضحكة مؤثرةمعا٠ وهى تدهش لذلك أول الأمر ، ثم تغضب ثم تثور ، ولكن هذا كله لا يزيد صـاحبنا الا اقتناعا بأنه يحبها والحاحا فى اعلان هذا الحب ، وهى تنهره وتطرده وتقصيه ، ولكنه لا يزيد الا الحاحا واصرارا ٠ ثم يستكشف أنها هى لاتكرهه وقد لاتحبه، ولكنها تميل اليه بعض الميل ٠ ويستدل على ذلك بأنسها اليه لأول ما لقيته واطمئنانها اليه فى المرة الثانية ٠ وهى تدفع عن نفسها مغضبة ثائرة وقد زاد ذلك فى ايذائها ، فزوجها يتهمها ، وأمها وأختها يصدقان هذه التهمة ، وهذا

الفتى لا يستبعد التهمة أيضا . وقد انتهت الى اخراج هذا الفتى ولـــكنها عذرت زوجها وأخذت تلوم نفسها على هذا الكبر الذى وضعها هذا الموضـــع السيىء ، وقبلت أو رغبت فى أن ترى زوجها وتستعطفه وتظهره على جلية الأمر . ويقبل زوجها فتتلقاه باسمة واثقة مطمئنة وترضاه ، ولكنها كلما حاولت أن تبسط له حقيقة الأمر مضى هو فى الاتهام ثم انتقل منه الى العطف ثم الى العفو . فهو اذن يأبى الا أن تكون زوجه آثمة ، وكبرياؤها تأبى أن تصرح له بجلية الأمر .وقد وقع بينهما ما لم يكن بد من وقوعه ، وظهر أنهما مختلفان اختلافا أساسيا ، فهو لايؤمن بها ولا يقدسها بل يراها كغيرها من النساء ، وهى تألم لذلك ولكنها تقبله وتخفى الألم وتشكر زوجها على العفو اذا طلب اليها هذا الشكر .

* * *

فاذا كان الفصل الثالث فنحن حيث كنا فى الفصلين الأولين من الغـــد ، ولكننا نرى « مكسيم » ضيق الصدر ينتظر امرأته التى خرجت فأبطأت فى العودة ، وقد جاء ميعاد الغداء وهو جائع يتضور ، ويطلب الى الخادم ما يتبلغ به . وهذه « جاكلين » مقبلة ، فهو يلقاها ساخطا لائما ، يعنفها لأنها بعـد الذى كان أمس قد أسرفت فى عدم الاكتراث به . أما هى فتجيبه فى سخرية مؤلمة بأن هذا اللون من التشديد لا يليق به بعد هذا العفو الذى أصدره أمس، على أنها قد تناولت غداءها فى باريس فى أحد المطاعم ، وعلى أنها لا تعرف أين تتعشى ، وعلى أنها قد تريد أن تذهب الى أحد المراقص . وكل هـــذه الأحاديث يدهش لها « مكسيم » ثم يغضب ، ثم يحاول أن يستعمل سلطته وأن يقهر امرأته على أن تحيا حياة ملائمة .ولكنها تنكر عليه ذلك فى سخرية . أليس قد عرف أنها آثمة ثم عفا عنها فهو اذن يبيح لها الاثم ! فليبح لهـــا الحرية . وهما فى هذا الحوار واذا أمها مقبلة ، فينصرف الرجل الى غدائه ، وتعلن الفتاة الى أمها فى شىء من الابهام والسخرية أنها لا تحب زوجها ، وأنها قد عرفته وكشفت أمره وقد كانت تجهله ، فهو رجل كغيرة من الناس ،وأمها لاتفهم من هذا الحديث شيئا . ويفرغ الرجل من غدائه ويعود فيسأل امرأته كيف تريد أن تقضى بقية النهار فلا تجيبه بشىء مقنع ، ثم تنصرف عنه مع أمها الى غرفتها . وتقبل « جيزيل » ، فاذا لقيها تنكر لها وتنكرت له ، ثم كان

بينهما حوار لذيذ يفهم منه « مكسيم » أن امرأته بريئة ، وأنها لم تأثم ،ونفهم نحن أن هذه الفتاة نادمة لأنها أساءت الظن بأختها وآذتها فى شرفهـــا • والرجل لايعرف كيف يحتال فى ارضاء امرأته ،فهو يقترح لوانا من الترضية: يريد أن يستعطفها ، ويريد أن يهدى اليها هدية ، ويريد أن يقبلها ، ثم يبدو له فيرى أن الحل الملائم انما هو أن ينصرف ، وكذلك يفعل • وتأتى « جاكلين» فاذا رأت أختها كان بينهما حوار جاف نفهم منه ألم « جاكلين » وندم الفتـاة وحنانها وكبرياءها أيضا •

ولكن هذا الخادم يستأذن لمورو ، فترفض استقباله ، ثم يعود الخادم فيلح وينبىء بأن مورو قد جلس وأعلن أنه لن ينصرف ، فتأذن له مغضبة وتستقبله منتهرة زاجرة • ولكنه الآن هادىء مطمئن رزين يطلب اليها فى صوت كله دعة وطمأنينة أن تتفضل بتناول العشاء عنده مع زوجها • أما هى فترفض مغضبة ويلح هو متلطفا فتابى • وقد أخذت تدهش لأنه لا يتحدث اليها فى حبه ، وهى لاتملك نفسها أن تسأله : أتاب الى الرشد منذ أمس ؟ فيعتذر فى دعة وهدوء • وكأنها تألم لتغير لهجته ، وكأنها كانت تريد أن تراه مشغوفا مفتونا فتنهره وتزجره فأخذها شىء من الحزن حين رأته هادئا يعتذر ، فهى تلومه فى لطف وحزن على ماكان منه أمس • وانظر اليه وقد انفجر وترك ما كان فيه من دعة وهدوء وأخذ يعلن اليها أنه يحبها ويحبهاويحبها ، وانه انما تكلف هذاالعشاء وهذا الهدوء ليستطيع أن يراها ، وانه كان يريد أن يعتدل ويهدأ ويزورها من وقت لآخر زيارة هادئة محتشمة مكتفيا بذلك ، فأما وقد أبت الا أن يتكلم فهو يتكلم ، وهو يحبها ويحبها ويحبها • ونحس نحن أنها تجد شيئا من اللذة فى أن تسمع هذا الحديث ، ولكنها مع ذلك مغضبة ثائرة تنهره وتزجره وتزعم له أنه لايعرف من أمرها شيئا ، ولا يستطيع أن يحبها، ويأخذ هو فى وصفها ، حتى اذا انتهى الى أنها سعيدة فى حياتها المنزليـــة أنكرت عليه ذلك وألحت فى الانكار فاذا هو سعيد مغتبط ، يرى أنه قد هان كل شىء فى سبيل حبه ، فهو يقبل عليها يأخذ بيدها ويدعوها الى أن تمضى معه ، وهو يهم بتقبيلها وهى تدافعه عن نفسها فى قوة شديدة وضعف شديد معا • وهى قد اضطرت الى أن تستخدم آخر سلاح فتعلن اليه أنها عاشقة وأن

لها خليلا ٠٠ يصدق ذلك أول الأمر ، ثم لا يلبث أن يفطن فينكر وينكر فى عنف ، ويعلن اليها أنها تكذب لتدافع عن نفسها ، وأنه لن يصدق شـــيئا من هذا وأنه لو رآها بين ذراعى رجل لما صدق أنها عاشقة ٠ وهو كلما مضى فى هذا الحديث صادف منها قبولا ورضا ٠ وانظر اليها الآن مطمئنة هادئة ، ولكنها تبكى فى صمت وتشكر له ايمانه بها وحسن رأيه فيها ، ثم تطلب اليه أن ينصرف الآن ، فاذا أبى ألحت عليه فى رفق وفهمتا أنها تحبه ، وأنهـــا تعترف بهذا الحب ٠ ولم لا ؟ فهو الشخص الوحيد الذى آمن بها وبرأها من هذه التهمة ٠ وهو يقبل أن ينصرف ، ولكن على أن يعود اذا عجز عن المضى فى طريقه ٠ وما يكاد يخرج حتى يعود زوجها باسما مبتهجا ، فينبئها بأنه قد استأجر لها مكانا فى الأوبرا حيث الرقص هذا المساء ، ولكنها تعتذر ٠ واذن فسيصحبها زوجها للعشاء فى أحد المطاعم ، ولكنها تعتذر ٠ واذن فسيبقيان فى البيت ولكنها تستدنيه وتنبئه بأنها لا تحبه وقد انصرفت عنه ٠ أما هو فمغرور مفتون بنفسه واثق بسلطانه فهو لايحفل بهذا الاعلان ولكنه يمضى فى حديثه مداعبا هازئا وهى تطلب اليه حريتها فيجيبها فى دعابة وهزء ، وقد أقبل الخادم يستأذن مرة أخرى لمورو ٠ فيأذن له مبتهجا بلقائه ، ويعتذر اليه بأنه أساء لقاءه فى المرة الأولى فقد كان متعبا من آثار الســفر ، وهو يدعوه الى العشاء معهما هذه الليلة ، فيعتذر الفتى محرجا ٠ ويعلن «مكسيم» أسفه ويلح فى أن يتعشى معهما فى احدى ليالى الأسبوع ٠ ثم يعتذر ببعض العمل وينصرف عمدا تاركا لزوجه ترتيب أمر العشاء ٠

فاذا انصرف نظر كل من العاشقين الى صاحبه فى شىء من الحرج والضيق ثم جلس الفتى وطال الصمت حينا ثم أعلن اليها فى هدوء أن اسمه الخاص أندريه ٠٠٠

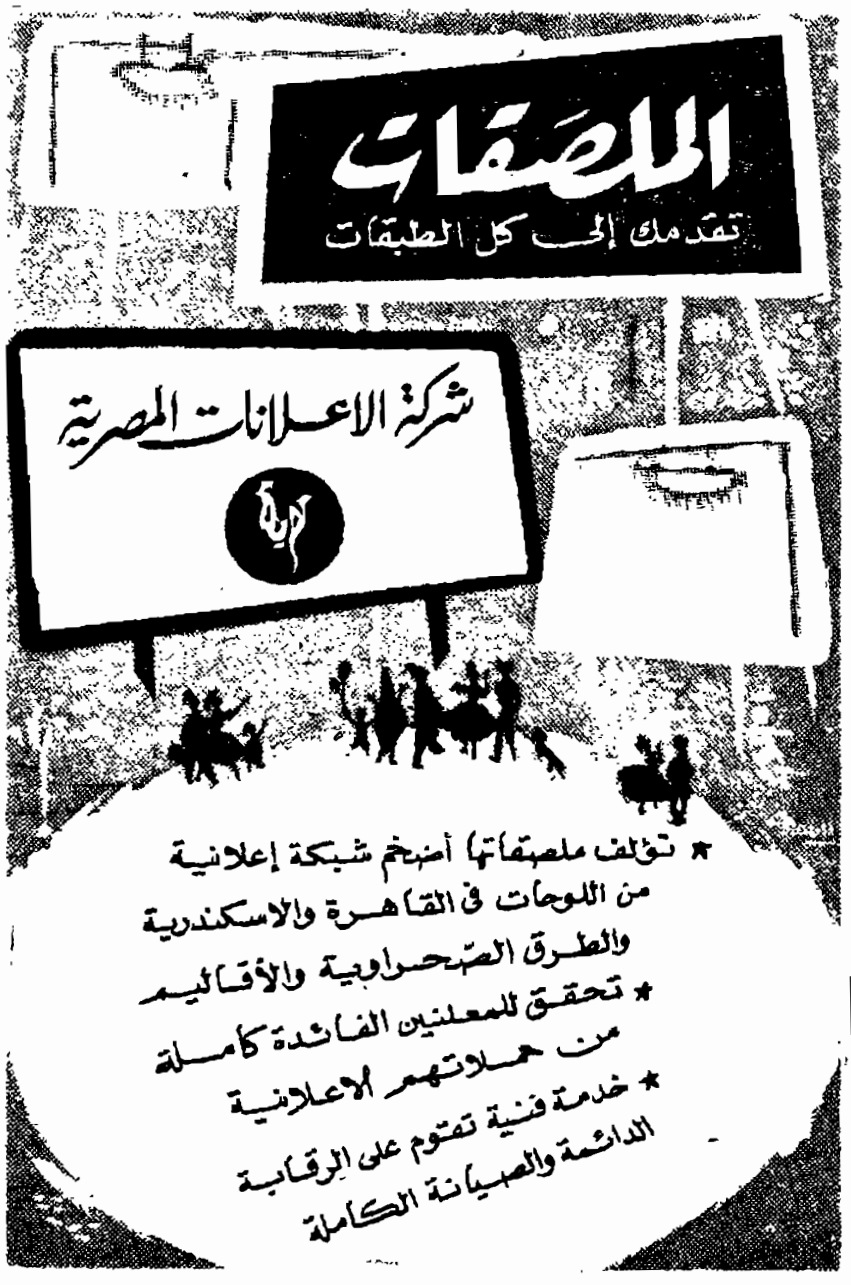
الملصقات
تقدمك إلى كل الطبقات
شركة الاعلانات المصرية
★ تؤلف ملصقاتها أضخم شبكة إعلانية
من اللوحات فى القاهرة والاسكندرية
والطرق الصحراوية والأقاليم
★ تحقق للمعلنين الفائدة كاملة
من حملاتهم الاعلانية
★ خدمة فنية تقوم على الرقابة
الدائمة والصيانة الكاملة

الفؤاد المقسّم

قصة تمثيلية للكاتب الفرنسي

لوسيان بينار

هى قصة جديدة شهدها جمهور الباريسيين في بيت موليير آخر العام الماضى • ولعلها خير ما ظهر للناس فى هـــذا الفصل من فصـــول التمثيل • وآية ذلك أنها ظهرت لأول مرة فى بيت موليير (الكوميدى فرنسيز) ولم تحتج الى ان تتخذ اليه الطرق المعوجة أو المستقيمة التى تتخذها قصص أخرى فتظهر فى ملاعب مختلفة ولا تصل الى بيت موليـير حتى يمضى عليـــها زمن طويل أو قصير •

وأنت لا تحتاج الى كثـــير من التفـــكير ، بل لا تحتـــاج الى شيء من التفكير اذا قرأت هذه القصة لتشعر شعورا قويا واضحا بأنها خليقة ببيت موليير ، ففيها كل ما يلائم هذاالبيت منشدة الأسر وقوة الفكر ، وهـــذا الجد الذى تلذه دون أن يثقـــل عليك والذى تمتاز به الآثار الفرنسية القيمة • ولعل من الحق أيضا أن الاحظ أنى لم أقرأ فى هـــذه الأعوام الأخيرة قصة حديثة أحدثت فى نفسى من الأثر ما أحدثته هذه القصة ، لا أستثنى الا ما يكتبه « فرانسوا دى كـوريل » من حـين الى حين •

فلست أقول شيئا جديدا ان قلت ان النقاد الفرنسيين يلاحظون أن فن التمثيل قد أصابه شيء من الفتور غير قليل فى هذه الأيام ، فقلمـا تجد فى عشرات القصص التى ينتجها الكتاب فى كل عام بل فى كل فصل قصة تملك عليك عواطفك ، وتأخذ عليك طرق الحيـــاة والتفـــكير ، وتكرهك على أن تقف عليها وحدها حياتك العقليـــة والشـــعرية أثنـــاء قراءتها فى مكتبك أو مشاهدتها فى الملعب ، انما هى قصص ســـهلة يسيرة ، فيها عبث ولهو أو فيها تفكير غـير متقن ، وحوار خفيف لذيذ يمس الموضوعات فى غير اثقال ولا أناة ولا اعتصار لخلاصتها • فأنت تقرأ أو تشهد هذه القصص ، وأنت تجد فى هذا شيئا من اللهو والفـكاهة أو تحتاج الى شيء من التفكير لا تلبث أن تنصرف عنه متى انصرفت عن

القصة • وأنت لا تـكاد تنصرف عنها حتى تنسى موضوعهـــا وحوارها واشخاصها ، وحتى ليحدثك فى أمرها محدث بعـــد أن يمضى على ذلك شهر أو بعض شهر فاذا أنت لا تكاد تذكر فيها شيئا ، فأما هذه القصص التى تقرؤها فاذا أنت تحفظ بعض حوارها حفظا ، واذا أشخاصها كلهم أو بعضهم قد ارتسموا فى نفسك ارتساما ، فأنت تراهم يقظان ، وأنت تتوهمهم نائما ، واذا موضوعها قد نصب أمام عقلك نصبـــا ، وأقسم لا يزول ولا ينتقل حتى تفكر فيه تفكيرا متصلا وحتى تجد له حلا يلائم عقلك وهواك • هذه القصص قد بعد العهد بها منذ مات « بول هرفيو » وانصرف كبار الكتاب الى مجدهم يلهون به ويستمتعون بثمراته ، كما يلهو اله ارستطاليس لأنه لا يعلم الا نفسه ولا يعجب الا بنفسه • حتى بعض الكتاب الذين عرفوا قبل الحرب بالقوة والأيد وشـــدة التأثير فى نفوس النظارة والقراء •

والذين لم ينصرفوا الى مجدهم وانما ظلوا عمالا لفن التمثيل يجـــدون فيه بعد الحرب كما كانوا يجدون قبل الحرب واثنـــاءها ، قد أصابهم الضعف وأدركهم الفتور • فأنت تقرأ مايكتبون الآن فلا تحس ما كنـت تحس من قبل ، بل أنت تنكر هؤلاء الكتاب انكارا وان كان النقاد قـــد مهدوا لقصصهم بالفصول الطوال ملؤها الثناء والتقريظ اللذان لا حـــد لهما • ويـكفى أن تنظر الى ما يـكتبه « بزنستين » الآن وما كان يكتبـه قبل الحرب لنقتنع بأن هذه الظاهرة حقيقة لا بد من ملاحظتها والتماس أسبابها للذين يعنون بهذا الفن من فنون الأدب الفرنسى • ولكنى لن أضيع وقتك ووقتى فى التماس العلل لهذا الفتور الذى طرأ على كتـاب التمثيل ، فان هذا الفتور ليس مقصورا على التمثيل وحده وانما يتناول الأدب الفرنسى كله بعد الحرب ، ويجب أن تلتمس علله فى الحرب نفسها وما تركت فى نفس هذا الجيل من أثر • انما أردت أن ألاحظ أن هذه القصة التى أعنى بها اليوم تمتاز من هذه القصص الكثيرة التى تظهـــر وتختفى من ملاهى باريس دون أن تترك أثرا قـويا أو ضعيفا • هـــذه القصة خليقة بالبقاء وستبقى ، وما أرى الا أنها ستعمر طويلا ، لأنها ـ كما

قلت ـ قد جمعت هذه الخصال التى تمتاز بها الآثار الأدبية الفرنسية القيمة ·

ولننظر قبل كل شيء الى موضوع القصة ، فليس هو من هذه الموضوعات الضخمة الفخمة التى تخلبك لما لها من ضخامة وعظم شأن · وليس هو من هذه الموضوعات النفسية الدقيقة التى تسرف فى الدقة حتى لا يلاحظها الا علماء النفس والذين وقفوا أنفسهم على تحليل ما لبعض الناس من ألوان العواطف والشعور الخاصة التى تدرس فى المستشفيات · انما هو موضوع عادى فى نفسه يراه كل انسان ويحسه ويشعر بآثاره ، لا يحتاج من ذلك الا الى حظ عادى من الذكاء والملاحظة ودقة الحس · وأى انسان لا يعرف أن كل امرأة ، مهما تكن مقسمة النفس بين أسرتها الجديدة وأسرتها القديمة · أى الناس لا يعرف أن كل امرأة تتعرض لهذه الأزمة أزمة الخصومة بين حياتها الزوجية وحياتها المنزلية الأولى !! ثم أى الناس لا يعرف **ان كل أسرة تتأسس فهى انما تتأسس على الانقاض ، وهى انما تقطع شيئا كان متصلا لتصل شيئا كان مقطوعا · فالفتاة حين تدخل فى أسرتها الجديدة تقطع الصلة بين ابويها قطعا صريحا او غير صريح ، وتنشىء صلة جديدة مع زوجها وهذه الصلة يقويها الحب ان كان هناك حب ، ثم تقويها الحياة اليومية ثم يقويها الولد يوم يأتى الولد** · وقد أرادت الطبيعة الانسانية أن يكون الحب والمنفعة المشتركة بين الزوجين ، والولد وضعفه وحاجته الى التربية والتعليم ، ثم الأثرة التى فطرنا عليها ، عناصر من شأنها ان تقوى الصلة الجديدة ، وتهون على الرجل والمرأة احتمال « عملية البتر » التى يحدثها الزواج بينهما وبين ابويهما · ولكن نفوس الناس جميعا ليست مستوية الحظ من هذا الاحتمال ، وظروف الناس جميعا ليست متشابهة ، فقد يوجد الحب ويكون من القوة والشدة بحيث يلهى الزوجين عن قديمهما ويغنيهما فى الجديد · وقد يكون هذا الحب قويا شديد التأثير ولكنه يصادف مزاجا قويا وفيا يستطيع ان يتسع للقديم والجديد ، وأن يزعم الوفاء للأسرة والزوج · وقد لا يوجد الحب أصلا ، فيظل

الزوجان متأثرين بقديمهما وتكون الخصومة بين هذا القديم وبين المنفعة الجديدة التى تستتبعها الحياة الزوجية ٠

ونحن لم نفكر الى الآن فى الزوجين ٠ فاذا فكرنا فى أسرتيهما فسنرى أن هاتين الأسرتين لا تقبلان فى رضا واطمئنان هذه القطيعة التى يحدثها الزواج بينهما وبين أبنائهما ٠ فأما اسرة الزوج فساخطة أشد السخط ، متألمة أشد الألم ، ذاكرة ما بذلت من جهد وما احتملت من تضحية فى تربية ابنها وتنشيئه ، حتى اذا استقام له كل شىء لم يجز أبويه الا بالعقوق ، واذا هو يؤثر عليهما امرأته ، واذا هو لا يحس أو لا يكاد يحس ما بينه وبينهما من صلة وما يعطفهما عليه من عاطفة ٠ وأما أسرة الزوجة فساخطة أشد السخط على هذا الزوج نفسه ، لأنه قد أخذ ابنتها من ناحية فقطع الصلة بين الأبوين وبين هذه الفتاة التى بذلا فى سبيلها ما بذلا من جهد ، واحتملا فى سبيلها ما احتملا من تضحية ٠ ثم هو لا يقطع هذه الصلة فحسب ، ولكنه لا يزال يحب أسرته ويعطف على أمه ، واذا فهو لا يحب امرأته كما ينبغى ! واذا فهو متصل بأسرته القديمة أكثر مما هو متصل بأسرته الجديدة !

كل هذه المعانى معروفة شائعة يحسها الناس جميعا ٠ وهى من الآلام الطبيعية التى تقوم عليها حياتنا الإجتماعية مهما تختلف الأزمنة والأمكنة٠ وقد يكون من ألذ المباحث الأدبية التماس ماتركت هذه الخصومة بين الأسرة الجديدة والأسرة القديمة من الآثار الأدبية شعرا ونثرا فى مختلف اللغات ٠

والمعروف أن المرأة أشد اتصالا بأسرتها وأكثر وفاء لأبويها وأحفظ للمودة من الرجل ٠ وأنها فى الوقت نفسه شديدة الغيرة من أسرة زوجها ، تخاصم أمه خصاما شديدا ، وما تزال جادة فى هذا الخصام حتى تنتهى الى الفوز وتظفر لأسرتها الجديدة بالاستقلال ٠ ولكنها لا تحاول أو لا تكاد تحاول تحقيق هذا الاستقلال بالقياس الى أسرتها هى ، فالصلة بينها وبين أبويها قوية ، والمودة متصلة ، وهى تظهرهما من

أمرها على كل شيء وتستشيرهما في كل شيء • وزوجهـا يرضى حينـا ويسخط حينما ، ويظهر الغفلة حينا ، وينتهي دائما الى الاذعان •

وقد اختـــار كاتبنا من كل هذه المعاني ومن كل هؤلاء الأشخاص المنبثين في الأرض كلها طائفة ضيقة صغيرة ، عرضها علينـــا في قوة ومتانة ودقة تفكير • وشيء من التعقيد جديد ما كنا ننتظره نحن ، ولـكنه رفع القصة من مستوى القصـص العادية ، كما يقولون الى مســـتوى القصص الممتازة بدقة البحث عن عواطـف النفس وأهوائهـا • ذلك ان الكاتب محا أسرة الزوج محوا تامـــــا • فنحن لا نعرف أباه ولا أمـه ، وانما نعرفه هو وحده ، ونعرفه قـويا له من الارادة حظ عظيـم جدا ، شديد السلطان على نفسه ، راغب في التسلط على غيره ، موفق في ذلك توفيقا عظيما ، وهو في الوقت نفسه هادىء المزاج حاد العاطفة ، هادىء في حياته العادية قلما يظهر عليه الاضطراب أو الغضب ، ولكنه حـــاد العاطفة • يحب فلا يستطيع أن ينظم حبه ولا أن يضبطه • ويريد فـلا يستطيع أن يضعف ارادته ويحولها عن وجهها • وتقع الخصومة بين حبه وارادته فيندفع في الحب الى أقصاه ، وفي الارادة الى أقصـــاها • ولا يستطيع أن يغلب أحـــدهما على الآخـر ، فيظل موضوع النزاع العنيف بينهما ، ولولا أن تعنى الظروف بانقاذه لذهب ضحية هذا النزاع • وهو الى هذا كله عالم طبيب يعنى بطبـــه عناية العلماء في المعمـــل ، منصرف الى تجاربه ، محاول أن يستكشف من هذا العلم مايغير وجه البحث عنه وطرق العلاج فيه • وهو قوى في علمه قوته في حبه وفي ارادته ، فهو عبد لهذه الأشياء الثلاثة : الحب ، والعلم والارادة • هذا الزوج هو « بيير ريجو » •

أما امرأته « فريدريك » فهي في السادسة والعشرين من عمـــرها ، جميلة خلابة ككل نساء القصص ، ولكنها قوية الارادة أيضا ، شديدة الكبرياء ، اذا همت فليس ما يصرفها عن همهـــا مهما تكن النتائج • وهي محبة قوية الحب ، ليست أقل حبا من زوجها كما أنها ليست أقل ارادة منه • ولكن ارادتها فيما يظهـر أقوى من حبها ، فهي تستطيع أن

تسلو ، بل هى تستطيع أن تالم ، وتألم فى غير حد • ولكن حبها هذا مقسم ، فهى لا تحب زوجها وحـــده ، وانما تحب أباهـا مع زوجها • ولنلاحظ أنها فقدت أمها وهى حـــديثة السن ، فعنى أبوها بتربيتها عناية مضاعفة • ولنلاحظ أيضا ان أباها هذا شخص لا كالأشخاص : له حظ من قوة وبأس ، هو طبيب عالم كصهر ، ولكنه متقدم فى السن الى حد ما ، يدانى الخمسين ، وهو على ذلك قوى له حظ من شباب ، حلـو الحديث فتان للنساء ، مفتون بهن مقرب اليهن • يتهالـكن عليه ويتفانين فى حبه • وهو قد عنى بابنته عناية شديدة ، فأحبته ابنته حبا شديدا ، وأحبها هو كذلك • ولكن فى هذا الحب شيئا غريبا ، فهو لا يشـــبه ما يكون بين الأب وابنته من البر والرحمة ، وانما يشبه ما يكون بين الزوجين من الحنان والفتنة • وآية ذلك أنك تبدأ فى قراءة القصة وتمضى فى الحوار بين الأب وابنته فلا تشك فى أنه حوار بين زوجين أو بين عاشقين ، ويأخذك الدهش حين تستكشف بعد صحف من القصة أنهمـا أب وابنته •

فأنت ترى موضع الخصومة ، وأنت تحس منذ الآن أن هذه الخصومة ستكون عنيفة لأن المختصـــمين جميعا أقوياء ، ولأنهم جميعا يحبـــون فيحسنون الحب ، ويريدون فيحسنون الارادة • وأنت ترى أن الأمر لو وقف عندما تعرف من هؤلاء الأشـــخاص لما أمكـن أن تنحل الخصومة بينهم الا بشر وتضحية ، فيجب أن يضحى بالأب فى سبيل الزوجين ، أو بالزوج فى سبيل الأب وابنته ، أو بالقوم جميعا •

ولكنى لم أكشف لك من شخصية الأب الا عن وجه واحد • وهناك وجه آخر يؤثر فى حيـــاة هؤلاء المختصمين وان كان شرا فى نفســـه وفى ظاهر الأمر بنوع خاص • هذا الرجل أثر مسرف فى الأثرة ، يدفعـه حبه لنفسه الى الكذب والتضليل واقتراف مايشبه الاثم ، وهو مضطر الى ذلك اضطرارا ، فقد رأيت أنه يحب ابنته هذا الحب الغريب ، وهو يلهـو مع طائفة من النساء ، ولـكنه يحب امرأة أخرى حبا طبيعيا حادا ، كما تحب ابنته زوجها • وكما يحب هذا الزوج امرأته • وهذا الحب الطارىء

هو الذى ينتهى بالقصة الى أرقى منازل العنف ، وهو الذى ينحدر بها ، ولكن فى رفق ولين ودعة ، الى حيث الرضا والطمأنينة واستئناف الحياة الهادئة فى لذة وابتسام ، وشىء مع ذلك من المرارة غير قليل .

وفى القصة ، الى هؤلاء الأشخاص ، أشخاص آخرون ، نذكر منهم « جاستون » أخا « فريدريك » ، طالب مسرف فى لهوه وعبثه ، يلهو ويلهى النظارة بمزاحه وسخريته وجهله .

ونذكر منهم « كودريه » جد « فريدريك » لأنه شيخ ، رقيق ، سمح ، رزين ، حسن النصح ، قيم المشورة ، محب لحفيدته وزوجها حبا مؤثرا حقا .

ونذكر منهم هذه الدوقة التى نراها فى الفصل الأول ، جميلة ، فتانة ، لعوبا ، تعبث بأبى « فردريك » وتعبث بنفسها أيضا ، وتعنى بما يمكن وما لا يمكن ، لأنها تحب الاستاذ الطبيب وتريد أن تلهو معه .

ثم نذكر آخر الأمر « مسز ونتون » هذه الاميركية ذات الثروة الضخمة والجمال الرائع والادارة القوية والحب العنيف أيضا . كان زوجها عالما مخترعا ، وكان قد ضيف « جان لوى مارنييه » بن « فريدريك » فأحبته وأحبها ، ثم مات زوجها وأقبلت الى باريس تريد أن تتزوج حبيبها ، فيصطدم حبها بهذه الخصومة بين الأب والزوج والزوجة .

فأنت ترى الى هذه القصة كيف اختار الكاتب موضوعها من هذه الموضوعات الشائعة المبتذلة ، ثم لم يكد يخلق أشخاصها ويبعث فيهم الحياة وينفخ فيهم من روحه حتى صورهم أقوياء ممتازين ، لهم من العواطف والأهواء ما للناس جميعا ، ولكن مع شىء من الدقة والتعقيد ليس للناس جميعا . وماهى الا أن يقف هؤلاء الأشخاص بعضهم لبعض حتى ترتفع القصة وتقوى ، وتحس أنك فى بيئة ممتازة من كل ناحية

دون أن يمنعك هذا الحس أن تجد نفسك وعواطفك وحياتك ممثلة فى هذه القصة من كل الوجوه أو من بعضها ٠

والآن وقد صـــورت لك هؤلاء الأشخاص تصويرا مقاربا أستطيـــع أن أوجز لك خلاصة هذه القصة ٠ ولكنى ألفتك منذ الآن الى أن هـــذا التلخيص لن يغنى عنك شيئا والى أنك لن تجد اللذة والمنفعـــة آلا فى قراءة القصة نفسهـــا ٠

* * *

نحن فى بيت « جان لوى مارنييه » أول الليل ٠ ينصرف القوم عـــن المائدة وقد أخذوا يأتون الى غرفة الاســـتقبال ٠ وكان أول القـــادمين « كودريه » وحفيده « جاستون » ٠ ونحن نرى الشاب يعنى بالشـــيخ عناية لا تخلو من غلو ، ويمهـــد له ويقدم اليه البيبـــة ، ويتلطف له فى الحديث ٠ ويحس الشيخ أن هذه العناية لم يرد بها وجه الله ، وما هى الا لحظة حتى تفهـــم أن الشاب فى حاجـــة الى الفرنـــكات لأنه يريد أن يشترى سيارة ٠

ثم يأتى « جان لوى » وقد قدم ذراعه الى ابنته ، فلا يكادون يتحدثون حتى يضـــيق الفتى ذرعا بأبيه الذى أخذ يسأله فى الألمانية ، وبأختـــه التى أخذت تظهر جهله بهذه اللغة ، فينتحى بجده الشيخ ناحيـــة ليلعب النرد ٠ ونرى الأب يجلس الى ابنته ويتحدثان ، ونحن نرى الفتاة تعنى بأبيها ولكنها عناية لا تخلو من دعابة وفكاهة ٠ والرجل يجيب على هـــذه الدعابة والفكاهة بمثلهما ، ثم لا يلبث هذا العبث أن يستحيل الى جد ٠ فقد ظهرت غيرة المرأة ، ووقف الرجل موقف الدفاع عن نفسه ٠ ذلك أن الخـــادم قد حمل اليه رسالة ، تقـــرؤها المرأة فاذا هى من الدوقة التى أشرت اليها آنفا ٠ وهى تنبىء الأستاذ بأنها ستزوره بعد العشاء لتقص عليه أخبارا مهمة متصـــلة بانتخابه فى المجمـــع العلمى ٠ فلا تكاد « فردريك » تقرأ هذه الرسالة حتى تثور وتأخذها غيرة حادة ، وتحصى للرجل سيئاته وآثامه ولهوه ، وتعلن أنها قد صفحت عن هذا كله لأنه

لم يكن شيئا يذكر ، انما كان لهو ساعة أو بعض ساعة ، وانها لم تخف حقا الا مرة واحدة حين ذهب الأستاذ الى أحد المؤتمرات فى أمريكا فأحب « مسز ونتون » امـــرأة مضيفة ، فى هذه المرة خـافت حقا ، وأحســـت أن الأستاذ سيفلت من يدها • وهى ثائرة ، فقد كانت تقدر أنها ستتفق مع الأستاذ شطرا من الليل فى خلوة لذيذة ينصرفان فيها الى العمل ، تقرأ هى المسودات ويصحح الأستاذ • وانظـــر اليها كيف أجلست الأستاذ فى مجلس حسن ، وجلست هى بين يديه فى شىء من الظـرف والدعابة • ولكن هذه هى الدوقة تنذر بمقدمها ! •• لن يـكون هذا • وهى تأمر الخادم بأن يسرع الى التليفون فينبىء الدوقـة بأن الأستاذ مريض لا يستطيع أن يلقى أحدا ، والأستاذ يعارض ويمانع ، ولكنه مضطر الى الاذعان • على أن الخادم لا يلبث أن يعـود ويعلن فى أسف أن الدوقة وزوجها الشيخ قد خرجا من قصرهما وهمـا فى الطـريق • فانظر الى ثورة المرأة وحدتها وانظر الى الأستاذ يهدئها ويتوسـل اليها فى ألا تسيىء استقبال الدوقة • وهذه هى الدوقة تقبل مسرعة ومعهـــا زوجها ، فلا تكاد ترى الأستاذ حتى تتحدث معه بلسانين : لسان يسمعه الناس جميعا وفيه أحاديث عادية ، ولسان آخر يسمعه الأستاذ وحده وفيه مودة وتعريض بمواعيده • و « فريدريك » تتحـدث الى الأستاذ بلسانين أيضا : لسان عادى يسمعه الناس ، ولسان آخر فيه نـــذير وتحذير • وانظر الى هاتين المرأتين تتقـــارضان جملا ظاهرها فيه الود والتحية وباطنها فيه البغض والعـــــداء • وقد أقبل « بيير ريجو » زوج « فريدريك » فتنتهز الدوقة هذه الفرصة وتطلب الى الأستاذ أن يرافقها الى « البيانو » لتلعب هى ويغنى هو ، فهى تحب صوته الرخيم ولا سيما حين يغنى القطعة الروسية • ويحاول الأستاذ أن يعتذر لأن ابنته تلح عليه فى الاعتذار من طرف خفى ، ولكنه لا يفلـح ، فهو يذهب اذا الى البيانو حيث يسمع غناؤه من بعد • وفى هذه اللحظة تخلو « فريدريك » الى زوجها ، فلا يكادان يتحـدثان حتى نحس أن « فردريك » مشغولة بأبيها وصاحبته ، وأن زوجهـا يرى ذلك فيغتم له ويثور ولـكنه يـكظم غمه وثورته ، ويلح على امرأته فى أن تتلطف بالدوقة ولا تظهـــر هذه

الغيرة المنكرة · وامرأته منصرفة عنه ، ماضية فى الاعجاب بصوت أبيها والسخط على هذه المرأة ، حتى يعود الأستاذ ومعه صاحبته ، فتلتقفه ابنته التقاطا ، وتمضى الدوقة الى بيير تتحدث اليه ، وتنظر معه طائفة من الصور فى دعابة وتلطف · و « فريدريك » منصرفة الى أبيها تلومه وتداعبه ، وتلاحظ فى الوقت نفسه زوجها والدوقة ، وتلفت أباها الى هذه المرأة التى تداعب زوجها وتعبث بشعرها فى وجهه · والأستاذ مضطرب بين ابنته صاحبته · ثم تنهض الدوقة للانصراف ، ويخرج الأستاذ وابنته لتشييعها ، ويخلو « بيير » الى « كودريه » · فنفهم من حديثهما انه ساخط على حميه شديد الغيرة منه ، وأنه سيكون له معه شأن بعد حين · فاذا عاد الأستاذ وابنته تعجل « بيير » فعرض عليهما موضوع هذا الشأن الذى يريد أن يتحدث فيه ، وهو أنه ضيق الذرع بباريس · وبمعاملها ، وقد سنحت له فرصة تمكنه من العمل الجدى المنتج بعيدا عن باريس · ذلك أن غنية امريكية هى « مسز ونتون » قد أنشأت فى أحد الأقاليم مستشفى عظيما للسل ، وفيه معامل حسنة النظام غنية بالأدوات ، وقد عرض عليه أن يعمل فى هذا المستشفى فقبل · ونحن نفهم أن صاحبنا انما يريد أن يترك باريس لا حبا فى العلم طبعا ، ولكن ليستأثر بامرأته بنوع خاص ، فلا يكاد يعرض هذا الأمر حتى يثور الأستاذ ثورة عنيفة ويعلن أن ابنته لن تترك باريس · وتمالئه ابنته فى هذا ، وتسلك لاقناع زوجها طرقا مختلفة ، فيها اللين والشدة ، وفيها الاستعطاف والانذار فلا تفلح ، ويوشك الأمر أن يفسد بين القوم لولا توسط الشيخ ، ولولا أن « بيير » قد نهض للانصراف · فاذا خلا الشيخ الى صهره حاول اقناعه وحمله على أن يدع ابنته تترك باريس فلا يوفق · وهنا حوار بديع بين الشيخ وصهره فى الصلة بين الآباء والأبناء ، وما يجب على الآباء من التضحية بأنفسهم لأنهم لا يملكون أبناءهم ، ولا ينشئونهم للذة والمتاع ، وانما ينشئونهم لأنفسهم قبل كل شىء ·

* * *

فاذا كان الفصل الثانى فقد مضت ساعات قليلة على ماكان فى

الفصـــل الأول • ونحنُ في بيت « بيير » في غرفة النوم • وقد أوت « فريدريك » الى سريرها والخادم تحدثها فتنبئها بأن سيدهـا يعمل في مكتبه ، وقد أمر فأعد له خادمه مضجعا في المكتب فيقع هـذا الحـديث من نفس « فردريك » موقعا تحس أنه مؤلم • وأنظـر اليها وقد صرفـت الخادم ولكنها لا تستطيع النوم ، فهي قلقة مضطربة تتسـمع حركات زوجها في مكتبه • ولهذه اليقظة المضطربة من هذه الظلمة المدلهمة في نفسها أثر قوى ، ولكن بابا يفتح ونورا يغمر الغرفة ، وقد ظهر الزوج فتتكلف صاحبتنا النوم ، وكأنها قد استيقظت فزعـة • ولكن زوجـها يعلم أنها لم تنـم • وقد أقبـل يعتذر اليها ويتلطف بها ويستغفر ممـا قدم ، واطمأنت هي الى ذلك ، وصفا مابين الزوجين الحبيبين واطفىء من النـور أكثره ، ولم يبق منه الا شيء ضئيل يلائم نجوى المحبـين آخر الليل ، وما يكون بينهما من عتاب واستعطاف ثم رضا واطمئنان • وهما في ذلك وهو يشكو غيرته من أبيها ، وهي تدافعه في لطـف ورقـة ، ولكن التليفون يدق فيحاول أن يمنعهـا من النهوض له فلا يوفق ، وقد نهضت الى التليفون فاذا أبوها قد عاد ، وهو يسأل عنهـا ويلح عليهـا في ألا تسـافر مع زوجها ، وهي تجيبه بحديث متقطع يظهر فيه أنهـا مقسمة بين الرجلين ، تحب زوجها وتريد أن ترضيه ، وتحب أباها وتكره أن تفارقه ، حتى اذا فرغ هذا الحديث بعد مشقة عادت الى زوجها تريد أن ترضيـــه وتصل معه الى اتفاق معقول • ولـــكن لم يبق الى ذلك من سبيل ، فقد دخل الأب بينهما فأفسد كل شيء • وكيف بهذا الرجـل يدخل بين الزوجين حتى آخر الليل وحتى أوقات الصفو والرضا ، وقد انتهت الثورة بصاحبنا الى الظلم ، فهو ينكر على امرأته أنها تحبه ، وهو يسرف في ذلك ، وهي تتلطف حينا وتشتد حينا ، حتى يصل الأمر بهما الى أقصاه • فهو يعرض عليـها السفر ، وهي تأبى ، وهو يعلـن أنـه مسافر وحده ، وهي تنذر ، وهما في هـذا واذا الخادم يطرق الباب ، يتحدث الى سيده بأنه قد أعد له أمتعته ، وبأن القطار سيسافر سـاعة كذا ، فاذا سمعت « فريدريك » هذا الحديث وفهمت أن زوجها كان قد أزمع السفر دون أن يظفر برضـاها وقـع ذلك في نفسها موقعا أليما ،

تغلب فى العناد والاصرار ، وغلا هو أيضا فى اللجاج ، وافترقا متغاضبين وانسـدل الستار ، وانا لنسـمع زفرات هذه المحبة المعذبة بين حبهـا وكبريائها ، بين أبيها وزوجها ٠

* * *

فاذا كان الفصل الثـالث فنحن فى بيت « جان لوى مارنييه » أول النهار ٠ نرى « فريدريك » جالسة الى مكتب فى يدها ورق وقلم كأنهـا تحصى شيئا ، وقد دخل عليها أخوها الشاب ، وفهمـنا من حديثهمـا أن هذا اليوم هو يوم الانتخـاب فى المجمـع العـلمى ، وهى تحصى الأصوات التى قد يظفر بها أبوها والأصـوات التى قد تخطئه ٠ وهى تلاحظ لأخيها أن الأستاذ قد عاد متأخرا فى الليلةالماضية وانه متعب ، وانها قد أمرت الخادم ألا يوقظـه الا اذا تقدم النـهار ٠ ولكنها لا تكاد تفرغ من هذا الحديث حتى يدخل الأستاذ كأحسن ما كان قوة ونشاطا مستعدا للخـروج ، فتلقاه ابنته فى دعابتها وفكاهتها ، ويلقاها هـو بمثل ذلك ٠ وانظـر اليها تطلب اليه يومه وليلتـه تريد أن يفرغا من المهنئين بعد الانتخـاب ، وأن يفلتا الى أحد المطاعم ثم الى أحد الملاعب ، وهو يجيبها فى غموض : « سنرى ٠٠٠ »

ويبدأ فيعلن اليهـا أنه لن يتغدى معها وينتحل لذلك المعـاذير ، وهى مغضبة فى دعـابة ٠ ولـكن جدها قد أقبل ٠ من مكان بعيد ليشهـد يوم الانتخاب ، فينفلت الأستاذ ويترك ابنته مع الشيخ ٠ ولا تكاد المرأة تتحدث الى جدها حتى يذكر « بيير » ونرى من الحديث انها تألم ولكنها تكظم ألمها ، وهى غير موفقة فى هذا الكتمان : أليست قد أحصت الأيام منذ سافر زوجها ؟ أليست مغضبة لأنه لم يكتب اليـها كتابا واحدا وقد مضى على سفره نيف وثلاثون يوما ؟! أليست كانت تنتظـر أن تراه فى باريس يوم الانتخاب ؟! هى مغضبة واجدة ، وكانت تحب أن ترى زوجها لتتفق معه على الطلاق فليس الى استمرار الزوجيـة من سـبيل وقد أنبأها المحامى أن قضية الطلاق لا تحتاج الى أكثر من شـهر الا أن

يقاوم زوجها ، وما تظن أنه يقاوم . فاذا أراد الشيخ أن ينبئها بأنها ما زالت تحب زوجها غضبت وزجرت جدها كأنها تشفق من هذا الحديث .

ولكن الخادم قد دخل ومعه بطاقة . تنظر فيها فاذا هي بطاقة « مسز ونتون » ويقول الخادم ان هذه لسيدة تلح فى أن ترى مولاته ، فتأذن لها وتخلو اليها . فتسألها هذه : ما بالها لم تجب الى دعوتها وقد طلبت اليها الزيارة غير مرة ؟ فتعلن اليها « فريدريك » دهشة أنها لم تتلق دعوة ولم تعلن بوجودها فى باريس . فتسألها : ألم يخبرك الأستاذ بأنى فى باريس منذ حين ، وانى أراه كل يوم وكل ليلة وانى أكلفه دعوتك الى زيارتى واني معتزمة أن أسافر معه الى روما ، وان زوجى قد مات . وأن الأستاذ يريد أن يتخذنى له زوجا ، واننا نفكر فى أن تصلح بينك وبين زوجك ؟ ! وتقع هذه الأنباء كلها من « فريدريك » موقع الصاعقة ، ويظهر لهاتين المرأتين أن الرجل قد كذبهما وعبث بهما ، فتتفقان فجأة على مقته والسخط عليه ، وتنشأ بينهما فجأة مودة قوية مصدرها فيما يظهر تشابههما فى الحب والارادة والصراحة واستقامة الخلق . وهما فى ذلك اذا الأستاذ قد عاد ، فاذا رأى صاحبته أخذه الاضطراب ولم يحسن الحديث ، ثم تتركه صاحبته لابنته . فيكون بينهما موقف عنيف مؤلم ، يظهر فيه مقدار ما لحب النفس من التأثير فى حياة الناس : هذا الرجل الذى كان يحب ابنته ويسرف فى حبها حتى ليضحى بها فى سبيل نفسه ، وهذه المرأة التى كانت تحب أباها وتسرف فى حبه حتى لتضحى بزوجها فى سبيل هذا الحب ، وقد وقفا الآن موقف الخصومة وجها لوجه ، لأن امرأة أخرى قد دخلت بينهما فاستأثرت بقلب هذا الرجل . وهذه بنته تتهمه بالكذب والقسوة والأثرة والخداع ، وهو يتهم ابنته بالعقوق والاثم .

وهى تعلن اليه أنه لن يتزوج من المرأة ، وهو يعلن اليها أنها ستعود الى زوجها ، وسيقترن هو بهذه المرأة ، كل ذلك فى قوة وعنف مؤثرين حقا .

ويقبــل الشيخ فينقطع هذا الحوار العنيف ، وتنصرف الفتاة • فاذا خلا الرجلان قال الأستاذ لحميه : يجب أن تسافر وتعود ومعك « بيير » فيجيب الشيخ : ان « بيير » فى باريس وهو فى بيته ، بين هذه الاشياء التى تمثل حبه يألم ويأسى • فيقول الشيخ : اذهــب فأنبئه ان امرأته تنتظره • فاذا تردد الشيخ وألح عليــه الأستاذ وأقسم انه لصادق فينصرف الشيخ مسرورا مترددا معلنا أن الأمر متصل بسعادة حفيدته ، فيقول الأستاذ وكأنه يحدث نفسه : وسعادتى أنا أيضا •• !

* * *

فاذا كان الفصل الرابع فلم يمض على هذا كله الا دقائق • ونحن نرى « فريدريك » متهيئة للخــروج ، ولكن الخادم ينبئها أن زوجها يستأذن، فتأذن له فى دهش وحيرة تقدرهما أنت قدرهما • فاذا رأته سألها : أأنت قد دعوتنا ؟ فتجيب فى دهش : نعم ! •• ثم تقبل عليه معتــذرة مستعطفة متلطفة • ونحس نحن أن هذا كله يهــز الشاب هزا عنيفا ، وانه لو استسلم لعواطفه لقبل ورضى بل لاعتــذر واستعطف • ولكن له ارادته وكبرياءه ، فهــو يكظم تأثره ويظهر الشك ، حتى اذا فرغت امرأته أو كانت تفــرغ أعلن اليها فى صراحة ملؤها الجفوة والحب معــا أنها انما تستعطفه لأن أباها يريد أن يتزوج ، لأنها تحس أنها ستصبح وحيدة ، فهى تعود الى زوجها حتى اذا عاد اليهــا أبوها رجعت اليــه • وهو دهش لأنها لا تعلم من أمر هذا الزواج شيئا• ولكن دهشه سيزول ، فهذ الأستاذ قد أقبل محزونا منكسر النفس قد ظهــر عليه الضعف والاستسلام ، فيخبر بأنه هو الذى دعا « بيير » ، ثم يخبر بأنه فــاز فى الانتخاب ولــكنه على ذلك محزون منكسر النفس • وذلك أن حبيبته قد قطعت مابينهما من صلة ، وأعلنت اليه أنها تاركة باريس مساء اليوم ، وأبت عليه حتى أن يودعها بل أن يراها مرة أخيرة قبل سفرها • وهو يلوم ابنته لأنها مصدر هذا كله •

ثم انظر اليه يستعطف ابنته ويتوسل اليها ، فهى وحدها تستطيع أن تغــير رأى هذه المرأة ، وهى وحدها تستطيع أن تردها اليه فترد اليــه

الغبطة والسعادة والحياة . وهو ويعتذر ويلح فى الاعتذار ، ويعترف بأنه كان أثرا آثما مسرفا فى حب نفسه ، ولكنه لم يكن يحس هذا كله ولا يقدره ، وابنته لا تجيبه الا فى قسوة وعنف حتى يرق « بيير » نفسه ويلومها على ذلك فى لطف . وقد انتهى الامر بهؤلاء الناس الى حرج ليس بعده حرج . فأما الاستاذ فمذعن مستسلم بعد أن ظهر له أن ابنته لن تشفع له . وأما « بيير » فمستمسك بكبريائه . لم يقتنع بعد بأن امرأته تحبه هذا الحب الذى يمكنها من التضحية بأبيها ، وأما « فريدريك » فقد أعلنت فى حزم وقسم أنها تاركة هذا البيت مساء اليوم ولن تعود اليه مهما يكن من شىء سواء أتم الصلح بينها وبين زوجها أم لم يتم . وانظر الى استسلام الشيخ وقد نهض معلنا انه ذاهب الى الدوقة لأنها جمعت الى الشاب طائفة من المعجبين به يهنئونه بالفوز فى الانتخاب وهو يداعب صهره فى حزن فيطلب اليه ألا يهزأ بشيوخ المجمع العلمى .

وقد أقبل صديق « بيير » يتعجله ليسافرا ، فيتردد قليلا ثم يجيب بأنه لن يسافر الآن . وتقع هذه الجملة من نفس « فريدريك » الموقع الذى تقدره أنت ، فقد أحست أن زوجها قد رضى وثاب اليها . ولكن زوجها يسألها : ألا ترين أن أباك يحب هذه المرأة حبا مبرحا ؟فتجيب : بلى ، ولكنه لا يستحق هذه المرأة . فيلح وانظر اليه يستعطفها ويتوسل اليها فى أن تشفع لأبيها عند حبيبته ، فتقبل كارهة ، ولكن على أن يشاركها فى هذه الشفاعة لتعلم هذه المرأة أن سعيهما صادق وانهما قد تصافيا حقا .

القلب الأزرق

قصة تمثيلية وضعها للكتب المجرى

فرنسوا هرزج

يقول النقـــادالفرنسيون لهـذه القصة انها وضعت منذ خمس عشرة سنة فلقيت فوزا عظيما في بودابســت ثم ترجمت الى لغـات مختلفـــة فاعجبت بها الجمـــاهير في فينـا وبرلين وروما ولندن وأمريكا ، ولكنها لم تمثـــل في باريس الا هذا العام ..

والنقـــاد الفرنسيون يجمعـــون او يكادون يجمعون على أنها قصة جيدة متقنة الوضع بديعة التنسيق والتاليف .

ولكن هذه القصة لم تنقل الى الفرنسية كما وضعها صاحبها ، وانما صاغها الكاتب الفرنسي صيغة جديدة فجعل أشخاصها فرنسيين وأجـرى حـوادثها في ضاحية من ضـــواحي باريس ، ولاءم بـين نظامها الـذوق الفرنسي في التمثيل . ومن هنـــا يتفاوت النقاد الفرنسيون في تقدير ما ينـــال المؤلف والصـــائغ من حظ في الاحسان والاجادة ثم من حظ في الثناء والتقريظ . فمنهم من يضيف جمال القصـــة الى المؤلف المجـرى ويأسف أسفا كثيرا أو قليلا لأن الصائغ الفرنسي لم يـكن أمينـــا في الترجمة والنقـــل . ومنهم من يضيف هذا الجمال الى الصائغ الفرنسي ويرى أنـه قد أحسن الاحسان كله حـين غيرها وعرضها على الفرنسيين في هذه الصيغة الجديدة التي تلائم ذوق باريس .

وقد يكون من العسـير علينا أن نحكم في قضية كهذه لأننا نجهـل الأصل المجرى ولم نوفق الى ترجمة ألمانية أو انجليـــزية لنقـــارن بين الأصل وبين الصـــيغة الفرنسية لهـــذه القصـــة . لا سيما والنقاد الفرنسيون يحدثوننا بأن الكاتب الفرنسي قد غيرها تغييرا شديدا وبدل أشخاصها تبديلا باعد بينها وبين الأصل الى حد ما .

على أن النقاد مهما يختلفوا فيما بينهم متفقون على أن الكاتب المجرى نفســه متـأثر في قصته هـذه وفي غيرها من القصص التمثيلية بالأدب

الفرنسي • وهم يذكرون تأثره بموباسان ، وهنري بيك ، وماريفو • فهي اذن في رأيهم قصة فرنسية عادت الى فرنسا

ومهما يكن من شيء فان من المحقق أن هذه القصة على جمالهـــا ودقة موضوعها ، وعلى ما فيها من قوة في التصوير لا تخلو من شيء غير قليل من ضعف التأليف • فأنت حين تقرؤها لا تستطيع أن تنسى أنك تقرأ قصة وضعت للتمثيل بحيث لا يستطيع جمالها الفني أن يشغلك عن تأليفها وعما تكلف الكاتب فيها من هذه الحيل التي يتكلفها أصحاب التمثيل للملاعب • فحركات الأشخاص مثلا حين يدخلون ويخرجون ، وحين يذهبون ويجيئون ، وحين يظهرون ويستخفون ، ليست حركات طبيعية وانما هي في كثير من الأحيان حركات متكلفة ، نرى تكلفها ونحسه، حتى ليخيل الينا أن هؤلاء الأشخاص قد اتصلوا بحبل أو سلك يجذبه شخص خفي ليظهروا حين يجب أن يظهروا وليستخفوا حين يجب أن يستخفوا ، وما هكذا يكتب أفذاذ الكتاب في التمثيل • أذلك عيب الكاتب أم ذلك أثر الصانع ؟ هذا شيء لا نستطيع الفصل فيه كما قدمنا •

وموضوع القصة نفسه مطروق ، سبق الكاتب اليه غير مرة ، سبق اليه في قصص مختلفة منها المضحك ومنها المحزن ، ومنها ما هو بين بين • ولكن هذا كله لا يمنع أن هذه القصة جيدة يجد قارئها لذة قوية ويضطر الى أن يقف عند بعض فصولها وقفة التفكير والتأمل • وليس أدل على ذلك من هذا الفوز العظيم الذي ظفرت به في عواصم أوربا وامريكا •

وليس في هذا شيء من الغرابة • فقد يطرق الموضوع الواحد مرات ومرات دون أن يحول ذلك بينه وبين الجدة وقوة التأثير في نفوس الأفراد والجماعات • ذلك حين يكون الموضوع نفسه قويا قوة لا تذهب بها الأيام ولا يعمل فيها تغيير الظروف ، وحين يكون الموضوع شائعا مألوفا نشهده في مواطن كثيرة وفي ظروف مختلفة

ولست في حاجة الى أن أذكرك بهذه الموضوعات الخالدة التي تناولها الشعر القصصي اليوناني وأخذها عنه الشعر التمثيلي اليوناني فزادها

قوة وتأثيرا ، ثم أخذها عنه التمثيل الحديث والقصص الحديث فى فرنسا وألمانيا وانجلترا فلم يزدها الا قوة وقوة على الأخذ بمجامع النفوس كما يقولون

والموضوع الذى طرقه كاتبنا من هذه الموضوعات التى لم تكن شائعة مألوفة فى بعض البيئات التى قلما يختلط فيها الرجال بالنساء ، فهى شائعة مألوفة فى كثير من البيئات الأوربية • وهو موضوع يسير جدا : زوجان لم يصل بينهما الحب ولا ما يشبه الحب ، وانما قامت صلاتهما الزوجية على المنفعة أو على المصادفة ليس غير • فهما يعيشان عيشة هادئة وادعة لولا أن لهما صديقا قد اتصل بهما وقويت بينه وبينهما الصلة ، فهو يلازمهما لا يستطيع أن يقضى يوما دون أن يراهما ولا يستطيعان هما أيضا أن يحتملا الحياة اذا لم يرياه •

وهو خير ليس بالشرير ولا بصاحب المجون والدعابة • ولكنه على ذلك صاحب قلب يخفق ونفس تحب • فلا يستطيع الا أن يحب صديقه وامرأة صديقة • وهو يخفى على نفسه هذا الحب ويصوره فى صورة الصداقة والمودة الخالصة • وربما كان صديقه مثله مخدوعا أو ربما لم يكن مخدوعا ، ربما خدعت المرأة نفسها ، وربما عرفت حقيقة الأمر وأحبت هذا الصديق ولكنها تجاهد هذا الحب وتنتصر عليه ، تسلك الى ذلك ما تستطيع أن تسلكه من طريق • ولعلهم يستيطعون جميعا ان يعيشوا مطمئنين الى هذه الحال الغامضة الواضحة معا • هم سعداء أو هم يحسبون أنفسهم سعداء • ولعلهم يستطيعون أن ينفقوا حياتهم كلها فى مودة كلها صفو مطرد لولا أن يعرض لهم من الظروف ما يزيل الغشاوة عن الأبصار ويشق الغلاف عن القلوب فيروا •• وهم اذا رأوا قد يسعدون وقد يشقون •

هذا الموضوع مألوف فى البيئات الأوربية تنشأ عنه فى كثير من الأحيان ألوان من التعقيد فى حياة الأسر وصلات الأصدقاء • منها ما ينتهى الى السلام والدعة ، ومنها ما ينتهى الى الشر والنكر • وقد

طرته كاتبنا هذا فصوره تصويرا حسنا مؤثرا ، ولكنه لا يخلو كما قلنا من تكلف ومن غلو احيانا

وأنا ـ كالنقاد الفرنسيين ـ شديد الاعجاب بشخصية هذه المرأة التى تدور القصة حولها أو قل بقدرة الكاتب على اختراع هذه الشخصية الغريبة التى استطاعت أن تقاوم مهارة الصائغ الفرنسى فاحتفظت بشىء غير قليل من طبيعتها المجرية ، فهى غامضة أحيانا أشد الغموض ، وهى واضحة أحيانا أشد الوضوح ، وهى ضاحكة مغرقة فى الضحك ولكنها فى الوقت نفسه تكفكف عبراتها وتمسح دموعها مسحا رقيقا ٠

ولست أدرى الى أى حد وفق الكاتب والصائغ فى شخصية الزوج فأنا أفهم أن لا يخلو الرجال ولا سيما العلماء من ضعف وسذاجة ، ولكنى أرى أن الكاتب قد صور هذا الزوج تصويرا اعتمد فيه على خياله أكثر مما اعتمد فيه على الحقائق الواقعة

* * *

نحن فى سان كلو (Caint-Cloud) ضاحية من ضواحى باريس ، فى بيت تظهر عليه النعمة والثروة ، وفى غرفة يظهر عليها الترف ولين الحياة كما يظهر عليها الجد والعمل ٠ ونحن نجد فى هذه الغرفة رجلا قد جلس الى مائدة بين الكتب والأوراق ، وهو يتحدث ويتحدث لا يكاد يقف ولا يستريح ٠ هذا الرجل هو العالم النباتى فرنسوا دوجلى (François Dugley) وهو يتحدث الى مصوره الذى اتخذه ليصور له أنواع النبات فى كتاب يهيئه للنشر ٠ ولا نكاد نسمعه يتحدث حتى نتمثل العالم بما فيه من عيوب وخلال ٠ فهو يتكلم مندفعا فى موضوعه لا يلوى على شىء ولا يثنيه عن الحديث شىء ٠ وهو يتكلم لأن الموضوع يلذه لا لأنه يريد أن يفيد سامعه ، وسامعه ، متبرم به يريد أن يخلص منه ليدرك القطار الذى سينقله الى باريس ٠ وهو يحتال فى هذا التخلص فلا يوفق اليه الا بعد مشقة شديدة ٠ وهو يخلص وقد استيأس من ادراك القطار ٠

فاذا انصرف هـذا المصور وخرج الاستاذ من غرفته لحظات اقبلت الى هذه الغرفة فتاة ظريفة ، حسنة الصورة ، متجملة ، ظاهرة الرغبة فى أن تعجب الأستاذ وتقع من نفسه • تدخل فما أسرع ما تهـوى الى علبـة الحلوى فتزدرد منها شيئا وتخفى شيئا آخـر فى حقيبتها • ثم تقف منتظرة أن يعـود الأستاذ • فاذا عاد وتحدث اليها عرفنـا أنها كاتبتـه التى تنسـخ له ما يهيىء من فصول كتابه •

وهو يتلقاها مبتسما لها مبتهجا بلقائها يسـألها عمـا كتبت ، فاذا هى قد أتمت عملها على أحسن وجه فيقدم اليها بعض الحلـوى فتـرفض معتذرة بأنها لا تحب الحلـوى • فاذا قدم اليها السجارة اعتذرت بأنهـا لا تدخن • ثم يتركها لحظة وقد ترك سجارته على المائدة فما أسرع ما تهوى اليها فتزدرد منها جرات ثم تردها حيث كانت • ويعـود الأستـاذ فيستأنف معها الحديث • واذا هى تظهر له رسما من عملـها فيـه صورة نبات فلا يكاد الأستاذ يراه حتى يفتن به وحتى يعلن اليهـا رغبته فى أن تكون مصورته وان تضع له هى صور الكتاب • وهى سـعيدة مغتبـطة تصفق بيـديها وتكاد تقبل الأستاذ فـرحا وابتهاجا • ولا تسل عن سعادتها حين يعلن اليها الأستاذ أنهـا ستقيم معه منذ غـد ، فتكتب له وتصور وتنسخ على الآلة امكاتبة •

وهما فى هـذا الحـديث واذا رجـل يقبل وهو « جان دى فلييه » صـديق الأسرة وخليطهـا • كان قـد سـافر يقضى الصيف فى الألب ولكنه استثقل السفر فعاد الى باريس • وهو سعيد بهذه العودة لأنه سيرى صديقيه وسيأخـذ مكانه بينهما كدأبه فى كل يوم • وهو يسأل صاحبه عن امرأته ، فيحـدثه هذا بأنها ذهبت الى باريس تصـيد الثعلب الأزرق لأنهـا مفتـونة به ، ولن تستـريح حتى تظفر بهذا الصيد • ولكنها لا تصيده من الغابات ولا من الحقول وانما تصيده من المتاجر • فهى لا تلتمس الثعلب وانما تلتمس فرو الثعلب • وهى تخرج فى طلبه كل يوم اذا أصبحت ولا تعود الا اذا أقبل المساء • وهو يدعهـا وما هى فيه من صيد لأنه مشغول عنها ببحثه عن النبات •

ويرتضيان في الحالين حتى يصلا الى اللون من الطعام يحبه هذا الرجل الذي أقبل ، وانه الفتاة الكاتبة المصورة تزعم أنها تحسنه وأنها تعمل بعمله اذا كان الغلبة فلا تفصل عن ابتهاج الاستاذ بهذه الفتاة النادرة الكاتبة المصورة الطاهية معاً ، ويتم الاتفاق بينهم على أن تهيئ لهم الفتاة من الغد هذا اللون من الوان الطعام ثم تتركهما يتحدثان

والرجل ينص على صاحبه انه رأى سيارة الراقص المغرور ولى ريالتو عافجبته . ولن يستريح حتى يشتريها منه . وقد ذهب ليتحدث اليه في ذلك فلقي خادمه يحمل زجاجات الشمبانيا والوانا من الطعام ولكن الخادم أنبأه ان سيده في حمام الطلق وهو يعلم ان سيده مشغول باحدى السيدات لا يستطيع أن يستقبله . ذلك أن ريالتو هذا أستاذ رقص ، وهو أجنبي جميل الطلعة يفتن به تلميذاته عادة .

ثم يمضي جان في حديثه فيقول انه انصرف من بيت الراقص الى الغابة فما هي الا ان رأى الراقص في سيارته ومعه امرأة لم ير منها الا ساقها وحذاءها . وقد استقر في نفسه صورة هذا الحذاء فهو يصفه ويحقق وصفه حتى يسأم صاحبه . وكان هذا موسيقي بارع فهو يجلس الى البيانو ويأخذ في التوقيع وقد انصرف عنه صديقه الى عمله .

وهما في هذه الحال اذ تقبل الزوجة سسيل ، وكانها قد سمعت توقيع البيانو فعرفت وجود صديقها ، فدخلت في رفق ووقفت الى جانبه واخذت ترقبه مغنية وهو يوقع ، فيلتفت ، ثم تكون التحيات ، ثم الحديث ثم تقع منه نظرة على ساقها وحذائها واذا هو صنع أو كالصنع لانه عرف الساق وعرف الحذاء . وهو يعود فيصف الحذاء مرة اخرى لصاحبه ويذكر الراقص وتسمع سسيل هذا فتضطرب قليلا ، ثم تخفي من امرها ما تستطيع ، وهي تبالغ في الاخفاء وهو يبالغ في الوصف والاعادة والتكرار حتى يسأم الزوج فينصرف الى عمله ويدعهما يتحدثان كما يهما دائما . فاذا خلا بعضهما الى بعض كان بينهما حوار ينتهي بأن يتهم جان صاحبته بالاثم . وهي تدفع عن نفسها وتغلو في الدفاع .

وهو يتهمها ويسرف فى الاتهام حتى يفسد الأمر بينهما أو يكاد . ونحس نحن من هذا الحـوار أن الصـلة بين هذين الصديقين ليست صلة مودة وصداقة وانما هى صلة حب يخفيـــها كل منهما على نفسـه وعلى صاحبه . ثم يدور الحـوار ويشـترك فيـه الزوج مرة أخرى فيذكر أمر الـكاتبة المصورة ومبارتها فى الطبى وما تقـرر من اعداد هذا اللون اذا كان الغد . واذا جان يعلن أنه سيدعوا لراقص ريالتـــو ليتناول معهم العشاء وليـــذوق من هذا اللون البديع

وكان المعقول أن يبقى جان حتى يتناول العشاء معهما ، ولكنه ضيق الصدر فهو ينصرف ويترك الزوجين لما بينهما من شأن .

* * *

فاذا كان الفصل الثانى فنحن فى غد ذلك اليوم . وقد دنا الليل أو كاد ، والزوجان ينتظران مقدم جان ومقـدم الراقص ، وسسيل مضطربة محزونة تدخن فتسرف فى التدخين ، وزوجها يحاول أن يتعـرف من أمرها فلا يظفر منها بشىء . وهو يعتذر اليهـا لأنه منصرف عنها الى علمه ونباته وهى لا تكاد تسمع له فان سمعت فلا تكاد تجيبه . وقد أقبل جان فتلقاه الزوج مبتهجا ، وتتلقاه الزوجة محزونة مضطربة ، فاذا خلا بعضهما الى بعض كان بينهمـا حـوار كحوار أمس فيه اتهام ودفاع ، ثم فيه ما يشبه الاعتراف ، ثم فيه ثورة الصديق .. ولكن الراقص قد أقبل فيتلقاه الزوج وجان وسسيل لقاء مختلفا : هذا مبتهج ، وهذه مضطربة منكرة ، وجان يدبر فى نفســه أمـرا . فأما الراقص نفسه فقد أقبل لا يقدر شيئا ولا يفـــكر فى شىء . وهو يتكلم ويمضى فى كلامه مثنيا على الزوج مرة وعلى الزوجة مرة أخرى وعلى صديقهما مرة ثالثة وعلى البيت مرة رابعة ، حتى اذا فرغ من هذا الحديث الطـويل المضحك التفت اليه جان واخذ يذكر حب النسـاء له وكلفهن به ، والرجل ينكر ذلك فى ضعف ورفق . ولكن جان يلح ويذكر حظه عند هذه وحظه عند تلك .. ويسرف من هـذا . وهو فى أثنـاء الحديث يرقب الراقص مرة وسسيل مرة أخرى وكل شىء على وجه سسيل يثبت أضطرابها وتورطها

وقد خـــرج الأستاذ لبعض شـــأنه وخـــلا الثلاثة الى أنفســـهم ، فاذا الراقص قـــد عرف المكيدة ، واذا سسيل تطلب اليه أن ينصرف • فيتردد فتلح وتطرده طردا ، فينصرف وقد ثبت كل شيء ولم يبق شك فى أنهـــا قد أثمت معه

ويعود الأستاذ فاذا لم ير الراقص سأل أين هـــو ؟ فيقال انه انصرف ويتكلف جان تأويل هذا الانصراف فلا يحفل الأستاذ بهذا • ولكن جان نفســـه يريد أن ينصرف فيدهش الأستاذ لـــذلك ويسأل فى شيء من الغفلة : « ماذا يحدث ؟ » فتجيبه امرأته فى دعـــة وهدوء : « يحدث انى قد خنتك » •• فيتلقى هذا الخبر فى دهش هادىء ويحاول أن يتبين الأمر فتتركه امرأته معلنـــة اليه أن جان سيخبره بكل شيء لأنه استكشـــف كل شيء •

فاذا خـــلا الى جـــان لم يتردد هنا فى أن يخبره بكل شيء فى غضب وحقد وثورة ولا يعدلها الا هدوء الزوج ودعته واطمئنانه • والزوج يرثى لامرأته ويشفق عليها ، ولايؤثم الا نفسه• فهو قد انصرف من امرأته الى العلم وتركها مهملة لا يحفل بها • فليس غريبا أن تفتن هذه المرأة • ثم يثـــور الزوج ولكن لا على امرأته ولا على نفســـه بل على صديقـــه • ذلك لأن صديقه قد سافر وأهمل سسيل وتركها وحـــدها وكان من الحـــق عليه أن يبقى معهـــا وأن يرعـــاها ويحوطها • فاذا أنكر الصديق عليه هذا القول ولفتـــه الى أن هـــذا واجب عليه هو أجـــابه : « أنت تعـــلم أنى مشغول بالنبـــات ••• »

وجـــان يغـــريه ويذكى فى نفســـه نار الحفيظة ، ينصح له مرة بالطلاق وأخرى بمبارزة الراقص • والأستاذ يسمع هذا كله فى هدوء وسخرية • ثم يجيب بحديث له قيمتـــه يمثل ذكاء وفطنة وبصرا بالأمـــر واذعـــانا للقضاء • فالأستاذ يعلم حق العـــلم مصدر هذا الغيظ وهذه الحفيظة ، وهو يقدر حب هذا الصديق لامرأته ولا يتردد فى أن يقول له : « ان

أكلت محفظة نقودها خائفة من غير أن تعلم بالتالي يكون في أن يقول له بنية لو دفعت لو كشتيا التبالة ثم ينسفلنك اصديقها الأسرة مخفية من عاونها على النابض وتخفيها على أنها تخلت عن بعض ما عن الأخوة الذكور التي تتخلى على الحياة وتصرفني عما أنا فيه من عمل وبحث »

وقبل أن تهبط السلم وقفت تهيئ نفسها للخروج فإذا أمامها وواجهها أين تريد أن تذهب ، أعلنت إليه أنها ذاهبة إلى بيت عمها تنتظر فيه الطلاق . ثم طلبت إليه أن يرافقها إلى هذا البيت فليس ينبغي أن تخرج وحدها ، فيقبل ، وبينما يتهيئان للخروج تلتفت إلى جان قائلة : « لقد أردت المساء فهذه هي المأساة ولقد أردت أن تؤلمني فقد ظفرت ولكن قد آن أن تألم أنت وستألم كثيرا ... »

* * *

فإذا كان الفصل الثالث فقد مضت سنة على ذلك اليوم وتغير كل شيء في بيت الأستاذ وقد تزوج الأستاذ من كاتبته ومصورته ونحن نراها في أول الفصل تنهر الخدم وتتصرف تصرف السيدة المسيطرة ، وتدخل على زوجها فإذا هو منكب على كتبه . فتتحدث إليه في رفق ولكن في سلطان وتعلب ، وهو مذعن مطيع ولكن على كره .

وهي تطلب إليه الاحتفال إلى جارتين لها أخبار السلطان ، فيدعوها إليه فيسلم عليها ثم تعلن إليه أن عليه من العمل ما يستلزم أن تعينه بالكتابة والتصوير ، وأنها ستلتمس له الكاتب والمصور . ثم يعلن إليها الأستاذ أن قد وصلت إليه أخبار من سبسيل ، فيظهر عليها الحنق والموجدة وتهم بالنيل من هذه المرأة فيمنعها الأستاذ من ذلك وينبئها بأن سبسيل قادمة الآن لتتفق معه على زيادة المرتب الذي فرضته لها ، فتأبى الا أن تذودها عن البيت ولكن الأستاذ قد وجد الحل الملائم بختيابي جان وسيستقبل سبسيل وسيتفق معها على كل شيء بينما يخرج الزوجان للعطوف شاتهما

وقد أقبل جان وعهد اليه رصيفه بقضاء هذه المهمة فيأبى ثم يقبلها ونحن نرى أنه قد تألم كثيرا وقد تغيرت حاله حتى أنكره الأصدقاء

وقد خرج الزوجان وتركاه وحده يتردد في الغرفة ذاهبا جائيا ثم يجلس الى البيانو ويأخذ في التوقيع الذي كان يوقعه في الفصل الأول

ولم هذا تخلص الفتاة حقا وتخلص من التردد والتصنع وترقى الى الخيال البديع الرائع

ثم الى البيانو في توقيعة واذا سنسيل قد أقبلت فتقف كما كانت تقف وترافق كما كانت ترافقه ، ويحس بها فيلتفت وقد بلغ التأثر منه ومنها أقصى مبلغ وكأنهما قد نسيا كل شيء لحظة وخيل اليهما أنهما في عهدهما القديم ثم يفيقان فيتبادلان أسئلة وأجوبة قصيرة ثم يعترف عليها ورقة تركها وبها القديم ليمضيها فيقرأ فاذا هو يعلن لها بدايل ترتسمها على أن تعيش عيشة امرأة شريفة ، فتمضي معلنة رفضها بسخرية أنها تؤثر على الشرف بينما يؤثر غيرها على الاثم

ونحن لا نحس أنها لا تملك نفسها من التأثر والاضطراب وأن ضحكها لا يملك نفسه أيضا وقد أمضت وخرجت معتقدة أنها ذاهبة الى الشمال ، فسمعت أحد قارعي الهوى يعرض عليه جان وكأنها ذكرت ما لسيت فتعود مسرعة فتراه فتطلب بطاقته فيدفعها اليها ثم تطلب اليه الورقة التي أمضتها فاذا دفعها اليها مزقتها تمزيقا ولا ندري ما الذي أخبرته عنه فأنها ليست في حاجة الى هذا المرتب وأنها مخطوبة وأنها ستتزوج من وجل غني

فقدر أنت وقع هذا في نفس جان . وهي تريد أن تمضي ، ولكنها لا تستطيع .. وهي تتحدث الى جان حديثا قصيرا فيه ابهام وغموض وفيه جلاء ووضوح . ولكنها لا تلبث أن تفاجيء جان بأنها تعلم ما في نفسه حق العلم ، وتقدر أن تألم ألما لا حد له . وهي تعلم من أمره كل شيء ، وهو يعلم كذلك كل شيء . وقد أجلسته في المكان الذي تعود

الجلوس فيه من قبل • وجلست أمامه كما كانت تفعـل وأخذت تتحـــدث اليـــه لينة مرة عنيفة مرة أخرى ، معلنة اليه أنها أحبته منذ ست سنين حين كانت خطبـــا لزوجها • ولو قد دعـاها في ذلك اليوم لأسرعت اليه ولكنه لم يفعل ايثارا لمودة صاحبه • وهي ما زالـت تحبه وترى زوجها صديقا ليس غير •• وهي لم تخـن زوجهـا وانما خانته هو • واذا هو ينـكر أن تـكون قـد خانته ويزعم أنه كان مخطئا « كذابا » • وهي تؤكد له أنه لم يخطىء ولم يكذب ، فيجيبها بأنها ان كانت آثمة فهو يحب الاثم ويكره الفضيلة ، وان كانت كـاذبة فهو يحب الكذب ويكره الصـدق •

وينتهي بهمـا هـذا الحـــوار الى شيء من الـذهول يـدفع كل منهما الى صاحبه • واذا هما قد اعتـزما السـفر معا واستئناف حيـاة جديدة فيها الحب الصريح الذى لا تكلف فيه ولا غشاء عليه • ولكنها تذكر أنها تعرف من أمره ومن خلقه مـــا تعرف ، وأنها تؤثر أن يـــكون الزواج بينهما قبـل السفر • فلن يعيشـا خليـلين • فيفيق عند هذا ويذكرها بخطبها الغني وما أنبأته به من الزواج • فتضحك وتعلن اليه أنـــه هو خطبها وانه سيكون زوجها وأنها قدرت ذلك كله منذ رأته• وهما يتهيئان للخـروج واذا الأستاذ قد اقبـــل ومعه امرأته الجـديدة فيدهش وتدهش امرأته ولكنها تقبل على سسيل لتحييها كارهة • وهي تلتمس لهـــا اســـما تدعـــوها به فلا تجـــد ، فتجيبها سسيل ان انتـظرى أياما فستدعيننى مدام دى فلييه • فانظر الى ابتهاج الأستاذ والى قولـه : « لقد أضعتما الوقت فى انتظار هـذا اليوم • وما كان أحراكما أن تصـلا اليه منذ أمد بعيد »

زوجة ليوتين

قصة تمثيلية : للكاتب الفرنسي

الفريد كابو

نعم هى
قصة فكاهية ولكن كلها جد ... اذا قلت هذا ،
ولن تخطئ اذا قلت ان الفكاهة فى هذه القصة مع انها روح
القصة و... الى الجد ،
وسيلة الى هذا الجد الذى يحسن ألا يقصد اليه مباشرة ،
وألا يعمد اليه الكاتب فى غير احتيال وتكليف للطرق
المعوجة ، اما لأن الكلام قد كثر فيه حتى اصبح حديثا
معادا مملولا ، فلابد من عرضه فى صور جديدة لم يألفها
الناس ، واما لأنه من هذا الجد الذى تأبى الأخلاق العامة
والأوضاع الاجتماعية أن يهجم عليه الكاتب فى
احتيال ... نظارة والقراء ، فهو مضطر الى
يحتال ... س فى ... سمعك ما يريد دون أن
او يسو... يشق .

والجد الذى يقصد اليه كاتبنا فى هذه القصة ويتخذ هذه الوسيلة
الى ادخاله ... س القراء والنظارة لا يخلو من دقيق ،
فقد كان ... الكلام فيه حتى سئمه الناس ... ذلك
دقيق ... يخلو ... شأنه أن ... من
الأوضاع الاجتماعية ... لنه على ... قته
ومخالفته ... ما الى ... الناس ... خلق و... تفكير
لم ... ن أن ... الى أى ... القصاص ... المثل وغير ... المرأة
اللعوب ... تكون زوجة ... ذيلة
مجبولة ... ولكن لها من دون ... العبث ... جور
للصلاح والطهر . وأنتم تعلمون أيضا أن هذه المرأة على كثرة ما أدبت ... عنها
القصاص والأدباء والفلاسفة لا تزال بعيدة ... الناس ... قوتة
أمام ... ما اتفق الناس على أنه الأخلاق و... ب أن
تطمئن ، فما أريد ان أدافع عن هذه المرأة ، وما أريد أن أغير فى
الأخلاق ، ولا أن أمس هذه العادات بخير ولا بشر ، فلست أنا من هذا

كله فى شىء ، وما أنا بالذى يفكر فى نقد النظام الاجتماعى وتغييره قليلا او كثيرا • انما هى قصـــة أعجبتنى ، وأظن أنها ستعجبك ، بل أتمنى أن تعجبك ، ولهذا الخصها لك ، وأعرضها عليك فى غـير حـكم ولا تأييد •

فى هذه القصة خفة ورشاقة ، وفيها مجون ودعابة • ولكن من الذى حظر على الناس أن يعمدوا الى القصص الخفيف الرشـيق الـذى تزيده الدعابة خفة ويزيده المجون رشاقة فيقـرءوه ويشـــهدوء ؟ ومن الـذى يستطيع أن يزعم أن الأدب لا يكون أدبا الا اذا كان جـدا كـله ؟ ومـن الذى يستطيع أن ينكر أن الـدعابة والفكاهة قد تبلغان من التأثير فى النفس ومن اذاعة الخير وتحبيبه الى النفـوس ما لا يبلغـه أشـــد الجـد حموضة وعبوسا ؟

على أن قصتنا ليست من هذه الدعابة المقوتة ، ولا من هذه الفكاهة التى تضيق بهـا نفس الرجـل الخير المتشدد فى حـب الخيـر • فهى تقـــارب العبث وتدنو منه فتسرف فى الـدنو ، حتى يخيل اليك أنها ستتورط فيه ولكن الكاتب ماهر حريص على الخلق ، حريص قبل كل شىء على حس الجمهور ، وعلى حسـه من ناحية الخـير ، فهو لا يريـد أن يؤذيه فهو يدنيك من هذا العبث حتى تكاد تلمسه ، ثم ما هى الا حركة يدفع بها قلمه فاذا أنت بعيد من الاثم كل البعد ، واذا أنت لم تشهد منـه الا هذه الناحية التى تضحكك من الشر وترغبك عنه •

وهى فوق هـذا كله تعرض لطائفة من الموضوعات الاجتماعية القيمـة التى لن يوفق الناس لأن يتخذوا لهم فيها رأيا قاطعا • تعرض لموضوع الطلاق مثلا ، فمما لا شك فيه أن الناس سيظلون مختلفـين فى الطلاق ، يراه بعضهم خيرا لأنه يرفه على الناس ويفصل بين الزوجـين اللـذين لا سبيل الى أن يعيشا مؤتلفين ، ويمكنهم بذلك من حمـاية كرامتهـم وشرفهم وآدابهم • ويراه بعضهم شرا لأنه يفصم عروة قد أحكمها الدين كما يقول المسيحيون ، ولأنه أبغض الحلال الى الله كما يقـول المسـلمون •

وسيظل أولئـــك وهؤلاء في خلاف وجـــدال ما احتاج الناس الى أن يكون بينهم الزواج والطلاق · ولكن هناك وجها من وجوه الطلاق لا يفكر فيه الناس كثيرا ، وربمـا لم يفـكروا فيه بوجه من الوجوه ، وهم مع ذلك يحسونه ويجدون فيه اللذة حينا والألم حينا آخـــر · ذلك أن الطلاق في حقيقة الأمر وسيلة قانونية للفصل بين شخصين لا يستطيعان الحياة مؤتلفين ، كما أن الزواج وسيلة قانونية للجمع بـين شخصين يحبان أن يعيشا مجتمعين · ولكن المسألة هي أن نعرف أيستطيع الطلاق بعد أن يحقق هذا الفصل القانوني أن يحقق فرقة أخرى صحيحة فيقطع الصلة قطعـــا باتا بين الزوجين كأن لم يعرف أحدهما الآخر ؟ كمـا أن هـــذه المسألة نفسـها تعرض بالقياس الى الزواج ، فالزواج يجمـع الزوجين جمعا قانونيا ، ولكنه قد يعجز في كثير من الأحيـــان عن أن يؤلف بينهما تأليفا صحيحا قويا · ولعلك تذكر أني قد حدثتـــك منـــذ حين عن قصة لهذا الكاتب نفسه عرض فيهـــا للطلاق وعجزه عن أن يفرق بين الزوجين اذا جمع بينهمـا الحب الصـحيح · وهـذه القصـــة هي قصة « المذهبين » التي رأيت فيها رجلا خان امرأته فأسرف في خيانتها ، حتى طلبت الطلاق وظفـرت به وهـمت أن تتخذ لها زوجا آخر ، ومضى زوجها الأول في اثمه وعبثه ، ثم التقيا فظهر أن الطلاق لم يفرق بـين قلبيهما وان فرق بين جسميهما ، وظهر أنهما مضـطران الى أن يسـتأنفا حياتهما الأولى ·

وكاتبنا في هذه القصة التي نحن بصددها يعرض للطلاق من هـــذه الناحية وان كان لا ينتهي الى مثل النتيجة التي انتهى اليها في القصة الأخـــرى ، بل ينتهي الى نتيجـة مناقضة من وجه ما لتلك النتيجة · فسنرى زوجين لم يسـتطيعا أن يعيشا مؤتلفين ، لأن المرأة خانت زوجها فأسرفت في الخيانة ، حتى طلب الزوج الطلاق فظفر به · ولكن هـــذا الرجل طيب القلب ، خير الطبع ، فهو يعطف على زوجه بعد الطـلاق ، ويمدها بما تحتاج اليه من معـونة ، وهو ينالها بالبر والمودة اكثر مما كان يفعل قبل الطلاق ، وهو يحس ان هذا العطف وهذه المودة يناقضان أشد المناقضة ما ألف الناس من عادة وقانون ، فهو مضطرب بين ارضـاء

طبعه وعاطفته وارضاء العرف · وهو يذعن فى كثير من الأحيان للطبع والعاطفة ، ولكنه يذعن مرة للعرف فيفر من امرأته المطلقة ، ويخيل اليه أنه بهذا الفرار سيريح نفسه من هذا الجهاد العنيف · ولكنك تعلم أن « الفريد كابو » صديق للمصادفة ، فهو يرى أن لها أعظم الأثر فى تدبير حيـــاة الأفراد والجماعات ، وقد بينت لك هذا فى كل ما حللت من قصصه · وهو هنا يعرف للمصادفة هذا السلطان ويسخرها فى قصته · واذا فيستطيع صاحبنا أن يفر من زوجه المطلقة ، فالمصادفة كفيلة بأن تكرههما على اللقاء ، واذا فسيظل الجهاد متصلا بين هـــذه العاطفة التى تعطف الرجل على زوجه بعد الطلاق ، وهـــذا العرف الذى ينكر ذلك ويراه اثما او شيئا يشبه الاثم ، ولا بد من تدخل المصادفة لوقف هذا الجهاد عند حد ما ·

فأنت ترى أن هذا الوجـــه من وجوه الطلاق خليق فى نفســـه بالعناية والدرس ، وأن الكاتب مهما يصطنع من الفكاهة والمجـــون لدرس هـــذا الموضوع وتقريبـــه الى الناس فليس مسرفا ولا غاليا فى العبث · ذلك الى أن الأمر فى نفسه حقيقة من الحقـائق الاجتمـاعية التى لا تقبـل الشك · فكلنا يعلم أن الطلاق كثيرا ما يعقب الندم والحسرة · وكلنـــا يعلم أن قد كان لهذا أثره فى آداب الأمم المختلفـة ، فى آدابنا العربيـة وفى الآداب الأجنبية على كثرتها واختـــلافها · واذا فهى حقيقـة من الحقـائق الاجتماعية يجب أن تدرس ، وأن يتخذ الأدباء اليهـا الوسـائل المختلفة : قصصا حينا وتمثيلا حينا آخر ، جدا مرة ، وفكاهة مرة أخرى ، ذلك الى أن هناك أشخاصا من حق الأديب او من الحـق على الأديب أن يصورهم للناس ، فقد يكون فى تصويرهم ، الى جانب النفع الفنى ، نفع خلقى واجتماعى · قد يكون هؤلاء الأشخاص أخيارا ، ففى تصويرهم ما يدعو الى القدوة ، أو أشرارا ففى تصويرهم ما ينفر منهم ·

والحق أن الأشخاص الذين صورهم الكاتب فأحســن تصويرهم فى هذه القصة قليـلون · هم أربعة ليس غير ، ومن حولهم أشخاص آخرون لا يمتازون بشىء · وهؤلاء الأشـــخاص الأربعـــة قد أحسن الكاتب

تصويرهم حتى أصبح من اليسير جدا ان ننقل اليك صورهم فى غير اطناب ولا اطالة ٠

فأما أولهـم فهو « أدولف ديبوا » رجل من أوساط الناس ، له ثروة ولكنهـا ضـئيلة ، يعمـل فى ديوان من دواوين الحكومة ، خـير الطبع ، رضى النفس ، مسـتقيم الخلق ، ضعيف الارادة ، يـكره الشر ولكنه لا يستطيع مقاومته فى يسر ، ويحب الخير ولكنه يحب نفسـه أيضا ، فهـو لا يستطيع أن يعتمد على نفسـه فى شىء وانما هـو محتـاج الى من يعينه ويرشده ويوجهه الى سبيل الخير ٠ وهـذا الرجـل هـو الزوج الأول ٠

وأما الشخص الثـانى فهـون البارون « ادوار دى لاجامبيير » شاب من الأشراف ، ضخم الثروة ، ولكنه كصاحبـه خـير ضـعيف الارادة ، لا يسـتطيع المقـاومه ولا يقـوى على الجهاد الا فى ناحية واحدة ، وهى الناحية المضادة لميول الأشراف وما توارثوا من عادة وسنة ، فهو يكره عـادات الأشراف ولا يحرص على تقاليدهم ولا يحفل بها ٠

والشخص الثـالث هى « ليونتـين » امرأة جميلة فتانة ، ولـكنها كصاحبها ضعيفة الارادة خيرة ، غير أنها لا تستطيع مقـاومة الشر ، أو قل لا تكاد تميز بين الخير والشر ، سلطان الغريزة عليها أقوى من سلطان العقـل ، محبة للفكاهة مندفعة فيها ، أو هى ترى الحياة كلهـا فـكاهة ، حتى تعلمها المصادفة أن هذه الفـكاهة قد تستحيل الى جـدا ، فتستفيد من هذا الدرس ، واذا هى صاحبة جد ولكنه جد باسم لا يكاد يخلو من الفكاهة ٠

والشخص الرابع هى الماركيزة « دى بريساك » شيخة من الأشراف ، هى عمة البارون دى لاجامبيـير ، محافظة ، مسرفة فى المحافظة ، سيئة الخلق ، طويلة اللسان ، ميالة مع هذا الى الخير ٠٠

هؤلاء هم الأشـــخاص الذين تقـع بينهم القصة • وهناك اشخاص آخـرون كثـيرون تاتى بهم المصادفة ليتم تدبير ماسيقع من الحوادث دون أن يكون لهم فى أنفسهم خطر •

* * *

فاذا كان الفصل الأول فنحن عند « أدولف » فى بيته فى باريس ، نشهد شابا قد أقبل يطالب بقسط من الأقساط المالية ، فتظن الخادم أنه يطالب بالقسط المستحق من ثمن البيانو الذى اشـــتراه سيدها ، فتدفع اليه خمسين فرنكا ، فيضحك ويطلب ألفين • فاذا سمعت الخادم هـــذا الـرقم جـــزعت وفـــزعت الى ســـيدها ، فيقبـــل ويعـــد الشاب بالأداء بعد دقائق • وما هى الا أن يصل صديق له عضـــو فى مجلس النواب اسمه « بلانتين » يحمل اليه هذا المقدار فيأخذه ويدفعـه الى الشـــاب • والخادم ســـاخطة تلوم سيدها لومـــا عنيفا ، فهى تعلم أين يذهب هذا المال ، هو يذهب فى حاجات زوجه المطلقة • ومع ذلك فقـد أضاعت هـذه المـرأة على زوجها أكثـر ثروته ، ثم خانته فأسرفت ، حتى اذا طلقها اتخذت صناعة المومسات ، وهى مع ذلك لا تستحى أن تلجأ الى زوجها القديم كلما مسها الضيق ، وزوجها القديم لا يستحى أن يعينـها كلما لجأت اليه • ثم تنصرف الخادم مغضبة ، ويأخذ النائب فى النصح لصديقه ألا يفعل ، وصديقه يرى رأيه ويقبل نصحه • ولكن الخادم تعود فتعلن الى سيدها أن زوجه مقبلة ، فيضيق الرجل ذرعا ولكنه يستقبلها • فـاذا دخلت رأيت امـرأة خفيفة الروح ، حلوة الحديث ، مستخفة بكل شىء ، قد أقبلت على زوجها القديم مطمئنة واثقة تتحدث اليه فى غير تكلف ، وزوجها يخشى أن تكون قد أقبلت تطلب بعض المـــال فهو يدافعها عن ماله • ولكنها لم تقبل لشىء من هذا ، أنما اقبلت لشىء آخر ، ذلك أنها غضبت على صاحبها فطردته ، أو غضب عليها صاحبها فانصرف عنهـا ، وكانت قد استدانت فعجزت عن أداء الدين ، وباع الدائنون متاعها ، وأصبحت وليس لها مأوى ، وهى تبحث عن بيت ، ولكنهـا تريـد مأوى حتى تجد هذا البيت وتهيئه للسكنى • وقد فكرت فى صديقاتها ولكنـها

استحت منهن ، فلم تجد الا زوجها • فيدافعها الرجل عن بيته ، ويشجعه صاحبه على الدفاع • وتقبل المرأة رفض زوجـها راضية غير مكترثة فى فى ظاهر الأمر ، حتى اذا انصرف النائب عنهما اقبلت الى « البيانو » ، فأخذت تعزف لاعبة باكية فى وقت واحد • وعجز صاحبنا عن المقاومة فأذن لهـا أن تبقى عنـده • وهو يفكر فى تدبير الأمر فسينزل لها عن غرفته وسينام فى غرفة الاستقبال • أماهى فلاتريد أن يفسد النظام فى غرفة الاستقبال بهذا السرير الذى سيضاف اليها ، وهى لا ترى بأســا ان تقاسم زوجها غرفته ، ولكن الزوج يرى فى ذلك البـأس كل البـأس ، فتقبل منه ذلك ضاحكة غير حافلة • وهل تحفل بشيء ؟

وانظر اليها قد نهضت فنظرت فى غرفة الاســتقبال فلم يعجبهــا تنسيق المتاع ، فهى تقتــرح تغيير النظام ، تريد أن تنقــل هذا المتاع من مكانه وتضع مكانه متاعا آخر • وزوجهــا يرى رأيها وكأنه قد نسى الطلاق وخيل اليه أنهما فى حياتهما الأولى • وانظر اليها بعد هذا تطلب الى زوجها شـيئا من النقــود ، وتـكلف الخادم أن تشترى شيئا من الزهر تزين به هذا البيت • ثم انظر اليها تداعب زوجها ، وهو يقـاوم أول الأمر ثم تضــعف مقاومته حتى يوشــك أن يزل ، لولا •• زيارة تفصــل بينهمــا • فقد أقبلت صديقتان لزيارة « ليونتين » وكانت قــد أنبأتهما أنها ستلجـأ الى عمها فتقيم عنده حتى يجعل الله لها من ضيقها مخرجا ، فتقبلان وتقدم اليهما « ليونتين » ادولف على أنه عمها •

فاذا خـلا النساء الى أنفسهن قالت احدى الصديقتين لليونتين : ان الله قد هيأ لهما مخرجا من هذا الضيق ، فان البارون « ادوار دى لاجامبيير » الذى رأها منــــذ سنة مفتون بها ، وهو يلتمسها ويريد أن يتخذها خليلة له ، وهو مقبــل لزيارة بعد حـين ، تقـولان ذلك وتنصرفان • ويأتى الزوج وهو مضطرب فى دخيلة نفسه ، واثق بالزلل أن أقام مع امرأته ، عاجز عن أن يرى لنفسه مخرجا من هذه الأزمة • ولكن صـديقه النائب قد عاد يخبره بأنه مسافر ، فيطلب اليه أن يصطحبه ليخرج من هذه

الأزمة ، ويقبـل النائب · وانظر اليـه يعلن الى زوجـه أنه مسافر الآن لأمر طرأ ، وأن سفره قد يطول ، وانهـا مطلقة التصرف فى البيت مـــا لم تسىء السيرة ، وأن خـادمه متصلة بشخصهـــا ، وأنه تارك لها مقدارا من المال يقترضه من صاحبه ، وهو يهيىء حقيبته وينصرف ·

وما هى الا أن يقبـــل البارون ومعه صـــديق له أستاذ فى مدرسـة من مدارس الزراعة فى الأقاليم · فاذا استأذنا وأذن لهما انتظـــرا لحظة نراهما فيها وحدهما فتعرف أن البارون على ذكائه ومهـــارته فى تصريف الحديث مفحم أمام النساء ، ولا سيما حين يعجبنه ويقعن من نفسه ·

وما هى الا أن تدخل « ليونتين » حتى يظهـر اضطرابه وعجزه وحتى تسخر منه فى نفسها ، ويظهر فى الوقت نفسه لسن هذا الصديق الأستاذ وفصاحته ، واذا « ليونتين » مفتونة بهذا الأستاذ · ولسـت أطيل عليك بتلخيص مايقـع بينهم من حديث ، ولكن الأمر ينتهى بدعوة الى العشاء وقبول لهذه الدعوة وخروج الثلاثة الى حيث يطعمون ·

* * *

فاذا كان الفصل الثانى فنحن فى مدينة من مدن الأقاليم ، فى دار الأستاذ الـــذى رأينـــاه فى الفصـــل الأول ، وقد أقبلت لزيارتـه واستشارته المركيزة « دى بريساك » ومعها ابنة اخ لها جميلة يقال لها « أورتنس » · وأورتنس هـــذه تنبىء عمتها أنهـــا كادت تفقد الحياة لولا أن رجلا أنقذها ورد عنها فرسا جامحا كاد يقتلها · وعمتها تسـخر منها ومن صاحبها الذى أنقذها ، كما تسخر فى غضب وسخط من ابن أخيهـا البارون « دى لاجامبيير » الذى تزوج امرأة مطلقة من باريس خارجا بذلك على تقاليد الأشراف وأصـــول الدين · وهذه الشيخة مغضبة محنقة عـــلى كل شىء ، ترى أن لنظام الجمهـورى مسـئول عن كل الشرور حتى التى لا عمل للناس فيها · أليست الجمهورية هى التى استحدثت هذه العلل التى تصيب الكروم فتفسدها ! ! وقد أقبلت هـــذه المرأة تستشير أستاذنا

الزراعى فى احـداهما !! ولـكن الأسـتاذ قـد أبطأ ، فتنصرفان على أن تعودا بعد حين ٠

ويقبل الأستاذ ويقبـل البارون ويتحدثان ٠ فنفهم من حديثهما أن البارون لم يكد يرى « ليونتين » حتى فتن بهـا واعتزم أن يتخذها له زوجا ، تردد فى ذلك أياما ثم صحت عزيمته فتزوجها ، لم يحفل بأحـد ولم يدع أحـدا ، وهو سعيد بهذا الزواج منذ ثلاثة أشهر ، وامرأته سعيدة أيضـا ٠٠ وهو يلتمس لها العذر فيما اقترفت من اثم قبل أن يتزوجها ، فذنب ذلك على زوجهـا الأول ، ذلك الرجـل المجرم الذى كان يشرب حتى اذا سكر عاد الى بيته فأذاق امرأته ألوان العذاب ٠ وآية ذلك أن المحكمة حكمت عليه بالطلاق لا على زوجه ٠ هو اذا راض عن حظه مغتبط به ، وصاحبه الأستاذ يهنئه ويغبطه ، وهو يعـلم زوجـه اصطناع البسكليت ، وهو معجب بجمالها فيما تتخذ لهذا الغرض من زى ، معجب بذكائها وسرعة اتقانها لهذا الفن ٠

ثم نفهـم من حديثهما أنه سـاع لصديقه الأستاذ فى أن ينال أحـد الأوسمة ، وأنه لابد لذلك من عريضة يوقعها أعيان الاقليم ٠ والأستاذ قد هيأ هـذه العريضة وسيمضيها البارون ويحمل عمتـه على امضائهـا ، فسيكون لذلك أثره ، وان كانت عمتـه ساخطة عليه مغاضبة له ٠ وقد أقبلت « ليونتين » فى زى البسكليت جميلة خلابة مبتسمة للحيـاة ، راضية عن كل شىء ، حلوة الحديث ، لذيذة الفكاهة ، فتتحدث حينا ، ونفهم من الحديث ان زوجها مضطر الى أن يغيب عنها ساعات تقضيها هى فى دروس البسكليت ، ثم ينصرف الـزوج حينا ، فاذا بين الأستاذ وبين « ليونتين » اثم قديم العهد لأنها أحبته منذ رأته وأحبهـا هو أيضـا ولكنه خائف ، أما هى فلا يعرف الخوف الى نفسها سبيلا ٠ وانظر اليها قد أخذت تداعبه ، وهو يجيبها كارها ، ثم تدنو منه وما تزال تدنو حتى تكون بين ذراعيه ، وهو يقبلـها وهى تقبله ، وهى تكرهه على أن يضرب لها موعدا اذا انصرف زوجها ، وهو يتأبى ، ولـكنها تكرهه وتلح عليـه وتقول له في قبلة : « الى اللقاء بعد حين » ٠

وفى أثناء ذلك يفتح الباب وتظهـر الشيخة ، فاذا رأت هـذا المنظـر انصرفت مغضبة وافترق العاشقان ولم يحسا شيئا ٠

ثم يعود البارون وتنصرف امرأته الى البسـكليت ٠ وبينـما هو فى حديث مع الأستاذ اذ تستأذن الشيخة فتدخل فى جد وحشمة ، وتطلب الى الأستاذ ان يزور زراعتها غـدا او بعد غدا وتهم بالانصراف ٠ ولكن ابن أخيها يستوقفها ويريد أن يتقرب اليها ، فيتركهما الأستاذ حينـا فيتحدثان ٠ ونفهم من حديثهما أنها لا تعترف بزواجه ، وانما ترى أنـه اتخذ له خليلة وليس فى ذلك بأس ٠ غير أن الشاب يطلب اليها توقيـع العريضة فتأبى فى غضب لأنها تزدرى هذا الأستاذ ، وكيف لا تزدريه وقد رأت بين ذراعيـه منذ حين امرأة جميلة فى زى البسكليت ما ترى الا أنها من مومسات باريس !! يدهش الشاب لأنه كان يرى صـديقه الأستاذ أبعد الناس عن العبث واللهو ٠ فاذا ألح فى هذا الدهش وألحت عمته فى الوصف والتفصيل ٠ تطرق الشك اليه فيستوصف عمته ٠ فتفصل الوصف ، فيستحيل الشك يقينا ، واذ هو مصعوق ، واذا عمته تقول فى سخرية : أخشى أن أكون قد أسأت اليك عن غير عمد ٠ ولكن صاحبنا يريد أن ينتقم وهو يريد البينة قبل الانتقام ، وقد أخبرته عمته أن العاشقين تواعـدا على أن يلتقيـا بعد حين ، فيخرج وتخرج معه عمته للاستعانة بصاحب الشرطة ، وقد عاد الأستاذ الى غرفتـه ، وهو يحدث نفسـه كارها لهذا الموعد ، معلنا أن الدرس والمرأة لا يجتمعان ٠

ولكن المرأة قد أقبلت ٠ فتداعب وتعبث حتى تصرف الرجل عن درسه ، ثم تنسـل فى لطف الى غرفـة النوم وقد تجردت من ثيابها ، وهى تدعو اليها صاحبها فى دعابة ورشاقة ، وصاحبها يقبل عليها كارها ٠ ولكنه يسمع وقع أقـدام ، ثم يحس طرق الباب ، ثم يستيقن انه الزوج قد أقبـل ومعه صاحب الشرطة ، فيضطرب ويشتد اضطرابه ، ويحاول أن يحمل صاحبته على الفرار ٠ ولكن كيف تفـر وهى عريانة !! أما هى فهادئة مطمئنة ، تأمر صاحبها ان يفتح الباب ٠ وقد فتح الباب ، ودخل الزوج ودخـل صاحب الشرطة ومعه كاتبـه ، ولكننا لا نكاد نرى صاحب

الشرطة حتى يأخذنا الدهش ثم الاغراق فى الضحك ، ذلك أن صـاحب الشرطة هو « ادولف ديبوا » الزوج الاول لليونتين ، أرادت المصادفة أن يكون مدير الشرطة فى هذه المدينة منذ ايام ٠

يأخذ صاحب الشرطة فى كتـابة المحضر مستعينا بكاتبه ، حتى اذا اراد أن يرى المرأة الخائنة أنبىء أنها لا تستطيع أن تظهر له فيسجل ذلك فى المحضر ٠ وبعد حين يفتح باب الغرفة وتخرج « ليونتين » ٠٠٠ فقدر دهشـــها ، وقدر بنوع خـــاص دهش صـــاحب الشرطة وقد رأى امرأته فى هذا الموقف ٠ ولكنهما يجتهدان فى اخفـــاء هـذا الدهش ، ويحاول الرجل ان يمضى فى عمله فيأخذ فى سؤال « ليونتين » فتطلـب اليه « ليـونتين » ان يأذن لها فى توجيه الكلام لحظة الى هذين الرجلـين زوجها وعاشـقها ٠ فتسـأل الزوج ماذا يريد ؟ يجيبها الطلاق فى أسرع وقت ٠ وتسأل الأستاذ ماذا يريد ان يصنع ؟ فيجيب أنه لا يريد شيئا فهو رجل درس ، وكل مايعنيه ان ينصرف الى علمه ٠ هو اذا متخـل عنهـا ٠٠٠ هو اذا رجـل لا شرف له ولا مروءة وقـد كانت أحبته لأنهـا كانت ترى فيه جدا واستقامة ٠ أما زوجها فيسألها ماذا تريد ان تصنع هى ؟ تجيبه وما يعنيك من هذا ؟ فيقـــول : انك ستظلين زوجى حتى يفرق الطلاق بيننا ، فمن الحق ان أعرف الام تصيرين ٠ عجيب ! سأذهب الى حيث كنت ، الى بيت عمى فهو خير كريم ٠ ولا يكاد صاحب الشرطة يسمع هـــذا حتى يملكه غضـــب لا حد له ، فهـــو يحس أن « ليونتين » ستعود اليه ، وهو انما ترك باريس فرارا من « ليونتين » وهو يريد أن يتقيهـــا ما استطاع الى ذلك سبيلا ٠ وانظر اليه يأبى ان يمضى فى كتـــابة المحضر على وجهه ، ويعلن انه لم ير اثما وانما رأى سيدة محتشمة عند الأستاذ ٠ فلا تسل عن سخط الزوج وحنقه ٠ ولكن صاحب الشرطة ملح ، ثم ينتهى الأمر بأن يطلب صاحب الشرطة الى الزوج أن يتحـــدثا لحظة على خلوة ، فيتفرق عنهما الناس ، ويأخذ « أدولف » فى النصح لهذا الشاب بأن يعدل عن الطلاق ، وما يزال بـه يبغض اليه الطـلاق ويحبب اليه العفو والمغفرة حتى بلغ منه ما أراد ٠ وقد عادت المرأة ، فيتركهما لحظة يتم فيها الوفاق بينهما ، ويعود وقـد

اســـتقام له الأمر كما كان يحب ، فلن يكون طلاق ولا خصومة ، ولن تلجأ اليه « ليونتين » . ولكن الزوجين قد أحباه لأنه أصلح بينهما وأحبه الزوج بنوع خـاص ، فهو يدعوه الى العشاء ، وامرأته تلح في الدعوة . واذا فقـد كان يريد ان يفلت من « ليونتين » فأصبح مكرها على عشرة « ليـونتين » .

* * *

فاذا كان الفصل الثـالث فقد مضـت ايام على هذه الحادثة . ونحن في قصر البـارون نرى « ليونتين » تؤنب خدمها في رفق وفكاهة ، وقد أقبـــل « أدولف » مدعـوا الى الغداء ، فتلقـــاه « ليونتين » مبتهجـة بلقائه وهو ضيق الصدر بهذه المـودة ، ضيق الصدر خاصة بمـكانه من البارون الذى يجهل كل شيء مما كان بين « أدولف » وليونتين » وهو ينبيء « ليونتين » بأنه قد غير اسمه الخاص عندما سأله عنه البـــارون ، وبأنه يلتمس طريقا للانتقال من هذه المدينة حتى لا يضطر الى معاشرة الزوجين . ولكن « ليونتين » لا تريد أن يفارقهمـــا ، وهى لا ترى فى شيء مما كان بأسا . ونحن نحس فى كل أحاديثها أن قد تغيرت حقا منـــذ تلك الحادثة التى رأيتها في الفصل الثانى ، تغـــيرت فأصبحت خيرة طيبـــة النفس ، طاهرة الطبع شديدة البغض للاثم والخيانة ، محبة لزوجها شديدة الحرص على الـوفاء له ، عافية عن الآثمين متجاوزة عن آثامهم ، وقد أقبل الزوج فاذا هو أشد من امرأته حبا لأودلف ووفاء له واعترافا بجميله . والرجل مضطرب ضيق الصدر بين هذين الزوجين . ولكن حب البارون لأدولف لا حد له ، فهو يريد أن يلتمس له زوجـا ويضن به عـــلى هذه الحياة التى تنغصها الوحدة ، وامرأته تشاركه فى هذا الرأى . وما هى الا لحظة حتى يهتدى الزوجان الى القرينة الملائمة . وما الذى يمتـع « أدولف » من أن يتزوج ابنة عم البارون « أورتنس » فهى جميلة غنيـة خيرة ! أما أدولف فلا يرى فى هذا الا نوعا من المزاح .

ولكن « أورنتس » قد أقبلت ، فلا تكاد ترى « أدولف » حتى تدهش . فهو الذى أنقذها من الموت . وما يكاد ابن عمها يخلو اليهـــا ويحدثها فى

هذا الزواج حتى تظهر الرضا والاطمئنان ، فالقوم جميعا سعداء ، ولا سيما بعد أن أقبل النائب « بلانتين » يزور البارون فيلقى صديقه « أدولف » وصاحبته « ليونتين » ويكون فى هذا كله اضطراب غريب مصدره حرص « أدولف » على ألا يظهر اسمه الحقيقى ، وحرصه أيضا على ألا تظهر المعرفة و « ليونتين » . وتكلف هؤلاء القوم جميعـــا الحيلة فى اخفاء الأمر عـلى البارون . هم ينجحون فى هذا التكلف ، وهم كما قلت لك سعداء ينتظرون الدعوة الى المائدة . ولكن المصادفة لم تفرغ بعد من عملها ، فقد اقبلت عمة البارون الشيخة ، فخلت الى ابن أخيها لحظة تسأله عن أمر الطلاق ، فـلا يستطيع أن يخبرها بأن قد تم الصلح بينه وبين امرأته ، فيزعم لها ان القضية تجرى مجراها . ولكن الشيخة قلقة لأن ابنة أخيها « أورتنس » مشغوفة بحب هذا الرجل الشرطى الذى أنقذها من الموت ، وهى تخشى أن ينتهى هذا الحب الى الزواج . فاذا سألها ابن أخيهـا وأى بأس فى ذلك ؟ أجابت انها الفضيحة ، فان هذا الرجل قد طلق امرأته . فيدهش الشاب لأنه كان يقدر أن صاحبه لم يتزوج ، فتـؤكد له عمته ذلك وتخـرج له وثيقة استخلصتها من المحكمة فى باريس وفيها أن هذا الرجل واسمـــه « أدولف ديبوا » قد كان سكيرا يضرب امرأته ، فطلقت امرأته عليه ، ثم أثبتت لابن أخيها أن هذا الرجل هو بعينه الذى عين منذ أيام مدير اللشرطة . فقدر أنت دهش الشاب واضطرابه حين يعلم أن صاحب الشرطة هو الزوج الأول لامرأته ، واسمع لعمته تقول له الآن كما قالت له فى الفصل الثانى : أخشى أن أكون قد أسأت اليك عن غير عمد يا ابن أخى ! . وقد انصرفت عنه وتركته فى هياج واضطراب . فانظر اليه وقد دخل عليه « أدولف » ومعه « ليونتين » كيف يستقبل صاحبه مضطربا ساخطا صاخبا ، يعلن اليه اسمه وصناعته الأولى فى باريس وقضيته مع امرأته ... والرجل يعترف بكل شىء فى وجوم ودهش ، حتى اذا فرغ من هذا أعلنت « ليونتين » أن « أدولف » لم يكن فى يوم من أيام حياته سكيرا ولا شريرا ، لم يضربها ولم يسىء اليها ، وانما هى التى خانته فأراد الطلاق ، وكره أن يكون الحكم عليها فقبل أن يتهم نفسه وأن يقع الطلاق عليه هو ، ثم تتبع امرأته بعد

الطلاق بالبر والعطف ، حتى كان هذا الحادث الأخير · وانظر اليها ترفق بزوجها وتترضاه فى خفة ودعابة وطهـر حتى تأخذ يده فتضعها فى يـد زوجها الاوّل · وتدخل « أورتنس » ومعها النائب يستعجـــلان الغداء · فيضع البارون ذراع « أدولف » فى ذراع « أورتنس » وقد سماه باسمـه هذه المرة · فاذا سمع النائب ذلك أظهر الدهش ، فينبئه صاحبه أن قد عرف الرجل كل شىء وهم يتقدمون الى المائدة والخادم مقبلة وفى يدهـــا زهر تقدمه الى سيدتها كأنما تهدى هذا الزهر الى هذين الخطيبين ·

هى الزينة فى أضواء المدينة

جميع لافتات النيون
والزخارف الجميلة المضارة
بمختلف بلاد الشرق الأوسط

من تصميم وتنفيذ
شركتى
الاعلانات : المصرية
الشرقية

خامات ممتازة وصيانة دائمة

المرى

قصة تمثيلية للكاتب الفرنسى

مارسيل بانيول

ليس هذا العنوان ترجمة دقيقة للعنوان الفرنسى ، وربما لم يكن ترجمة مقاربة • فالعنوان الفرنسى يشير الى نوع خاص من اللهو ، هو هذا الضجيج الأمريكى الذى شاع فى الحانات والملاهى والذى يسمونه الجازباند • واذا كنت لم أعن بالترجمة الدقيقة لهذا العنوان ، فذلك لأن هذا العنوان نفسه لايدل على القصة ولا يختصرها ولا يدل على جزء مهم من أجزائها ، انما يدل على شىء اضافى مر فى القصة عرضا • ومن حقنا أن نتساءل : لم اتخذ الكاتب لقصته هذا العنوان ؟ وما باله لم يلتمس لها عنوانا يلائم موضوعها أو أشخاصها ملاءمة صحيحة ؟ على أن هذه الخصلة ليست وحدها الخصلة الغريبة فى هذه القصة ، فالقصة كلها غريبة فى حقيقة الأمر : غريبة فى تصورها ، غريبة فى عرضها ، غريبة فى نتيجتها ، ولكنها على ذلك قيمة لذيذة ، أوقل انها لذلك نفسه قيمة لذيذة •

والحق أنك فى حاجة الى أن تقرأ هذه القصة مرتين ، وربما احتجت الى أن تقرأها أكثر من مرتين ، لالتفهمها ففهمها سهل يسير ، ولا لتشعر بقيمتها الفنية فأنت شاعر بهذه القيمة متى بدأت فى القراءة ، ولكن لتتبين الغرض الذى اليه قصد الكاتب حين وضع قصته • ولست أدرى أمن اليسير بعد القراءة مرة أو مرتين أو ثلاثا أن تقطع بالغرض الذى قصد اليه الكاتب • ومن يدرى ! لعله لم يقصد الى غرض بعينه ، ولم يفكر الا فى أن يعرض عليك قصته كما تصورها ، تاركا لك أن تستنبط منها ما تشاء •

ومهما يكن من شىء فانت مضطر الى أن تلاحظ فى هذه القصة أمرين : أحدهما نعى شديد على العلماء الذين يقفون حياتهم على العلم وحده وعلى العلوم التى تمس الآداب بنوع خاص •

فموضوع القصة رجل من هؤلاء العلماء وقف حياته على اللغة اليونانية• والكاتب لايعرض علينا أمر هذا العالم وحده ، ولكنه يعرض علينا من قريب أو بعيد أمر قوم آخرين يعملون فى كلية من كليات الآداب منهم الأستاذ

ومنهـم الطاب · والثـــانى صراع عنيف بين الحيـــاة العلمية الجـــافة والحياة العملية التى لاتخلو من لذة ودعة ولين · فهل قصد الـكاتب الى أن يبغض الى الناس هذه الحياة العلمية الخشنة التى يسرف فيهـا بعض العلماء حتى يجعلوها أشـبه برهبانية الرهبـان ونسك الناســكين ، مزدرين فى سبيلها عواطف النفس وأهواءها ، وحاجات الجسـم وما تستتبعه هـــذه الحاجات من لذة وألم ؟ أم هل قصد الـكاتب الى أن يسخر من هـذا اللون من ألوان البحث العلمى ، ويبين أنه اذا كان هناك نوع من العـلم خليق بأن يقف الانسان عليه حياته فليس هو هذا النوع الذى يفرغ له الباحثون عن اللغات وعن اللغات القديمة بنوع خاص ؟ أم هل قصد الى أن يسـخر من البحث العلمى بوجه عام ؟ أخشى أن يكون قصد الى هـــذا كله فى وقت واحد ، أخشى أن يكون قد قصد الى ما يقصد اليه الشبان فى هذا العصر الحديث ، ولاسيما بعد انتهاء الحرب الكبرى ، من تمجيد الحياة العملية والاعراض عن هذه الحياة العلمية الخالصة ، بحجة أن هذه الحياة العملية هى وحدها المنتجـــة ، وهى الملائمة لطبيعة الأشياء وحاجات الناس ومذهب المنفعة بعبارة موجزة ·

ومهما يكن الغرض الذى قصد اليه الـكاتب فان قصته لا تخلو من لذة قوية ونفع كثير · ولو لم يـكن للـكاتب الا هؤلاء الأشـــخاص الذين قد صورهم فأحسن تصويرهم لكانت قصته خليقة بالعناية ، فكيف وقد وفق فوق هذا لطائفة أخرى من المعانى تبشر بأن ســـيكون له فى فن التمثيل مستقبل لابأس به ·

على أنى لا أحب أن أبدأ فى تحليل القصة وعرض أشخاصها عليك قبل أن ألاحظ أن الفصل الثانى من هذه القصة خليق أن يمحى ، فليست اليه حاجة فنية ، وربما كان من الاتقان الفنى أن يترك الـكاتب للقـــارىء أو للنظارة تقدير ما جاء فيه · على أن هذا الفصل نفسـه لايخلو من فـكاهة رائقة وتفكير عميق · ولعل هذا هو الذى حمل الـكاتب على أن يضحى بالفن التمثيلى فى سبيل الفن الأدبى الخالص ·

* * *

الأشخاص الذين يستحقون أن يعرضوا فى هذه القصـــة أربعة ، أولهم

« جان بليز » وهو رجل فى السابعة والخمسين من عمره ، أنفق حياته كلها فى درس اللغة اليونانية ، ووفق فى هذا الدرس الى حظ من الفوز فتن به الناس جميعا فنال أوسمة الشرف كلها من حكومته الفرنسية ، وهو يوشك أن ينتخب عضوا فى المجمع العلمى وأن يختار أستاذا لليونانية فى السوربون • وهو فى سبيل هذا المجد العلمى قد أخذ نفسه بألوان من الشدة فى حياته ، فرفض الحب رفضا قاطعا وانصرف عن النساء وعن لذات الحياة كلها • ثم لم يكتف بهذا بل خيل اليه أنه من هذه الطائفة المختارة التى خلقت لتقود الانسانية وترقيها • وهو مطمئن الى هذه المكانة مقتنع بأنه قد أصبح من الخالدين ، وهو يزدرى الحياة العملية والذين يضطربون فيها ، لايؤمن لهم الا بأنهم خدم يهيئون العلماء حاجاتهم فيعينونهم على تأدية مايؤدونه من نفع هذا النوع الانسانى • وهو بهذا كله مؤمن ، مقتنع بايمانه ، لايقبل فيه جدالا ولانزاعا • ولكن نفسه على شدة اقتناعها بهذا كله لم تستطع أن تقهر حسه ولا أن تفله ولا أن تلطف من حدة شعوره فهو فى جهاد متصل بين العلم والهوى • وأكبر الظن أنه انما أمعن فى العناية بالعلم ووقف حياته عليه حين أحس الاخفاق فى الحب وأشفق ألا يعجب النساء • وآية ذلك أن هذا الجهاد قد بلغ من العنف أن آذاه وأضناه وظهرت آثار هذا الأذى فى مجموعته العصبية التى نشعر منذ الفصل الأول بأنها قد أخذت تضعف وتضطرب حتى أشفقت عليه خادمه أن يكون قد أصيب بأحد أمراض المعدة • وقد وفق الكاتب توفيقا غريبا لأن يعرض علينا شخصية هذا الرجل عرضا قويا ، فقد ألف هذا الرجل من شخصين مختلفين : أحدهما هو هذا العالم الذى عرضته عليك، والآخر شاب يمثل هذا الرجل حين كان طالبا وحين كانت نفسه تنازعه الى الحب والنساء ، وجعل الصراع بين هذين الشخصين ماديا خارجيا يرى بالعين •

الشخص الثانى عميد كلية الآداب ، وهو رجل متقدم السن عالم ولكن فيه عيوب أمثاله من العلماء الذين يشغلون المناصب ويحرصون على أن يرضى عنهم الجمهور والرؤساء ، فهو حسود مسرف فى الحسد ، وهو

منافق ، غال فى النفاق ، وهو الى ذلك جبان عظيم الحظ من الجبن ، وهو يتقن العلم ويظهر الايمان به ولكنه فى حقيقة الأمر يزدريه ويشك فيه .

الشخص الثالث فتاة فى ريعان الشباب هى « سسيل بواسييه » طالبة فى الجامعة تدرس اللاتينية واليونانية ، جميلة ولكنها فقيرة ، تعنى بأن تعيش ، ولا تكاد تفكر فيما يفكر فيه الفتيات من حب أولهو ، مستعدة كل الاستعداد للتضحية ، ولكنها لاتكاد تحس الحب حتى تظهر فيها الأثرة ويظهر عجزها عن التضحية .

الشخص الرابع فتى صربى هو « ستيبانوفيتش » كان من جنود الحرب الكبرى ، أبلى فيها بلاء الأبطال ، فلما انتهت عاد الى مهنة التعليم التى كان يعيش منها ، ثم بدا له فجاء الى فرنسا يتم درس اليونانية ، وهو كبير النفس صبور محتمل المكروه فى سبيل العلم ، لا يتردد فى أن يتخذ صناعة الحمال فى محطة السكة الحديدية ليتمكن من الدرس . وهو رقيق النفس قوى العاطفة ، ولكنه يعرف كيف يكتم حبه ، فاذا ظهر له أنه يستطيع أن يعلن هذا الحب دون أن يتجاوز الحق والعدل مضى فى ذلك غير مشفق ولامتردد ولامحجم عن أشنع أنواع القسوة .

هؤلاء هم أشخاص القصة ، فلننظر كيف يضطربون فيها .

* * *

نحن فى مدينة جامعية من مدن الأقاليم ، فى دار «جان بليز» آخر النهار ، وقد ذهب الأستاذ الى الجامعة ليلقى درسه . فاذا رفع الستار رأينا خادمه تتحدث الى صديق أقبل ليزوره ومعهما عميد كلية الآداب قد جاء وكأنه يحمل نذير سوء . ثم ينصرف هذا العميد منذرا بعودته . فاذا خلت الخادم الى صديق سيدها أخبرته بأن سيدها متعب مضطرب الأعصاب قد يتحدث الى نفسه اذا جنه الليل ، وعللت ذلك باضطراب فى المعدة ، وعلل الصديق ذلك بالوحدة .

ثم يأتى الأستاذ فاذا كانت بينه وبين صديقه التحية المألوفة وجلسا يتحدثان فهمنا أن هذا الأستاذ قد ذهب مرة الى مصر فوجد فى بعض

أديرتها نسخة قديمة كتب عليها الانجيل باللغة اللاتينيـــة ، ثم تبين أنه قد كان مكتوبا قبل الانجيل شيء باللغة اليونانية ، فمحا الانجيل وأخضع نسخته لعمل كيميائى مكنه من كشف الأصل لهذا النص اليونانى فاذا هو كتاب من كتب أفلاطون يقال له « فايتون » · ولكن هذا الأصل كان مضطربا قد عبث به الزمان فلم تبق منه الا كلمات وجمل منها التام ومنها المبتور ، فجد في ذلك حتى أصـلحه وأتمه · وقد أنفق فى هذا العمـــل أعواما طوالا ، ثم نشره فاضـطرب له العلماء فى أقطـــار الأرض وكادو يجمعون على أن هذا الأستاذ قد أخرج للناس أقوم أثر من آثار أفلاطون من الوجهة اللغوية والأدبية والفلسفية · وعرفت الحكومة الفرنسية لهذا الأستاذ حقه فكافأته بالأوسمة ، وهى تريد أن تنقله الى الســوربون وهو يوشك أن يكون عضوا فى المجمع العلمى · ويحدث بهذا كله صديقه الذى لايكاد يفهم منه شيئا لأنه يعمل فى التجارة · فاذا ظهر منه عجزه عن الفهم كانت بينه وبين صاحبه مناقشة رأينا منها كبرياء الأستاذ بعلمه وازدراءه لغيره من الحياة والأحياء ·

وبينما هما كذلك اذ تقبل «سسيل بواسييه» احدى تلاميذ الأستاذ تريد أن تستعير من أستاذها كتابا فيعيرها اياه · ولكنهما لايكادان يتحـــدثان حتى نحس من الأستاذ ميلا خاصا الى هذه الفتاة وعطفا عليها ومن الفتاة اعجابا بالأستاذ · والفتاة لم تأت فى حقيقة الأمر لتستعير الكتاب ، انمـا جاءت لتعرض على أستاذها أن رفيقا لها من الطلبة هو «ستيبانوفيتش» قد ضاقت به سبل الحياة فهو مضطر الى أن يعود الى وطنه ، وقد تعاون رفاقه فيما بينهم فجمعوا له مقدارا من المال ، ولكنهم لايعرفون كيف يدفعونه اليه لأنه شديد الكبرياء ،فهم يتوسلون بالأستاذ ليؤدى اليه هذا المقدار· فاذا سمع الأستاذ هذا ، رد المقدار الى الفتاة ووعدها بأن يصـلح من أمر الفتى ، ثم أخذ يلومها لأنها لم تحسن كتابة الموضوع الذى طلب اليهـــا كتابته باليـــونانية · وتنصرف الفتـــاة ، ويأتى الفتى الصربى مودعا الأستاذ ، فلا يمكنه الأستاذ من أن يتكلم ، بل يفجـؤه بأن يعلن اليه أنه سيطبع كتابا من كتب «كسينوفون» ، وقد أعد لهذا الكتاب شرحا وتعليقا،

ولكن أوراقه فى حاجة الى الترتيب والنسخ ، فهو يكلفهذا العمل ويأجره عليه ويدفع آليه بعض هذا الأجر مقدما ، والفتى مغتبط بهذا لأنه يمكنه من اتمام الدرس وتأدية الامتحان دون أن يؤذى كبرياءه ٠

فاذا خرج الفتى وهم الأستاذ أن يستأنف حديثه مع صديقه أقبـــل عميد الكلية ، فيتلقاه الأستاذ عابسا منقبضا ، ويسرع العميد فينبئه بأنه جـاء يحمل اليه نبأ سيئا ويأخذ فى تعزيته وتشجيعه ٠ فاذا ألح عليـه ليعرف هذا النبأ أعلن اليه أن العالم الانجليزى «كولسون» قد ذهب الىمصر واستكشف فيها نسخة من كتابه « فايتون » وكانت نسخة صـــحيحة واضحة لاعيب فيها ، وظهر من قراءة هذه النسخة أولا أن الكتاب ليس لأفلاطون وانما هو لنحوى من أهل الاسكندرية كان يقلد أفلاطـــون فى القرن الأول للمسيح أى بعد أفلاطون بأربعة قرون ، ثانيا أنكل ما اقترحه الأستاذ لاصلاح النص وتكميل جمله وألفاظه وتصحيحها خطأ ٠ وهـذا العالم الانجليزى ينشر نسخته التى استكشفها ولكنه يرسل منها مسودة ليقرأها الأستاذ قبل أن تظهر للناس ٠ ثم يدفع العميد هذه المسودة الى الأستاذ ، ويأخذ هذا فى قراءتها والاضطراب يملكه شيئا فشيئا ، وقد ظهر ذلك عليه ، فنهض صديقه ، وخرج العميد ليتركا الرجل منفردا الى مسودته ٠

وفى أثناء ذلك يظهر فتى كأنما انشق عنه الحائط وهو رث شاحب ، فيقف خلف الأستاذ وينظر محزونا كأنه يقرأ المسودة ٠

* * *

فاذا كان الفصل الثانى فقد مضت أيام على هذه القصة وظهـــر أمرها للناس ، وافتضح الأستاذ فضيحة منكرة ، وانقسم فيه العلمـــاء الذين كانوا يعجبون به ، فمنهم من يتهمه بالجهل المنكر ، ومنهـــــم من يتهمه بالتدليس القبيح ٠ وقد كانت هذه الفضيحة صدمة للرجل حالت بينـه وبين الذهاب الى الجامعة أياما ٠ وكأنه قد استرد قوته فعزم أن يستأنف دروسه ، وأقبل الطلبة مضطربين يريدون أن يروه وأن يسمعوه وهم فى

أمره مختلفون اختلاف العلماء والجمهور • ولكن العميد يحاول أن يؤخـر استئناف هذا الدرس ، فيغرى أحد الخدم بأن يصد الطلبـــة عن قاعـــة الدرس ، ويعلن اليهم أن الأستاذ قد أجل درسه ، ولكن بعض الطلبـــة يأبون الا أن يقتحموا غرفة الدرس • وهم جلوس وقد رأى العميد أن لابد من استئناف الدرس ، فأقبل يخطب الطلبة يعيب أستاذهم وكأنه يرثى له ، ويغريهم به وكأنه يعطفهم عليه •

ويأتى الأستاذ فيتخذ ثوبه الرسمى ويجلس الى مائدته ، واذا الفتى الذى رأيناه فى آخر الفصل الأول قد ظهر ووقف فى آخر الغرفة تجـاه الأستاذ • وبدأ الأستاذ يتكلم فاذا هو يعترف بأنه قد أخطأ فى كل شىء فليس الكتاب لأفلاطون ، وليس تصحيحه لهذا الكتاب حقا ولا مقاربا ، وانما يشتمل على أكثر ثمانمائة غلطة • ولكن هذا الكتاب حقا ولا مقاربا ، بالخطأ قد خدع الذين يعنون باليونانية جميعا سواء منهم اللغويون والأدباء والفلاسفة ، كلهم قبله ، وكلهم أظهر الاعجاب به • وينتقل الأستاذ من هذا الى أن العلم ليس شيئا ، وانما هو وهم فى وهم وضلال فى ضلال ، وأن العالم أشبه الناس بالرجل الذى اهتدى الى كنز فى مكان مظلم فاتخذ المصباح ليصل اليه ، ولكنه شغل بالمصباح عن الكنز ، فأخذ يرفع ذبالته حينا ويخفضها حينا آخر • وليس العقل الانسانى الا هذا المصباح الذى يشغل العلماء عن الحياة وما فيهـا من لذة ومتاع ، واذا الأســـتاذ يحث تلاميذه على الاعراض عن العلم والاستمتاع بلذات الحياة ، ويمضى فى ذم العلم ومدح اللهو الى حيث يوشك أن يكون متصوفا ، ثم ينهض فيلقى عنه ثوب الأستاذية ، ويعلن الى تلاميذه أنه مستقيل •

* * *

فاذا كان الفصل الثالث فنحن فى بيت الأستاذ مساء هذا اليوم ، وقد تغيرت غرفته فخلت من الكتب خلوا تاما • وهو جالس الى مكتبه ينظر فى أوراق ثم يمزقها ، وقد جاء العميد يسأله عن كلمات زعموا أنه قالها فى درسه وهى لاتليق بالعالم ولا بالأستاذ ، فلا ينكرها بل يزيد عليها ويرفع الى العميد استقالته من الأستاذية • ويلح العميد عليه مخلصـــا فى أن

يسترد هذه الاستقالة فيأبى • وهنا تنكشف لنا نفس العميد ، فهو يتخذ العلم ورياسة كلية الآداب صناعة لا أكثر ولا أقل ، وهو لايؤمن بعلم ولا يؤمن بجامعة وانما يؤمن بالحياة : بامرأته وولده • وهو يشبه العلمـــاء حين يظفرون بالحق فيفرحون ، أو يردون عنه فيحزنون ، بالأطفال الذين يتحاربون لاعبين فيخيل اليهم أنهم يجدون واذاهم يطلبون الفوزويفرحون به حقا ويكرهون الهزيمة ويحزنون لها حقا • ولكن الأستاذ مصر عـــلى استقالته فينصرف عنه العميد • ويخلو الرجل الى نفسه حينـــا ، واذا الشاب الذى رأينا فى الفصلين الماضيين قد مثل أمامه ، فيكون بينه وبين الأستاذ حوار بديع مؤثر حقا • فليس هذا الشاب فى حقيقـة الأمر الا الأستاذ حين كان طالبا وحين كان يكره نفسه على العلم ويصرفها عن الحب واللهو • وقد تمثل هذا الشاب القوى الفتى المحـروم فى شخص هـذا الفتى ، وأقبل يعرض على الشيخ ذكرى هذا الحرمان والشيخ يدافعه ثم لايلبث أن يمضى معه فى الذكرى • فانظر اليه حين كان يستيقظ قبـــل آخر الليل فيقبل على اليونانية يقرأ ويكتب ويســتظهر • وانظر اليـــه كيف كان يغدو مع الصبح فيسلك الى الجامعة أبعد الطرق عن الفتنـــة منصرفا عن ضوء الشمس وجمال الربيع وابتهاج المدينة • وانظـر اليه كيف كان يلوى وجهه عن هذه الفتاة الحسناء تمر الى جانبه • وانظر اليه كيف أحب وعبث الحب بقلبه ولكنه مع ذلك ابى أن يعلن حبهواخذ يخادع نفسه عن هذا الحب ، وأخذ يتجاهل ميل صاحبته اليه فلايحييها ولا يظهر الميل اليها • وانظر اليه مع ذلك كيف أهوى مرة الى زهرة ألقتها هـــذه الفتاة فاحتفظ بها منذ عشرين سنة فهى الآن جافة ذابلة ولكنه لايـكاد يلمسها حتى تتفتح وتسترد نضرتها • ثم انظر اليه كيف يعتذر الىشبابه فيزعم أنه لم يكن جميلا ولا وسيما ولا جذابا للنســـاء • ولـــكن حركة يأتيها الفتى فاذا هو جميل وسيم حسن الطلعة مقتنع بأنه كان يستطيع أن يظفر بحب النساء • يعرض الفتى على الشيخ شبابه وما صنع فيه من لذة وما أهمل فيه من فرصة ، والشيخ يضطرب عليه شيئا فشيئا حتى يدنو من الجنون • واذا هو يستغيث ، فتقبل الخـــادم فـلا ترى أحـدا ويستخزى الشيخ •

ولكن هـــذه « سبسيل » قـد أقبلت تعلن الى الأستاذ باسمها وباسم رفاقها دهشهم مما سمعوا ، فيؤكد الأستاذ أنه لم يكن مازحا ولاعابثا ، ويعلن اليها أنه مستقيل ، فتلح عليه فى أن يسترد استقالته فيـــأبى • ويكون بينهما حوار نفهم منه أنه يحب الفتاة ويود أن يجد لحبه صـــدى فى نفسها ، وهو يتلمس هذا الصدى فلا يجده ، فهو يضطرب بين اللـين والشدة حتى اذا استيأس ترك الفتاة تنصرف • ولايكاد يخلو الى نفسه حتى يعود اليه الفتى فيلومه لوما عنيفا لأنه يحب هذه الفتاة وقد تركها تنصرف وقد كان يستطيع أن يعلن اليها حبه ، فينـــكر هذا الحب ، ثم يعترف به ، ثم يعتذر عن أحجامه بأنه متقدم السن وقد ظهرت عليه آفات الكبر • ولكن الفتى يقنعه بأنه ما زال محتفظا بقوته قادراً على أن يستمتع بالحياة ، والفتاة عائدة بعد حين لأنها نسيت حقيبتها ، وهى انما نسيتها لأنها تحب الشيخ ، فاذا عادت فيعلن اليها حبه ، وليكن بها رفيقا ولها ملاطفا وفى حديثه اليها لبقا • وقدعادت الفتاة تلتمس حقيبتها ، فيدعوها الى البقاء حينا • وماهى الا أن يتخذ طريقه الى الحب فيعلنه الى الفتـــاة ، فتدهش ويطلب اليها الزواج فتضطرب ثم تتردد ، ويكاد يستيئس منها ، فيعلن اليها هذا اليأس وأنه سيقتل نفسه ، فتشفق وتلين وتضـــعف ، فيـــدنو منهـــا يريد أن يقبلهـــا فتأبى وتفـــزع وتتراجـــع • فاذا رأى الفتى هذا قام مقامه فى هذه المداعبة والملاينة فظفر من الفتاة بالقبلة التى يرجوها ، واذا الفتاة مستأنسة مطمئنة قد جلست الى جانب الشـــيخ وأسندت رأسها الى كتفه وهى تتنسم تلك الزهرة التى كانت جافة فعادت نضرة •

* * *

فاذا كان الفصل الرابع فقد مضت أيام على هذا ، وتم الاتفـــاق بين الشيخ والفتاة على أن تكون له زوجا وعلى أن تقيم عنده أياما ، ثم يسافران الى حيث يقيم وصيها فيكون الزواج ، وسيسافران اليوم مع الظهر • ونحن نرى الشيخ قويا وسيما حسن الزى مطمئنا الى الحياة مبتسما لها يمشى فى غرفته مشية المطمئن الراضى • ولكن العميد قد أقبل يعلن اليـــه أن الناس يتحدثون بمقام الفتاة عنده وينكرون ذلك ، وقد كتبت فيه صحف

السوء واتهمت كلية الآداب كلها بالعبث والمجون ، وذلـــك شر يرغب الناس عن الكلية وأساتذتها ، وقد أصبحت الكلية حديث الناس وشك فيها الجمهور حتى ان امرأته قد أعلنت اليه أنها لن تدعه يذهب وحده الى الكلية • ولكن الشيخ لايحفل بكلام العميد ولا بكتابة الصحف ولابسخط الجمهور ، فهو سعيد ، وهو يريد أن يتخذ الفتاة له زوجا ، وهو سيبرح هذه المدينة وجامعتها وجمهورها •

فاذا انصرف العميد وأقبلت الخادم رأيناها ليست أقل من العميدسخطا على الأستاذ • وكيف لاتسخط وهو شيخ يريد أن يقترن من فتاة ، وهو يحتجز الفتاة عنده وليست زوجا ولا خطيبه ، والناس يتحدثون • أليست بائعة الفاكهة قد تحدثت اليها فى ذلك ساخرة ساخطة ! ! • ولكن الشيخ لايحفل بها ولا ببائعة الفاكهة •

وانظر الى الفتى قد أقبل ، ويسأله الشيخ فيم جاء فيأخـــذ الفتى فى لومه : أليس يحب هذه الفتاة ؟ أليست هذه الفتاة تحبه ؟ فما باله لايظفر منها بما يطمع فيه المحبون ؟ وما باله يدعها تقضى الليل وحيدة فى غرفتها وهو فى غرفته مسهد يضنيه الحب وتعذبه الشهوة ! • والفتى يغـــريه والشيخ يدافعه • ولكن انظر اليه كيف أثر فيه الاغراء ، فملكت الشهوة عليه أمره ودنا من غرفة الفتاة تدفعه اليها الرغبة ، وكاد يدخل لولابقية من شرف ووفاء ردته عن ذلك ، فينهر الفتى ويكبح شهوته ويؤثر انتظار الزواج •

وهذه الفتاة قد أقبلت فيلقاها باسما ، وترد تحيته فى دعة واطمئنان وتعرض عليه أن يكون الزواج فى هذه المدينة ، وأن يكون الفتى الصربى من شهود هذا الزواج • ثم تأخذ فى الثناء على الصربى وذكـــر بلائه فى الحرب ، فيحس أن فى نفسها من هـــذا الفتى شـيئا ، وقد خرج الأستاذ لبعض شأنه على أن يعود بعد حين •

وأقبل الفتى الصربى يريد أن يرد الى الأستاذ كتابه وماله لأنه مسافر ، ولايكاد يتحدث الى الفتاة حتى نفهم أنه لا يسافر زهدا فى العلم ولا عجزا عن الاقامة ، وانما يسافر يأسا وقنوطا ، فهو يحب الفتاة ولكنه لم يعلن اليها حبه ، وقد مضى الوقت وجاء هذا الاعلان متأخرا والفتاة تدافعه وتعتذر عن نفسها بضعف الشيخ ويأسه ، وانها لاتعرف الحب ولم تحسه ، وقد أخذت نفسها بأن تعيش مع هذا الرجل كما تعيش الممرضة مع المريض · ويهم الفتى أن ينصرف ، فتمسكه ، ويمضيان فى الحوار ، حتى اذا استيقن أن لم يكن بينها وبين الشيخ اثم التمس الحب عندها فوجده فى قلبها تستحيى له الفتاة وتتراجع ·

وهذا الأستاذ قد عاد فيرد الفتى اليه كتابه وماله ، ثم يعلن اليه فى لين لايخلو من القسوة أنه لايستطيع أن يتزوج من هذه الفتاة · وقد تركتهما الفتاة ، فيكون بينهما حوار عنيف فيه غيرة وحقد ، فيه غيرة الشباب الطامع فى الحياة يريد أن يستقبلها فى أمل ولذة · وفيه غيرة الشيخ اليائس يريد أن يظفر من الحياة بنصيب · وقد اتفقا على أن يحكما الفتاة نفسها ، فتدعى ويرد عليها الشيخ حريتها ويسألها أن تختار بينهما · فتسأله : والى أى حال تصير وحدك ؟ ··· ويفهم الشيخ · فانظر اليه يائسا قد صعقه اليأس وانصرف عنه المحبان ·

وانظر الى الفتى قد ظهر يزجره وينهره ، وهو الآن لم يأت ناصحا ولا رفيقا ، وانما جاء ثائرا محنقا يريد أن ينتقم لشبابه المضيع · وقد تغير المسرح بعض الشىء ، وأخذنا نسمع ونرى ضجيج الرقص وحركته وأصحاب اللهو يسرفون فى لهوهم ، والمومسات يتهالكن على الناس فتنة واغراء ، والفتى يدفع الشيخ الى هذا اللهو ، والمومسات يدعونه اليهن وقد كاد الشيخ يقبل لولا بقية من شرف وكرامة فهو يأبى ويتراجع ، والفتى يدفعه منتهرا زاجرا منذرا معلنا اليه أنه قد أفسد عليه شبابه فليفسدن عليه شيخوخته ! · ولكن الشيخ يأبى · وانظر اليه قد اعتصم آخر الأمر بكتب بقيت له ، فهو يلتمس عند العلم العزاء بعد أن يئس من الحب · وكذلك فعل شابا · ولكن الفتى ينازعه ويكون بينهما جهاد يصرع له

الشيخ • وتسمع الخادم فتسرع الى سيدها فاذا هو طريح ، فاذا أقبلت اليه لتسعفه نهض متثاقلا وأمرها أن تلتمس الطبيب فتخرج ويعمد الشـــيخ الى مسدسه فيخرجه وهو يعتصم بالمسدس حينا وبالكتاب حينا آخر • ولكن الفتى قد أقبل مرة أخرى ، وظهرت الحـانة والرقص والفتى يدعو الشيخ اليهما فيأبى ، ويطلق مسدسه على الفتى فلا يصيب منه شـيئا • وانظر الى الفتى فهو الذى يتناول المسدس وهو الذى يطلقه على الشيخ • وانظر الى هـذا الشباب المضيع وقد انتقم لنفسه من هذا الشـيخ فهـو يسقط صريعا •

استزد

من
البهجة
والمتعة

لك ولأسرتك

السينما

لم تعد ترهق ميزانيتك

تحفيض ٪

نظير ...

كوبونات الجمهورية للسينما

بداري سينما راديو وسينما قصر النيل

حفلة الساعة ٣ يومياً

الكوبونات تنشر بجرائد الجمهورية والبورصة والمصري والاهرام ومجلتي المصور والحوادث

انتوانيت سابرييه

قصة تمثيلية : للكاتب الفرنسي

رومان كولوس

مثلت هذه القصة لأول مرة فى أكتوبر سنة سنة ١٩٠٣ ، وما يزال الممثلون يلعبونها الى الآن • وأكبر الظن أنهم سيلعبونها زمنا طويلا ايضا• ذلك لأنها من القصص التى تعجب جمهور النظارة وتأخذ عليهم قلوبهم والبابهم ، وتثير فى نفوسهم من العواطف ما يدفعهم الى تشجيع الممثلين على الاحتفاظ بها واعادة لعبها من حين الى حين •

والحق أنك لا تكاد تمضى فى قراءة هذه القصة حتى تلاحظ أمرين مختلفين ، ولكنهما خليقان بالاعجاب ، كفيلان بأن يطول بقاؤها فى ملاعب التمثيل • أحدهما أن الكاتب قد راعى حين وضعها ، لا أقول أصول الفن ، وانما أقول أصول المنطق ونظام التفكير الانسانى مراعاة دقيقة جدا • فأنت تتنقل بين مناظرها وفصولها ، كما تتنقل بين قضايا القياس المنطقى المتقن • قد وضع كل شىء فيها موضعه لا يستطيع أن يتجاوزه ولا ينبغى له أن يتقدم أو يتأخر • وأنت لا تفرغ من قراءة منظر حتى تتوقع المنظر الذى يليه ، وما تزال كذلك طوال الفصل الأول وطوال الفصل الثانى ، حتى اذا كدت تفرغ منه فجأتك المصادفة التى لم تكن تنتظر والتى لم تكن منها بد لتنشأ المشكلة التى تدور حولها القصة • فاذا كانت هذه المصادفة فقد نشأت هذه المشكلة وتعقدت وانتهت الى أقصى ما كان يمكن أن تنتهى اليه من العنف والشدة • ولكننا نعود فى الوقت نفسه الى هدوء المنطق ، وتتصل الحوادث أمامنا مطردة مستقيمة يتبع بعضها بعضا وينتج بعضها من بعض حتى تنتهى الى نتيجتها الطبيعية المعقولة ، وهى نتيجة محزنة ، يألم لها الجمهور ، ويعجب بها ، ويحرص على أن تتكرر أمامه فى الملاعب •

هذا أحد الأمرين • الأمر الثانى أن القصة كلها صراع عنيف بين طائفة من العواطف والواجبات قد ألفها أوساط الناس واطمأنوا اليها وتعودوا أن يقبلوها كما هى لا يضعونها موضع المناقشة ولا الجدال • فمما يعجبهم أن يظهر الكاتب هذه العواطف والواجبات وقد اصطدمت وتناقضت ووقف

بعضها من بعض موقف الحرب والخصومة القوية . فنحن نرى فى القصة صراعا بين الحب والصداقة ، وبين الحبوالواجب ، وبين الصداقةوالواجب ، وبين الحب المشروع والحب الذى لا يبرأ من الاثم والخيانة ، وبين الوفاء الزوجى وهذا الحب الأثيم ، ثم بين الشرف والمنفعة ، ثم بين الشرف والحب والحياة . وكل هذه العواطف والواجبات قد مثلها الكاتب تمثيلا قويا صادقا ، وتخير لها أشخاصا يتقمصونها تقمصا ، ان راقك هذا التعبير . ونحن نلذ أن نرى هؤلاء الأشخاص يختصمون ويجاهد بعضهم بعضا ، ويجاهد كل واحد منهما نفسه . ونحن نقف أمام النتيجة الأخيرة لهذا كله موقف المطمئن المستسلم الذى يقول مع الشاعر العربى القديم : « لا بد مما ليس منه بد » والذىيستطيع فى الوقت نفسه أن يمضى الى ما وراء القصة ويعرف ما يتم بين هؤلاء الأشخاص من توادع وتراض يقومان على الحزن والاستسلام لهذه القوانين الصارمة التى تدمر حياة الانسان .

فاذا أضفت الى هاتين الخصلتين خصلة ثالثة هى الاتقان الفنى من الناحية الكتابية الصرفة وحسن تخير الألفاظ والمهارة فى تدبير الحوار ، استطعت أن تتبين السر فى أن هذه القصة لم تتجاوز شبابها بعد وان كانت قد نيفت على العشرين .

ولنبدأ فى تحليلها كما تعودنا البدء فى تحليل هذه القصص بعرض أشخاصها عليك فى ايجاز لأنهم كثيرون .

أول هؤلاء الأشخاص وأحقهم بالعناية هى بطلة القصة التى سميت باسمها وهى « أنتوانيت سابرييه » . نعرفها ولما نقرأ من القصة أسطرا ، ونعرف فى الوقت نفسه أنها امرأة قوية الشخصية لأنها بثت الحسد من حولها ، وأطلقت ألسنة النساء بالقول المختلف فى سيرتها وحظها ووفائها وما يتصل بذلك . وهى فى حقيقة الأمر امرأة قوية الشخصية ، عظيمة الحظ من الارادة ،قادرة كل القدرة على أن تضبط نفسها وتسير سيرة تلائم الواجب والخلق ومكانتها الاجتماعية الرفيعةوان لم تلائممثلها الأعلى

فى الحياة وحاجتها الى ما يطلب النساء من اللذة ونعيم العيش. هى متوسطة السن ليست شابة ولكنها محتفظة بجمال الشباب وروعته وقوته أيضا . خفيفة الروح ، جذابة ، راجحة الحلم ، يظهر عليها الهدوء والرزانة والرضا ، ولكن قلبها جذوة من النار مضطرمة أشد الاضطرام وقلما يحس ذلك أحد غيرها . وهى كما قدمنا مالكة لهذا القلب ، قادرة على تصريفه كما تحب وحيث تحب الا أن يعرض لها شخص آخر أشد منها قوة وأبعد منها أثرا .

تزوجت من رجل يشبهها من بعض الوجوه ويخالفها من بعضها الآخر ، وهو « جرمان سابرييه » قوى الارادة مثلها ، متقد القلب مثلها ، ضابط لنفسه مثلها أيضا ، ولكنه قد عرف طريقه فمضى فيها اندفاعا ، وأذعن له الفوز فى كل ما حاول من الأمر . كان ضئيلا فقيرا يعمل فى سوق الأوراق المالية ، فماهى الا أن اندفع فى هذا الطريق حتى أصبح من كبار الماليين فى أقل من عشرة أعوام . وهو اليوم زعيم من زعماء المصارف وملك من ملوك البورصة ، يتقرب اليه الناس ويتهالكون عليه ويحسدونه ويتربصون به المكروه . وهو مطمئن الى حظه ، واثق بالمستقبل ، لا يشفق ولا يخاف ، ولا يتردد ولا يحسب اذا أراد أن يقدم على شىء . وهو يحب امرأته حبا قويا حادا ولكنه غريب ، فهو لا يظهر لامرأته هذا الحب على النحو المألوف ، وانما هو مقتنع بأنه يرضى امرأته وعواطفها وميولها اذا أغناها وضمن لها حياة مترفة خلابة تبعث الحسد وغبطة النساء . وهو يخيل اليه أنه مصيب من حب امرأته ما أراد ، لايسأل نفسه أراضية هى أم ساخطة اقانعة أم محرومة ؟

وبين هذين الزوجين شخص ثالث هو « دورداى » متقدم فى السن بعض التقدم ، قوى الارادة جدا ، قادر على ضبط نفسه ، فى قلبه جذوة تضطرم من الحب ، ولكنه قد سيطر عليها واستطاع أن يلطفها حتى يجعلها جذوة وفاء ومودة بريئة طاهرة . أحب « انتوانيت » وحاول أن يظفر بحبها فلم يوفق . ولكنه ظفر منها بالمودة فقنع ، ورضى من حياته بساعات ينفقها من كل يوم مع هذه المرأة فى حديث برىء ونصح ومودة راضية ،

يجدان فى هذا كله لذة لا تشـــبهها لذة . وانطلقت ألسنة الناس فيهما بألوان القول ، ولكنهما لا يحفلان بذلك ، ولا يحفل بذلك الزوج نفســه لأنه شديد الثقة بامرأته ، شديد الثقة بصديقه .

ولهذا الصديق أخت شابة هى « ايلين » رائعة الجمال ، خلابة المنظـر ، شديدة التسلط ، قوية الارادة ، مضطرمة المزاج ، قد بلغت العشرين من عمرها ، وليس لها الا أخوها هذا ، فهو يقوم منها مقام الأب والأم والمربية . حتى تظفر بما يليق بهـا فى الزواج . وهى تحســب رجلا ليس أقل من الذين تقدموه قوة ارادة ولا حدة عاطفة ولا اضطرام قلب ، هــو « رينه دانجين » ، غنى ، ضخم الثروة ، وسيم الطلعة ، محبب الى النســاء بعيد الأثر فى نفوسهن ، مفتون بالأدب والفن والقراءة ، منصرف عن حياة أبيه الصناعية المالية ، قد أغضب أباه أغضابا شديدا وانقطع عما يتردد عليه أمثاله من الاندية ومجالس اللهو والعمل . تحب الفتاة هذا الرجل ، وهو يظهر لها ميلا شديدا تحسبه الحب وليس هو من الحــب فى شىء ، انما هو من العطف والمودة والانس اليها .

هؤلاء هم أشخاص القصة أو قل أبطالها كما تعود نقـــاد التمثيل أن يقولوا . ومن حولهم أشخاص كثيرون قد اختطفهـــم الكاتب اختطافا ، ولمح لك بصورهم النفسية تلميحا ، فبلـــغ فى ذلك ما شاء من الاجادة والاتقان : منهم هــذه المرأة الباريسية التى نجدها فى أول القصـــة تتحدث الى زوجها ورجل آخر فى دعابة ودل باريسيين ، وهى تطلـق لسانها فى « أنتوانيت » وزوجها وصديقها ، وهى تظهر غيرة على الفضيلة والشرف والعفة والوفاء ، ولكنها لا تكاد تلمح الرجل الذى يعجبها حتى تبتذل هذا كله ابتذالا وتنزل عنه فى ابتســـامة أقل ما توصـف به أنهـا تحمل على الابتسام .

ومنهم هذا الصحفى الذى حملته صناعته على أن يتتبع مثالب النـاس ويلم بدخائلهم حتى أصبح صاحب الفتوى من هــذا النوع من الغيبـة ، يلجأ اليه المغتابون ليجدوا عنده ما يحتـــاجون اليه من ألوان الطعـــن

والتشنيع . وهو على هذا كله يحاول أن يكون رجل جـد وصدق ووفاء بالمودة . فاذا سـئل عن مثالب « انتوانيت » أعلن فى حزم أنه لا يعرف عنها الا خيرا . ولكنه لا يكاد يتبين الاغراء فى عين محـدثه حتى ينسى الجد والصدق والوفاء ويقع فى « أنتوانيت » بما تشـاء صاحبته من الطعن والثلب .

ومنهم هذه الصديقة الوفية التى تخلص لصـديقتها الحب والمـودة وتنصح لها جادة رفيقة ، ولكنها أضـعف من أن تنصر الواجب وتمضى فى نصره الى النهاية ، فهى لا تكاد ترى صديقتها مبتهجة سعيدة بهـذا الحب الآثم حتى تدعها وما تريد طالبـة اليها ألا يصرفهـا الحب عن مودتهـا .

ومنهم هذا الشخص الأخير الذى نلم به الماما قصيرة لأنه شائع بين الناس فى جميع أطوارهم وبيئاتهم ، هذا الذى يحبـك ويقدم اليـك ما تحتاج اليه من معونة وتأييد لأن له عندك حاجة ، فاذا لم يظفـر منك بما يريد تخلى عنك فى سهولة وقسوة لا يحفل من أمرك بشىء ، وربمـا استحال عدوا لك لا يرضـيه الا أن تنزل بك النازلة ، لا يتأثر فى شىء من ذلك بخلق ولا واجب ولا رحمـة ولا شىء من هذه العواطـف التى يتأثر بها أخيار الناس .

هؤلاء هم أشخاص القصة أو هم كثرة هؤلاء الأشخاص ، وأحسبنى أستطيع بعـد ذلك أن ألخص لك . واحسـبك تستطيع أن تفهم هذا التلخيص الموجز فى غير مشقة .

* * *

نحن فى ضاحية من ضواحى باريس ، فى قصر فخم ، قد استأجره الزوجـان ليقضيا فيـه الصيف . وهما يحتفلان هـذا اليوم بعض الاحتفالات التى يقيمها الأغنياء ، وقد دعى الى هذا الاحتفال سراة باريس واصحاب المكانة فيها ومعهم النساء الحسان يفتن الناس بجمالهن ودعابتهن وتنطلق السنتهن بما فيه لذة وسحر .

ولا يكاد يرفع الستار عن هذا الفصل حتى نرى هذه المرأة الباريسية بين زوجها وصديقه ، تتحدث اليهما فى أمر الزوجين ، فتقع فى الرجل بأنه موفق فى حياته الماليـــة وانها تكره الموفقين وتشبههم باللصوص ، وتقع فى المرأة بأنها آثمة تعين زوجها بالاثم على مايسعى اليه من ثروة . فينكر عليها الرجلان هذا . ويأتى الصحفى فيستفتونه جميعا فى أمر « انتوانيت » فيجيبهم بالخير ، ولكنه لا يكاد ينظر فى عين صاحبته حتى يرى الاغراء والاطماع ، فيتحول عن الوفاء ويقع فى « انتوانيت » ، وبعد أن كان يريد أن ينصرف الى صحيفته لأداء عمله نراه يؤثر البقاء ويكتفى بالتليفون .

ونحن نرى المدعوين يترددون فى القصر وحديقته يقف كل فـــريق منهم وقفته على المسرح ، يتحدثون أمام النظارة وقتا قصيرا ليبينوا فيـه بعض ما قدمت لك من نفسية هؤلاء الأشخاص جميعا .

فلنمر بهذا الفصل لا نقف منه الا عنـد منـظرين أو ثلاثة لا بد من الوقوف عندها حينا . نقف عند هذا المنظـر الذى يمثل لنا « انتوانيت » قد أقبلت على صديقها « دوراى » مضطربة كأنها تلتمسه لتشكو اليـه بعض الأمر ، فيسألها فتتردد ، ثم تخبره فى استحياء بأن « جاماني » هذا المالى العظيم الـذى لابد لزوجها من معونته قد أرادهـا على السـوء فامتنعت عليه فى رفق ، فانصرف مغيظا محنقـــا . ونقف عند هـذا المنظر الذى يمثل لنا « دوراى » وهو يقدم صديقه « رينه دانجـين » الى صاحب القصر ، ويمثل لنا صاحب القصر وهـو يعرض على هذا الرجـل الاشتراك معه فى بعض الأعمال المالية فيعتذر اليه . ثم نمر مسرعـين بهـــذا المنظر الذى يمثل لنا « أنتوانيت » وقد لقيت هذه المـرأة الباريسية التى رأيناها فى أول القصة ومعها صاحبها الصحفى قد استسلم لهـــا استسلاما ، فيقع بين المرأتين حوار فيه الحسد والتعريض المر ، وفيـــه من ناحية « أنتوانيت » الدفاع عـــن النفس فى رشـــاقة وترفع . ثم تخلو « أنتوانيت » الى صديقتها فتتحدثان ، فنفهم من هذا الحديث أنها لا تحـب زوجها ولا تظفر عنده بما تريد ، ولكنها مع ذلك حريصة على الوفاء له ،

لم تخنه ولن تستطيع أن تخونه ، وهى تعـاشره وتشاطره الحياة ، واذا قدر لها أن تظفـر بالحب فلن تذوق لذته حتى تقطع الصلة بينها وبين زوجهـا • ثم نقف آخر الأمر عند هذا المنظر الذى يمثل لنـا « أنتوانيت » وقد لقيت « رينه دانجين » فلم يكادا يتحدثان حتى وقـع من نفسهـا ووقعت من نفسه ، وكان بينهما هـــذا الحب الفجائى الـــذى يسميه الفرنسيون « وقع الصاعقة » واذا هما مضطربان أشد الاضطراب ، يقع بينهما حوار قصير يريدان أن يتناولا به كل شىء فلا يتناولان فيه الا أنفسهما وسوء حظهما فيمامضى من حياتهما ، وينتهيان وقد تواعدا على المـودة •

* * *

وتمضى ثلاثة أشهر ، ويرفع الستار عن الفصل الثانى • فاذا نحن فى القصر نفسه آخـــر النهار ، وقد جلســـت « أنتوانيت » الى منضـــدة ترتب طائفة من الأوراق ، ودخلـت عليهـا صديقتها التى رأيناهـــا فى الفصل الأول ، فتسأل « أنتوانيت » فيم كتبت اليها تدعوهـــا لزيارتها • وتجيبها « أنتوانيت » بما كنا نتوقعه فى آخـــر الفصل الأول من أنهـا قد أحبت صاحبها حبا لا تجـــد الى مقاومته سبيلا ، وأحبهـا هـو كذلك ، وانتهى هذا الحب الى نتيجته الطبيعية ، وهى أنهما قد اعتزما الســفر من فرنسا الى حيث يجدان الحـرية • وهى لم تخـن زوجهـــا بعـد ، وما ينبغى لها أن تخونه ، وهى تعاشره وتعيش فى بيته • فاذا ذكـرت لها صديقتها أن هذا لا يعفيها من الاثم ، فهى مدينة لزوجهـــا بالوفاء حتى يطلقها ، وزوجها يحبـــها وهو لم يسىء اليها ، وليس من حقها أن تؤذيه أو تسوءه ، أجابت بلسان هـذا الحب القوى الآثم ان زوجهـــا لن يطلقها ان طلبت اليه ذلك ، وانها هى لا تحبه ، وهى تحب هـــذا الرجل ، ولها حقها فى الحياة ولذاتها ، فما ينبغى لها أن تضحى بنفسها وصاحبها فى سبيل هذا الزوج الذى لا تحبه • وفى الحق أن الحـــب قد فتن هذه المرأة ، وانتهى بها الى هذه الأثرة التى ينتهى اليها العشـاق عادة ، فهى تضحى بزوجها وصديقها « دوراى » وأخته « أيلـين » التى

تحب هذا الرجل • ولا عذر لها فى ذلك الا أنها تحب ، وأن صاحبها يحبها ، وأنها كانت تنتظر هذا الحب ، فما ينبغى أن تمتنع عليه وقد أتيح لها • وصديقتها تسمع هذا فلا تقتنع به ، ولكنها مترددة بين الدفاع عن الواجب والاحتفاظ بمودة صديقتها ، فتستسلم وتتمنى لصديقتها التوفيق • ولئن ضعفت هذه الصديقة عن أن تقف فى وجه الحب الآثم وتحتمل ثقل الدفاع عن الواجب ، فلن يضعف عن هذا صديقها « دوراى » ، فقد أقبل ومعه أخته • فماهى الا أن يخلو الى صاحبته ويتبين ما عزمت عليه حتى ينفجر انفجارا : يلوم صاحبته لوما عنيفا ، لأنها تضحى بزوجها ، ولأنها تضحى به هو ، ولأنها تندفع مع الأثرة الى غير حد ، وهو يرعد حينا ويستعطف حينا آخر ، ويستسلم مرة أخرى الى البكاء • ولكن الانتصار على هذا الرجل يسير ، فهو متهم فى غضبه للواجب ودفاعه عنه ، هو لا يدافع عن الزوج ولا عن الزواج ، وانما يدافع عن نفسه لأن صاحبته انصرفت عنه ، وستدعه وتنصرف الى حيث تستثمر الحب فى دعة وأمن ، فى حين يشقى هو بالوحدة والأسى والحرمان • هو يدافع عن نفسه ، واذا هو أثر ، واذا فليس هو بالصديق حقا • ولو كان صديقا حقا لقبل التضحية فى ألم طبعا ولكن فى رضا وآذعان وما أسرع ما تنتصر عليه وتلزمه الحجة ، وقد تقدم اليها وانصرف الزائرون ، وأقبل حبيبها فاتفقا على أن يفرا بعد حين قصير ، ينتهزان غيبة زوجها فى لندرة ويمضى بهما الأتومبيل الى حيث يركبان السفينة الى أمريكا • ويدعها صاحبها على أن ينتظرها أمام القصر ، وهى تدعو خادمتها فتصدر اليها أوامر قصيرة تتصل بهذا السفر وتصرفها • وانظر اليها قد نهضت وتهيأت للخروج الى حيث ينتظرها صاحبها وهى تلقى بنظرة وداع على الحجرة وما فيها • واذا فسيظل الواجب مهيضا وسينتصر عليه الحب الآثم ! وستمضى هذه المرأة مع رفيقها وسيعود الزوج فيرى نفسه فى هذا القصر وبين هذا الترف وحيدا • يتقوض من حوله كل شىء ؟ •• كلا ! وما الذى يمنع الصداقة أن تدافع عن هذا الواجب ؟ انظر الى صاحبتنا تخطو لتخرج من الحجرة ، ولكنها

تصيح وتتراجع مذعورة ، لأنها رأت رجلا وهذا الرجل هو زوجهـا وقد أقبل من لندرة قبل ميعاد العودة · ولـــكن انظر اليه أنه مضطـــرب قد انهدت قواه وفقد ما كان يمتاز به من شدة وصلابة وثقة بنفسه وبالدهر · وامرأته تسأله : فيم عجل هذه العـــودة ؟ وهو يتردد في اجابتها ، حتى اذا وجد القوة على الكلام أخبر امرأته بأنه في ضيق مالي منكر ، لأن شركاءه قد أسلموه واجمعوا على خيانته · وكان زعيم هذه الخيـــانة « جامانى » الذى رأيناه في الفصل الأول يريد أنتوانيت على الســـوء وينصرف محنقا لأنها امتنعت عليه · والرجل لا يتبين سبب هـــذه الخيانة ، أما نحن فنعرفه حق المعرفة · ومهما يكـــن من شيء فان صاحبنا مضطر الى نصف مليون من الفرنكات يجب أن يؤديه بعد ثمانية أيام ، وقد ســـلك الى هذا المقدار كل سبيل فلم يظفـــر به · وهو ان لم يؤده مفلس ثم مقبوض عليه ثم ملقى في غيابات السجن ·

يقص هذا كله على امرأته وهى تسمعه في شيء يشبه الهدوء ، ولكنه يدل على ثورة عنيفة داخلية · وانظر اليها وقد تغيرت تغيرا تاما ، فهى تشجع زوجها وتنصح له بالجلد والمضى في الجهاد ، وتعلن اليه أن ثمانية أيام ليســـت بالشيء القليل · وأنه واجد فيها مخرجـــا من هذا الضيق ، ويقع هذا الكلام من قلب الرجل موقعا حسنا ، ويمنحه قوة وجلدا فيعد باستئناف الجهاد · وانظر اليه وقد نهض قـــويا مستعدا للحـــرب ، وانصرف الى باريس وترك زوجه في شيء يشبه الذهـــول · ينصرف الرجل وتغلق الباب من ورائه ، واذا صديقها قد أقبل يتعجلها ، فتعلن اليه أنها لن تسافر الآن · ويكون بينهـــما حوار عنيف ، نفهم منه أن هـــذه المرأة كانت تظن أنها ستدع زوجها غنيـــا قويا يستطيع أن يتعزى عن الحب بالثروة والقوة · فاما الآن وقد أعدم وضـــعف فلا تســـتطيع أن تدعه · وهى تحب صاحبها ، ولكنها تطلب الى هذا الحب أن يمهلها حتى يسترد زوجها قوته وثروته · ولكن الحب عجل لا يمهل ، وصاحبها يعلن اليها في عنف أنه منصرف عنها الى حيـــث لن تراه · وأنهـــا لم تحبـــه كما يحبها · وانظر اليه وقد ولى منصرفا · واســـتولى الجزع على هـــذه المرأة ، فهى لعبة بين الحب وشهوته ، وبين الواجب وامره الذى لا يرد ·

انهـا تدعو صاحبها ملحة عليه ، فاذا أقبـــل عليها تضرعت اليه فى أن يبقى فيأبى ، واذا هى قد غيرت من خطتها فجأة وضـــحت بالأمانة الزوجية فى سبيل الحب من ناحية وفى سبيل الوفاء لزوجها والاشفاق عليه من ناحية أخرى ، واذا هى تلقى بنفسهـــا بين ذراعى صاحبها وقد استسلمت للاثم ٠

* * *

وتمضى من الأيام الثمانية سبعة ولم يجد الرجل لنفسه مخرجا من ضيقه ٠ ونحن الآن فى مصرفه وقد أقبـل يائســـا مستسلما مستعدا للافلاس والمحاكمة والسجن ٠ وأقبل عليه صديقه « دورآى » ينبئه بأنه قد سعى عند كثير من الماليين فلم يوفق لشىء ، ولكنه وفق أخيرا لرجل لا يعمل فى المال ولا فى البورصة ، ولكنه مستعد لتقديم هذا المقدار ، وسيأتى بعد حين ليعرض المال على صديقه٠ وهذا الرجل هو «رينيه دانجين» فاذا سمع صاحبنا اســم هذا الرجل أخذه غضب شديد واعلن أنه لن يقبل منه هذه المعونة ٠ فاذا دهش صـديقه لذلك أعلن اليه بعد تردد أن هذا الرجل قد أكثر التردد على قصره والتقـرب من زوجه وقد عرف الناس ذلك وتحـدثوا به ، فاذا عرف الناس أنه قد أعانه فسيتحدثون أنه قبل هذه المعونة ثمنا لما بين الحبيبين من صلة ٠ وهنا يغضب « دوراى » ويقف موقفا بديعا فى الدفاع عن « انتوانيت » فهو مؤمن بطهـارتها ، مؤمن بأنها لم تخن زوجها وما كانت لتخونه حتى تفارقه ٠ وهو يمضى فى هذا الدفاع الى أبعد حد ممكن ، فيعلن الى صديقه أنه ان كان قـــد وصل الى هذا الحد من الضيق فذلك لأن امرأته امتنعت على « جامانى » ويعلن الى صديقه أنه هو قد حاول أعواما أن يصل الى « انتوانيت » فلم يظفر منها بشىء ٠ وقد كاد يقنع صديقه ببراءة زوجه وطهارتها ٠ وكاد يقنعه بأنه يستطيع أن يقبل هذه المعونة ، وقد دعا الخـــادم وأمره أن يتحدث الى زوجه فى التليفون يطلب اليها أن تحضر ، وأقبل الرجـــل يعرض معونته ، فاذا خلا الى صاحبنا طلب اليه هذا : أتستطيع أن تقسم لى بشرفك انى أستطيع أن أقبل هذه المعونة منـك دون غضاضـة أو

تعرض للدنية ؟ فيقسم له ويهيىء « الشيك » ويهيىء هو صكا بهذا المقدار .

وتقبل « أنتوانيت » ، فينبئها بأنه قد أخفق فى سعيه كله ، ولكن هذاالرجل يعرض عليه ما هو فى حاجة اليه . فتحاول أن تشكر الرجل مضطربة وقد تم كل شىء ، ولم يبق الا أن يمضى صاحبنا الصك . ولكنه يتجه الى امرأته وصاحبه قبل أن يمضى ويسألهما فى قوة والحاح : أيمضى هذا الصك ؟ فأما الرجل فيجيبه : نعم . وأما المرأة فيأخذهما الاغماء . وأما صاحبنا فقد فهم كل شىء . وانظر اليه محتقا قد ألقى ما فى يده وأخذ ينتهر الآثمين بشدة وعنف ، وما زال بالرجل حتى أخرجه وهو الآن أمام امرأته وحدها يأمرها أن تنصرف فتستعطف فلا يزيده استعطافها الا سخطا وحنقا . ومع ذلك فالرجل فى محنة منكرة وقد جاهد أسابيع وضعف عن المقاومة ، وهو فى حاجة الى من يؤيده ويشد أزره ويعينه على هذه الأيام المرة التى يستقبلها . فانظر اليه وقد عفا أو كاد يعفو عن امرأته ، ولكنه يريد منها أن تنصرف عن هذا الرجل وتنساه وتبقى له هو وحده ويسألها أتستطيع ذلك ؟ فلا تجد الى جوابه سبيلا . فاذا ألح عليها فى السؤال عرف منها أنها لا تستطيع . . فانظر اليه ضعيفا مستسلما مغضبا مع ذلك شريفا ، يطرد زوجته وهى تأبى عليه ، وتعرض عليه ما تستطيع من أن تعيش معه حليفة معينة ولكن فى غير حب ، لأنها لا تملك هذا الحب ولا تستطيع اخضاعه لارادتها . وهو يأبى عليها ويلح فى طردها ، فتنصرف معلنة اليه أنها ستنتظره فى البيت ، فاذا تركته نهض الى أبواب الغرفة فغلقها ، ثم يعود الى مكتبه ويخرج منه مسدسا ويرتب طائفة من الأوراق وقد طرق الباب فكان جوابه طلقة المسدس الذى تختم بها مثل هذه القصص .

الاسم

الجهة

اسم الكتاب

املأ هذا الكوبون وارسله الى دار الجمهورية للتوزيع بشارع نجيب الريحاني رقم ٥ مرفقا به طابع بريد من فئة الخمسة قروش. يصلك اى عدد من الاعداد التى يتضمنها الفهرس . خالصا رسم البريد.

كتب للجميع

صدر منها حتى الآن

١ ـ « آبار فى الصحراء » : مجموعة قصص مصرية للأستاذ محمود كامل المحامى

٢ ـ « الضاحك الباكى » : احاديث عن الثورة المصرية للأستاذ فكرى اباظة

٣ ـ « الف ليلة الجديدة » : اخراج جديد للأستاذ عبد الرحمن الخميسى

٤ ـ « نساء من خزف » : مجموعة من القصص المصرية للأستاذ سعد مكاوى

٥ ـ « صندوق الدنيا » صورة فكهية للمرحوم الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

٦ ـ « فرعون الصغير » : مجموعة من قصص مصرية طلية للأستاذ محمود تيمور

٧ ـ « الشرق والغرب » مجموعة قصص للدكتور محمد عوض محمد

٨ ـ « قضايا الحب » : مجموعة من اغرب وامتع القضايا للدكتور فائق الجوهرى

٩ ـ « جيشنا فى فلسطين » : تسجيل تاريخى لحرب فلسطين للصاغ السيد فرج

١٠ ـ « الف ليلة الجديدة » : المجموعة الثانية للأستاذ عبد الرحمن الخميسى

١١ ـ « فى المرآة » مختار المزايا فى السياسة الاسبوعية للشيخ عبد العزيز البشرى

١٢ ـ « غاديات رائحات » : مجموعة قصص مصرية للأستاذ محمود طاهر حقى

١٣ ـ « صانع الحب » : مجموعة قصص واقعية للأستاذ احسان عبد القدوس

١٤ ـ « دموع وضحكات » مجموعة قصص واقعية للأستاذ حلمى مراد

١٥ ـ « عندما تحب المرأة » : مجموعة قصص واقعية للأستاذ عباس حافظ

١٦ ـ « حاجي بابا الاصفهاني » : عن جيمس موريه للأستاذ مرسي الشافعي

١٧ ـ « جرائم ومرافعات » : مجموعة من اشهر القضايا للأستاذ يوسف حلمي

١٨ ـ « الطريق الى السعادة » : عن الفيلسوف الامريكي هنري لنك للصاغ ثروت محمود

١٩ ـ « موعد مع الجنة » مغامرات الابطال المصريين في حرب فلسطين للأستاذ حلمي سلام

٢٠ ـ « نجيب الريحاني » : دراسة وافية دقيقة للأستاذ عثمان العنتيل

٢١ ـ « صور من الريف » صور صادقة لحياة الريف للأستاذ محمد زكي عبد القادر

٢٢ ـ « الحب في التاريخ » : أشهر قصص الحب التاريخية للأستاذ سلامة موسى

٢٣ ـ « عشرة ايام في السودان » للدكتور محمد حسين هيكل

٢٤ ـ « من وراء القضبان » للأستاذ احمد حسين الحمامي

٢٥ ـ « عارد من الشرق » : صور من الهند للأستاذ احمد قاسم جودة

٢٦ ـ « خبايا سياسية » : اسرار السياسة المصرية بقلم المرحوم الدكتور محمود عزمي

٢٧ ـ « جنة الحيوان » فصول في الأدب والحكمة للدكتور طه حسين

٢٨ ـ « بائع الحب » باقة جديدة من الأدب العاطفي للأستاذ احسان عبد القدوس

٢٩ ـ « حياة ثانية » قصة تصور متع الشباب ومآسيه للدكتور ابراهيم عبده

٣٠ ـ « ادركني يا دكتور » : صور واقعية لأدق الأسرار في حياة الناس للدكتور ابراهيم ناجي

٣١ ـ « مشاكل الحب والزواج » : ارشادات قبل الزواج وبعده للدكتور فائق الجوهري

٣٢ ـ « قصص تمثيلية » فصول في النقد والتحليل من مسرحيات فرنسية للدكتور طه حسين

٣٤ ـ « الوان من الحب » مجموعة قصص عاطفية تحليلية للأستاذ عباس حافظ

٣٥ ـ « يوميات مجنون » : مجموعة مختارة من كبار الكتاب للأستاذ عبد الرحمن الخميسي

٣٦ ـ « مهازل الحياة » مجموعة من القصص من مختلف بلاد العالم للأستاذ حبيب جاماتى

٣٨ ـ « فاتنة الشيطان » مجموعة من الصور الواقعية للحياة للدكتور سعيد عبده

٣٩ ـ « شهر فى نيويورك » : دراسة ممتعة للحياة فى امريكا للأستاذ احمد ابو الفتح

٤٠ ـ « الجاسوسية فى مصر » : مجموعة من اسرار وحوادث الحرب الخفية

٤١ ـ « نساء فى حياتى » : قصص حياة اثنتى عشرة امرأة للأستاذ امين يوسف غراب

٤٢ ـ « فكرى اباظه فى الراديو » : نقدات سياسية واجتماعية للاستاذ فكرى اباظه

٤٣ ـ « الشباب والجنس » محاولة علمية لتحطيم الجهل الجنسى للدكتور فائق الجوهرى

٤٤ ـ « القدر » : قصة فولتير ترجمها الدكتور طه حسين

٤٥ ـ « حكايات لمصر » فى سبيل الحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية للاستاذ احمد ابو الفتح

٤٦ ـ « المكافحون » مجموعتان من سير ابطال الوطنية والفكر للأستاذ عبد الرحمن الخميسى

٤٧ ـ « دنيا المرأة » : الدور الخطير الذى تلعبه المرأة فى حياة الرجل للأستاذ محمود مسعود

٤٨ ـ « العقل والهوى » دراسة نفسية للحب لم يسبق نشرها للأستاذ احمد الصاوى محمد

٤٩ ـ « اسرار النفس » : خلاصة مبسطة لآراء اساطين علم النفس للأستاذ سلامه موسى

٥٠ ـ « طريق الحرية » كتاب الوطنية الصادقة والكفاح فى سبيل التحرير والكرامة

٥١ ـ « جواسيس وفدائيون » سجل لما يحدث وراء الستار فى الحروب الكبرى .

٥٢ ـ « بسمات ساخرة » صور من حياتنا الواقعية للأستاذ محمود طاهر حقى .

٥٣ ـ « الجريمة والعقاب » بحث من واقع الحياة فى الجريمة للأستاذ محمد سعيد خضر

٥٤ ـ « حكايات علمية » عن المصادفات التى كان لها أكبر الأثر فى الاكتشافات العلمية

٥٥ ـ « الصوم والنفس » بحث عن الصوم وتأثيره للدكتور امين مصطفى عبد الله

٥٦ ـ « الغـــرب ما رايت » للأستاذ حبيب جاماتي عن اعجب ما شاهده في رحلاته القيمة

٥٧ ـ « اصول الحـــب » للدكتور فائق الجوهري ـ وهو تقديم لكتاب « الالفة والآلاف »

٥٨ ـ « ملك ضد شعب » : صفحات خفية عن حيـــــاة فاروق الطـــاغية « « «

٥٩ ـ « حمار الحـــكيم » : قصة فلسفية ساخرة تتناول المجتمع المصري بالنقد والتحليل

٦٠ ـ « ارض الاحـــــلام » : ملخص دقيق وتحليل رائع لأربع كتيبات عالميـــة

٦١ ـ « ادب الشعب » عرض جميل اخاذ لأدب الشعب للأستاذ حـــيرم الغمراوي

٦٢ ـ « اديب » بحث في الأدب لعميد الأدب العربي الدكتـــور طه حســـــين

٦٣ ـ « في ظلال المشنقة » : مذكرات الاســـــتاذ احمد حسين التي اعترف فيهـــا

٦٤ ـ « الحشيش ممنوع » : بحث يجمع بين الثقافة والطرافة عن المخـــــدرات وتاثيرها

٦٥ ـ « الجـــاسوسية الحمـــراء » اول كتاب من نوعه يكشف عن الجواسيس الروس

٦٦ ـ « الضاحك الباكي » : طبعة جـــديدة للاســـتاذ فكري اباظة

٦٧ ـ « ٣٠ عاما في كفاح الجريمة » : اسرار عن اغرب حوادث الجريمة الواقعية في مصر

٦٨ ـ « ادب الثورة » : عرض لطلائع المفكرين الذين مهدوا لاكبر الثورات في التاريخ

٦٩ ـ « ثورات التحرير الكبرى » : بحث عن أكبر ثورات التحرير في العالم الشرقي والغربي ، القديم والحديث ، وعن الافلاك والاجرام السماوية للواء احمد شوقي

٧٠ ـ « اطباء ومرضى » : بحث عن الطب وتاريخه والعـــــلاقة بين الطبيب والمريض

٧١ ـ « رحلة الى الســـــماء » دراسات قصصية للدكتور ابراهيم مصـــــطفى

٧٢ ـ « نفوس للبيـــع » نقد وتحليل لعميد الأدب العربي الدكتور طه حســـــين

٧٣ ـ « طريق الخطـــــايا » : مجموعة قصصية واقعية تتسم بالطابع المصري الأصـــيل

٧٤ ـ « امة تبحث » : للأستاذ احمد حسين عن رحلته الى الهند ومشاهداته في الحياة المصرية ـ الهندية

٧٥ ـ « مع المجرمين » : حوادث رهيبة لأقسى عصابات الاجرام في ريف مصر

٧٦ ـ « حقائق واحلام » : رحلات مع الزمن وقراءة من الكتب للسيد فتحي رضوان

٧٧ ـ « مع الزمان » : مجموعة رائعة من قصص ابطال التاريخ في الشرق

٧٨ ـ « قضايا جنسية » : مجموعة من القضايا المثيرة التي وقعت بين يدي القضاء المصري

٧٩ ـ « مع الناس » : مقالات ممتعة في احوال الناس وعاداتهم وامزجتهم

٨٠ ـ « اشباح وارواح » : مجموعة قصص واقعية من عالم الروح للأستاذ احمد فهمي ابوالخير

٨١ ـ « مذكرات جحا » : مجموعة رائعة من نوادر جحا ودراسة لحياته

٨٢ ـ « نساء العالم » : طباع النساء في جميع شعوب العالم للأستاذ الرحالة محمد ثابت

٨٣ ـ « جرائم جنسية » مجموعة قضايا واقعية مثيرة نظرها القضاء المصري في السنوات الأخيرة للدكتور محمد فايق الجوهري

٨٤ ـ « صفحات مجهولة » ادق الأسرار عن الثورة المصرية للقائمقام انور السادات

٨٥ ـ « ساحر النساء » مجموعة قصص عاطفية للأستاذ امين يوسف غراب

٨٦ ـ شيخ المنافقين » : نقد وتحليل للاستاذ احمد الصاوي محمد

٨٧ ـ « ضحكات ابليس » : قصة تصور اغراء الشيطان للاستاذ صلاح ذهني

٨٨ ـ « قصة الأطباق الطائرة » بحث وتحليل للأستاذ عبد القادر السماحي

٨٩ ـ « راهبة من الزمالك » مجموعة قصص رائعة للأستاذ سعد مكاوي

٩٠ ـ « قلب غانية » : قصة تصور حياة الغانيات للأستاذ محمود تيمور

٩١ ـ « نســـــاء امام القضـــــاء » للأستاذ انور العمروسى

٩٢ ـ « ســـــميرة هانم » مجموعة قصص مصرية للأستاذ يوسف جوهر «

٩٣ ـ « الجاسوسية والحب » مجموعة من اخطر قصص الجاسوسية للأستاذ اديب اســـكندر

٩٤ ـ « خبـــــير بالنســـــاء » باقة من روائع القصص العالمى للأستاذ عباس حافظ

٩٥ ـ « عشاق أمام القضاء » للدكتور فائق الجوهرى

٩٦ ـ « لاعبات بالنار » للأستاذ محمود كامل المحـــامى

٩٧ ـ نهـــــــاية رجل ـ للاميرالاى محمد عبد الفتاح ابراهيم

موعدنا مع ..

الـكتاب القـادم

عذارى الليل

بقـلم

محمود البدوى

فى أول فبراير

ذوق القارئ وفهمه الجديد
للأدب .. والثقافة .. والفن
تشبعه
الرسالة الجديدة
لأنها تخرج به
من عالم الخيال البعيد الصلة بالواقع
إلى عالم الواقع القريب الصلة من الخيال

كتب للجميع

كتب قيمة بقروش زهيدة

تصدر عن دار التحرير للطبع والنشر

مدير المجلة : السيد ابراهيم

رئيس التحرير : دكتور فائق الجوهري

طريقة الدفع : مصر والسودان : نقدا او بموجب الدونات او حوالات بريد او شيكات
سوريا ..... بالطائرات ١٢٠ قرشا سوريا
لبنان ..... ١٢٠ قرشا لبنانيا
العراق ..... ١٢٠ فلسا
المملكة الأردنية الهاشمية ..... ١٢٠ فلسا
المملكة العربية السعودية ..... ٢٥ قرشا سعوديا

الاشتراكات : القطر المصرى والسودان عن سنة ٢٤ عددا ١٠٠ قرشا
سوريا ولبنان بالطائرات ١١٠٠ قرش سورى او لبنانى
الأردن والعراق بالطائرات ..... ١٢٠٠ فلس

ثمن العدد : مصر والسودان ..... ١٠٠ مليما
خارج القطر المصرى : حوالة مصرفية على احد بنوك القاهرة

المكاتبات بعنوان ٥ شارع نجيب الريحانى ت ٧٩٦٤٧

الإعلانات يتفق عليها مع شركة الاعلانات المصرية ، ش . م . م .
شارع جلال بالقاهرة

العدد ٩٨ يناير ١٩٥٦

دار الجمهورية للطباعة